

عبدالرزاق الموسوي القرمي

العمارة

ابن الإمام المؤمنين علي بن أبي طالب

مكتبة الإلفين - الكويت



www.haydarya.com

العجيب

ابن الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَمِّيُّ

ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "ع"

"إن لعمي العباس به أمير المؤمنين ع عند الله تعالى
منزلة يفبظه عليها جميع الشهداء والصديقين
يوم القيامة" الإمام زين العابدين "



تأليف

عبد الرزاق الموسوي المقمم

مكتبة الألفين
الكويت - بيروت

جميع الحقوق محفوظة للناسِشر

الطبعة الأولى

١٩٨٦ هـ - ١٤٠٦ م

بنييد القكار - شارع بورت سعيد - من. ب. ١١٣٧٨ / المتأدنية
تلفون: ٢٥٢٢٧٩٧ - فاكس: ٢٥٢٢٧٩٧ - ب. ب. ١١٣٧٨ / المتأدنية

طبعة: نشر - توزيع - كويت - بيروت



مقدمة الناشر

سيدي ومولاي أبا الفضل العباس

تجمعت فيك كإخوانك الأئمة الطهر خصال بيت النبوة لأنك ابن
أول القوم إسلاماً وأشدّهم عزيمة وإيماناً . . فأنت في شجاعتك سبّع
الغاضرية والوغي وحامل اللواء يوم الطفّ وحامي الحمى . . وأنت في
شهادتك وتضحيتك الذاب عن أحبّاء الله المبالغ في نصرة أوليائه
والمجاهد في سبيل الله حقّ جهاده . . وأنت في إيمانك وخلقك
الرفيع العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن
والحسين عليهم السلام والماضي على بصيرة من أمرك مقتدياً
بالصالحين ومتبعاً للنبيين .

فيا سبّع الغاضرية والوغي وحامل اللواء يوم الطفّ وحامي
الحمى ، سلام الله عليك وسلام ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ،
وجميع الشهداء والصديقين ، والسلام عليك وعلى روحك وبدنك ،
وعلى التراب الطاهر الذي يحتويك والقبّة الشامخة الصفراء التي
تظلك .

سيدي أبا الفضل

وأنت الشهيد وابن الشهيد وأخو الشهيد . . وأنت الصابر
المحتسب والمظلوم والمهتزم . . أشهد أنك لم تهن ولم تنكسر . .
وأشهد أنك الصديق الوفي ، الناصح لخلف النبي المرسل الإمام
الحسين بن أمير المؤمنين عليك وعليهم سلام الله .

مكتبة الألفين

الكويت

٩/شعبان/١٤٠٦

١٦/نيسان/١٩٨٦

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

حمداً لك اللهم وصلاة على خاتم أنبيائك وخلفائه
المعصومين ورضي بقضائك وتقديرك بأوليائك الذين تحمّلوا
المشاق في أحياء شرعك الأقدس فقابلوا الأخطار بكل طلاقة
وبشاشة حتى كرعوا حياض المنون وانتهلت من دمائهم الزاكية
بيض الصفاح وأمسوا بجوارك متلفعين بالبرود القانية فسلاماً على
أرواحهم الطاهرة وأشلائهم المقطعة في سبيل مرضاتك يا رب
العالمين .



مقدمة

ان للنسب مكانةً كبرى في شتى النواحي ، فليس من المستنكر دخله في تهذيب الأخلاق فان الإنسان مهما كان مولعاً بالشهوات مستهتراً ماجناً إذا عرف أن له سلفاً مجيداً وأن من ينتمي إليهم أناس مبجلون كما هو الشأن في جل البشر . ان لم نقل كلهم لا يروقه ان يرتكب ما يشوه سمعتهم ، وانما يكون جل مسعاه ان يكون خلقاً صالحاً لهم يجدد ذكرياتهم ويخلد ذكرهم الجميل بالتلفع بمكارم الأخلاق .

ولقد جعل الله تعالى أبناء آدم عليه السلام شعوباً وقبائل ليتعارفوا . فتشبتك الأواصر وتتواصل الأرحام ويحمى الجوار بالتساند والمؤازرة ، ويعرفهم من عداهم كتلة واحدة ، فيهاب جانبهم ولا تخفر ذمتهم ، فيسود بذلك السلام والوثام ، ومن هنا نشاهد المردة من قوم شعيب قالوا له لما عتوا عن أمره ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾ ، فإذاً يكون في مشتبك الأواصر مناخ العز ومأوى الهيبة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن « وأكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير وأصلك الذي إليه

تصير ، ويدك التي بها تصول ، ولا يستغني الرجل عن عشيرته وان كان ذا مال ، فانه يحتاج إلى دفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم ، وهم أعظم الناس حيلةً من ورائه وألمهم لشعثه وأعظمهم عليه ان نزلت به نازلة أو حلت به مصيبة ، ومن يقبض يده عن عشيرته فانما يقبض عنهم يداً واحدة وتقبض عنه أيدي كثيرة» (١) .

ولقد جاء في الشريعة المقدسة أحكام منوطة بمعرفة الأنساب خاصة أو عامة كالمواريث والأحماس وصلة الأرحام ودية قتل الخطأ ، إلى غيرها من فوائد النسب التي جعلته في الغارب والسنام من بين العلوم الفاضلة ، وأكسبته الأهمية الكبرى .

وجعلت منصة النسابة في المحل الأسمى عند الديني والاجتماعي والاخلاقي وهو أحد العلماء الذين لكل منهم اختصاص في فن من الفنون يرجع إليه في فنه ويستفتى كما يراجع غيره من العلماء فيما اختص به من الفنون .

- ولقد كان عقيل بن أبي طالب عليه السلام على شرف أصله وقداسة منبته ومجده الهاشمي الاثيل : نسابة عصره ، يعرف أنساب العرب وقبائلها ، ويميز بين منابت المجد والخطر ومناخ السوأة والخزاية ، وينوّه بوسع علمه بما تتحلى به الفصائل والعمائر من المآثر وما ترتديه البطون والافخاذ من شية العار ، فكان يخشى ويرجى من هاتين الناحيتين ، ويراجع للوقوف على لوازم الكفاية عند المصاهرة تحريماً للحصول على الدعة في

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٩ مصر رحمانية .

العشرة بين الزوجين وكرائم الأخلاق المكتسبة من ارضاع الحرائر الكريمات وعروق الأحوال الاكارم والشريعة المطهرة تقول في نصها على ذلك : اختاروا لنطفكم فان الخال أحد الضجيعين^(١) كما حذرت عن خلافه : إياكم وخضراء الدمن ، وفسره صاحب الشريعة بأنها المرأة الحسناء في منبت السوء^(٢) .

فكان عقيل كما وصفه الصفدي أحد الذين يتحاكم إليهم ويوقف عند قولهم في علم النسب لكونه العليم به وبأيام العرب وكانت تبسط له طنفسة تطرح في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي عليها ويجتمع إليه في معرفة الأنساب وأيام العرب واخبارهم مع ما له من السرعة في الجواب والمراجعة في القول^(٣) .

ومن هنا قال له أمير المؤمنين : أنظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً فقال له تزوج بأمّ البنين الكلابية فانه ليس في العرب أشجع من آبائها^(٤) .

هكذا جاء الحديث ولكن لا يفوت القارىء أنا نعتقد في حملة اعباء الإمامة شمول علمهم كل ما ذرأ الله سبحانه وبرأ وما جاءت به الامم من فضائل ومخازي وأوصاف وعادات في كل حال ، وللبهنة على هذه الدعوى مجال في غير هذا المختصر .

(١) الكافي للكليبي .

(٢) المقنعة للشيخ المفيد ص ٧٩ والمجازات النبوية ص ٦١ طبع مصر .

(٣) نكت الهميان ص ٢٠٠ .

(٤) عمدة الطالب وسر السلسلة لابي النصر .

إذن فأين يقع علم عقيل وغير عقيل من واسع علم أمير المؤمنين المتدفق بأحوال قبائل العرب وبمعرفة الشجعان منهم حتى يحتاج إلى نظر عقيل ، وهل يخفى علم ذلك على من كان يعلم الذكر والانثى من النمل كما في حديث أبي ذر الغفاري : دخلت أنا وأمير المؤمنين عليه السلام وادياً فيه نمل كثير فقلت سبحان الله محصيه فقال عليه السلام لا تقل ذلك وقل سبحان الله باريه فوالله أنني لأحصيه وأعرف الذكر منه والانثى^(١) .

ويقول عليه السلام : ان شيعتنا من طينة مخزونة قبل أن يخلق آدم لا يشذ منها شاذ ولا يدخل فيها داخل ، واني لأعرفهم حينما أنظر إليهم واعرف عدوي من صديقي ، وانهم لمكتوبون عندنا بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائهم وأنسابهم^(٢) .

فمن كان هذا علمه لا يحتاج إلى تعرف القبائل والبطون من عقيل مهما بلغ من العلم والمعرفة الى ذرى عالية .

نعم ! (وكم سائل عن أمره وهو عالم) ! فانه جرى صلوات الله عليه مجرى العادة في أمثاله وكم لهم من ضرائب في أعمالهم عليهم السلام لحكم ومصالح لعلنا ندرك بعضها والبعض الآخر منها مطوي لديهم مع أمثالها من غوامض أسرارهم .

فهذا الرسول الأعظم ، وهو المسدد بالفيض الأقدس والارادة الإلهية المستغني عن الاستعانة بأي رأي يمشي وراء

(١) مدينة المعاجز ص ١١٥ .

(٢) الاختصاص للشيخ المفيد وبصائر الدرجات .

العادة فيشاور أصحابه إذا أراد المضي في أمر ، ولعل النكتة فيه مضافاً إلى ذلك تعريف خطأ الاستبداد وان بلغ الرجل أعلى مراتب العقل فكانت الصحابة تبصر من أشعة حكمه فوائد الاستشارة كالاستخارة وتمضي على قوله صلى الله عليه وآله وسلم : من اعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ، ولا يندم من استشار ، ولا خاب من استخار (١) .

ولما خرج صلى الله عليه وآله من المدينة طالباً غير أبي سفيان بلغه في (ذفران) ان قريشاً خرجت على كل صعب وذلول ، شاور أصحابه فقال : ما تقولون العير أحب إليكم أم النقيير ؟ فقال بعضهم العير وقال (رجلان) : يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها ما ذلت منذ عزت وما آمنت منذ كفرت فساء كلامهما وتغير وجهه فقام المقداد بن الأسود الكندي وقال امض يا رسول الله لما أمرك به الله ونحن معك فوالله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى بن عمران : اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دام منا عين تطرف ، نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن خلفك ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغمام (بلاد الحبشة) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فضحك رسول الله وأشرق وجهه وسرّ بكلامه (٢) .

(١) المستطرف ج ١ ص ٦١ ، ٧٠ .

(٢) الطبري ج ٢ ص ٢٧٣ .

ولما نزل في بدر بأقرب ماء هناك قال له الحباب بن المنذر : أرأيت يا رسول الله هذا المنزل منزلاً أنزلك الله به أم هو الرأي والمكيدة والحرب؟ فقال هو الرأي والحرب فأشار عليه بأن ينهض ويأتي أدنى منزل من القوم فينزل على الماء ثم يعمل حوضاً يملأه ماءً يشرب منه المسلمون ولا يشرب منه أعداؤهم فأخذ برأيه وارتحل حتى أتى الماء ونزل عليه^(١) .

ولما قصدته الأحزاب أراد أن يصلح عتبة بن حصين والحارث بن عوف على ثلث أثمار المدينة ليرجعا بمن معهما من غطفان فشاور في ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عباد وسعد بن فزارة فأشاروا عليه الا يعطيهم شيئاً فعمل بمشورتهم وكان الفتح له^(٢) كل ذلك إيذاناً وتنبهاً بما هو اللازم من التريث والأخذ بحقايق الامور .

وسار الأئمة من آله على هذا النهج فكان الامام الرضا عليه السلام يذكر أباه موسى بن جعفر ويقول كان عقله لا يوازن به العقول وربما شاور بعض عبيده فيشير عليه من الضيعة والبستان فيعمل به ف قيل له أتشاور مثل هذا؟ فقال عليه السلام ربما فتح على لسانه .

ولما كتب إليه علي بن يقطين بما عزم عليه موسى الهادي من الفتك به وأنه سمعه يقول قتلني الله ان لم أقتل موسى بن

(١) السيرة الحلبية غزوة بدر .

(٢) الرياض الخزرعية ج ١ ص ٢١٠ .

جعفر فلما ورد الكتاب عليه شاور أهل بيته وشيعته وأطلعهم على الكتاب وقال لهم ما تشيرون عليّ؟ قالوا نشير عليك أصلحك الله ان تباعد شخصك من هذا الجبار فلم يتباعد عن مشورتهم ولكنه أوقفهم على غامض أسرار الله من هلاك الطاغى فكان كما قال (١) .

وكان الأئمة ، وهم العالمون بما كان وما يكون يتخذون الوسائل العادية لدفع الأضرار عنهم إذا علموا تأخر القضاء من مراجعة الطبيب أو الشخوص نحو المهيمن جلّ شأنه أو الشكوى الى جدّهم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم ولما سقى الإمام الحسن عليه السلام العسل المسموم وأعتل تداوى بالحليب فعوفي وحين عادت إليه العلة أخذ يسيراً من تربة النبيّ ومزجها بالماء فشربه وعوفي (٢) .

وقال الإمام الهادي عليه السلام لأبي هاشم الجعفري حين مرض بسامراء ابعثوا رجلاً الى (الحاير) يدعو الله لي بالشفاء من العلة فقال عليّ بن بلال ما يصنع بالحير أليس هو الحير فلم يدر أبو هاشم ما يجيبه حتى دخل عليّ الهادي عليه السلام وحكى له قوله فقال عليه السلام : ألا قلت له ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كان يطوف بالبيت ويقبل الحجر وحرمة النبيّ والمرن أعظم من حرمة البيت وأمره الله تعالى أن يقف بعرفات وإنما هي

(١) مهج الدعوات .

(٢) كامل البهائي ص ٤٥٣ .

مواطن يحب الله أن يذكر فيها ، وأنا أحب أن يدعالي حيث أحب الله أن يدعافها^(١) .

والغرض من هذا كله التعريف بأنه لم يجب في التكوينات الا جري الأمور على مجاريها العادية وأسبابها الطبيعية وانه لا غناء عنها لأي أحد وان الأئمة من أهل البيت وان امكنهم اعمال ما اقدرهم عليه الله سبحانه من التصرفات حسبما يريدون لكنهم في جميع أدوارهم مقتدى الأمة ومسيروهم الى ما يراد منهم من أمر الدين والدنيا فعلى نهجهم يسير الناس وبأفعالهم يتأسى البشر وبارشادهم ترفع حجب الأوهام .

وعلى هذا الأساس مشى أمير المؤمنين في اختيار الزوجة الصالحة ، على ان التأمل في كلامه يفيدنا عدم الاستشارة من أخيه فانه قال لعقيل : انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب فهو عليه السلام في مقام الطلب من أخيه ان يخطب امرأةً تصلح له لا أنه في مقام الاستشارة والاستطلاع منه لكونه عالماً بأنساب العرب وعارفاً بيوتات الشرف والمنعة والفروسية .

(١) اصول الكافي .

سلسلة الآباء

هو العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

إلى هنا يقف الباحث عن الاتيان بباقي الآباء الأكارم الى آدم بعدما يقرأ قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : إذا بلغ نسبي إلى عدنان فامسكوا^(١) .

وكأنه نظر الى غرابة تلكم الأسماء وتعاصيها على نطق العامة فكان التصحيف إليها أسرع شيء فيعود وهنا في ساحة جلالتهم وخفة في مقدارهم وقد ولدوا الرسول الأعظم والوصي المقدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ١٠٦ وكشف الغمة ص ٦ .

وكيف كان فالمهم الذي يجب الهتاف به هو كون كل واحد من هؤلاء الأنجباب غير مدنس بشيء من رجس الجاهلية ولا موصوماً بعبادة وثن وهو الذي يرتضيه علماء الحق لكونهم صديقين بين أنبياء وأوصياء .

وقد نزههم الله تعالى في خطابه لنبيه الأقدس : ﴿وتقلّبك في الساجدين﴾ . فانه اثبت لهم جميعاً بلفظ الجمع المحلى باللام السجود الحق الذي يرتضيه لهم .

وان ما يؤثر عنهم من أشياء مستغربة لا بدّ أن يكون من الشريعة المشروعة لهم أو يكون له معنىً تظهره الدراية والتنقيب وليس آزر الذي كان ينحت الأصنام وكاهنة نمرود أبا إبراهيم الخليل^(١) الذي نزل من ظهره لأن أباه اسمه تارخ وآزر اما ان

(١) اختلفوا في ان الذي قيل له عرق الثرى إبراهيم أم اسماعيل فالذي عليه السهيلي في الروض الأنف ج ١ ص ٨ انه ابراهيم وعلله بأن الثرى لا تأكله النار وابراهيم لا تأكله النار ويظهر من الصادق عليه السلام لما تحظا النار وقال انا ابن اعراق الثرى انا ابن ابراهيم خليل الرحمن الاشارة اليه ونص عليه في البحار ج ٩ ص ٢٩ في باب نسب أبي طالب قال : وابراهيم عرق الثرى وفي ج ١٠ ص ١٢٤ عند قول الامام الحسن عليه السلام انا ابن اعراق الثرى قال : رأيت في بعض الكتب انه إبراهيم لكثرة ولده في البادية ولعل عبد الله بن أيوب الحريري الشاعر في مرثية الامام الرضا يشير إليه كما في البحار في باب مراثيه

يا ابن الذبيح ويا ابن اعراق الثرى طابت ارومته وطاب عروقهها

ولكن في نص الطبري ج ٢ ص ١٩١ والبداية والنهاية ج ٢ ص ١٩٤ والبحار ج ٩ ص ٢٧ عن ام سلمة ان عرق الثرى اسماعيل وقد جاء ذكر الثرى في شعر امرئ القيس والفرزدق ولم يعلم منه المراد قال امرؤ القيس على ما في أمالي المرتضى ج ١ ص ١١٩ =

يكون عمه كما يرثيه جماعة من المؤرخين واطلاق الأب على العم شايح على المجاز وجاء به الكتاب المجيد : ﴿أم كتتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت قال لبيته ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحاق﴾ فأطلق على اسماعيل لفظ الأب ولم يكن أبا يعقوب وإنما هو عمه كما اطلق على إبراهيم لفظ الأب وهو جدّه .

وأما ان يكون آزر جد إبراهيم لأمه كما يراه المنقبون والجد للأم أب في الحقيقة ويؤيد أنه غير أبيه قوله تعالى ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾ .

فميزه باسمه ولو أراد أباه الذي نزل من ظهره لاستغنى بإضافة الأبوة عن التسمية بآزر .

وصرح الرسول بطهارة آبائه عن رجس الجاهلية وسفاح الكفر فقال : لما أراد الله أن يخلقنا صورنا عمود نور في صلب آدم فكان ذلك النور يلمع في جبينه ثم انتقل الى وصيه شيث وفيما أوصاه به الا يضع هذا النور الا في أرحام المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولاً بها يتناقلها كابر عن كابر

= فبعض اللوم عاذلتي فاني ستغنييني التجارب وانتسابي
الى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي
وقال الفرزدق كما في كامل ابن الاثير ج ٣ ص ١٨٥
انا ابن الجبال الشم في عدد الحصي وعرق الثرى عرقي فمن ذا يحاسبه
وفي اخبار الزمان ص ٨٠ عدنان بن عرق الثرى .

فولدنا الاخيار من الرجال والخيرات المطهرات المهذبات من النساء حتى انتهينا الى صلب عبد المطلب فجعله نصفين نصف في عبد الله فصار إلى آمنة ونصف في أبي طالب فصار إلى فاطمة بنت أسد .

أما عدنان فقد أوضح في خطبه في ظهور النبي وانه من ذريته وأوصى باتباعه .

وكان ابنه معد صاحب حروب وغارات على بني إسرائيل ممن حاد عن التوحيد ولم يحارب أحداً الا رجح عليه بالنصر والظفر ، ولكونه على دين التوحيد ودين إبراهيم الخليل أمر الله أرميا أن يحمله معه على البراق كيلا تصيبه نقمة بختنصر وقال سبحانه لارميا اني سأخرج من صلبه نبياً كريماً اختم به الرسل فحمله الى أرض الشام الى أن هدأت الفتن بموت بختنصر^(١) .

وكان السبب في التسمية « بنزار » ان أباه لما نظر إلى نور النبوة يشع من جبهته سره ذلك فأطعم الناس لأجله وقال انه نزر في حقه^(٢) .

وورد النهي عن سب ربيعة ومضر لأنهما مؤمنان ومن كلام مضر : من يزرع شراً يحصد ندامةً .

والياس بن مضر كبير قومه وسيد عشيرته وكان لا يقضي أمر دونه وهو أول من هدى البدن الى البيت الحرام وأول من ظفر

(١) السيرة الحلية ج ١ ص ٢٠ .

(٢) الروض الأنف ج ١ ص ٨ .

بمقام إبراهيم لما غرق البيت في زمن نوح وكان مؤمناً موحداً ورد النهي عن سبّه (١) .

وقد أدرك مدركة بن الياس كل عز وفخر كان لأبائه وكان فيه نور النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وكنانة شيخ عظيم القدر حسن المنظر كانت العرب تحجّ إليه لعلمه وفضله وكان يقول قد آن خروج نبيّ من مكة يدعى أحمد يدعو إلى الله وإلى البر والاحسان ومكارم الأخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفاً وعزاً إلى عزّكم ولا تكذبوا ما جاء به فهو الحق ومما يؤثر عنه : رب صورة تخالف المخبرة قد غرت بجمالها واختبر قبح فعالها فاحذر الصور واطلب الخبر وكان يأنف ان يأكل وحده .

وولده النضر (قريش عند الفقهاء) فلا يقال لأولاد من فوقه قرشي وإنما أولاده مثل مالك وفهر فمن ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلد له فليس بقرشي (٢) .

وأما فهر فقد حارب حسان بن عبد كلال حين جاء من اليمن في حمير لأخذ أحجار الكعبة ليبنى بها بيتاً باليمن يزوره الناس فانتصر فهر وأسر حسان وانهزمت حمير وبقي حسان في الأسر ثلاث سنين ثم فدى نفسه بمال كثير وخرج فمات بين مكة واليمن فهابت العرب فهراً واعظموه وعلا أمره خصوصاً مع ما يشاهدون

(١) الروض الأنف ج ١ ص ٨ .

(٢) السيرة الحلية ج ١ ص ٩ .

في جبهته من نور النبوة .

ويؤثر عنه قوله لولده غالب : قليل ما في يدك أغنى لك من كثير ما اخلق وجهك وان صار إليك ، وكان موحداً^(١) .

ولم يزل كعب بن لؤي يذكر النبي ويعلم قريشاً انه من ولده ويأمرهم باتباعه ويقول : اسمعوا وعوا وتعلموا تعلموا وتفهموا تفهموا ، ليل داج ونهار ساج والأرض مهاد والجبال أوتاد والأولون كالآخرين كل ذلك الى بلاء فصلوا أرحامكم واصلحوا أحوالكم فهل رأيتم من هلك رجع أو ميتاً نشر الدار أمامكم والظن خلاف ما تقولون زينوا حرمكم وعظموه وتمسكوا به ولا تفارقوه فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم ثم قال :

نهار وليل واختلاف حوادث	سواء علينا حلوها ومريرها
يؤوبان بالأحداث حتى تأوبا	وبالنعم الضافي علينا ستورها
على غفلة يأتي النبي محمد	فيخبر أخباراً صدوقاً خبيرها

ثم قال :

(٢)
يا ليتني شاهد فحواء دعوته حتى العشيرة تبغي الحق خذلانا
ولجلالته وشرفه في قومه بموته ثم أرخوا بعام الفيل ثم
بموت عبد المطلب وهو أول من سمى يوم الجمعة لاجتماع قريش
فيه وكان اسمه في الجاهلية العروبة ولما جاء الإسلام امضاه^(٣) .

(١) المصدر .

(٢) صبح الاعشى ج ١ ص ٢١١ .

(٣) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٩ .

وكلاب بن مرة الجد الثالث لآمنة أم النبي والرابع لأبيه
عبد الله كان معروفاً بالشجاعة ونور النبي لائح في جبهته .

ولا تسل عن سيد الحرم « قصي » فلقد جمع قومه من
منازلهم وأسكنهم أرض مكة وأمرهم بالبناء حول البيت لتهايبهم
العرب فبنوا حول جوانبه الأربعة وجعلوا لهم أبواباً تخصهم فباب
لبنى شيبة وباب لبني جمح وباب لبني مخزوم وباب لبني سهم
وتركوا قدر الطواف بالبيت وبني قصي دار الندوة للمشاورة
والتفاهم فيما يعرض عليهم من المهمات وتيمنت قريش برأيه
وسمي مجمعا .

وعند مجيء الحاج قال لقريش هذا أوان الحج وقد سمعت
العرب بما صنعتهم وهم لكم معظمون ولا اعلم مكرمة عند العرب
أعظم من الطعام فليخرج كل انسان منكم من ماله خرجاً ففعلوا
وجمع مالا كثيراً ولما جاء الحاج نحر لهم على كل طريق من
طرق مكة جزوراً غير ما نحره بمكة وأوقد النار بالمزدلفة ليراها
الناس (١) .

وصنع للناس طعاماً أيام منى وجرى عليه الحال حتى جاء
الإسلام فالطعام الذي يصنعه السلطان أيام منى كل عام من آثار
قصي (٢) .

ومن هنا خضعت خزاعة لقصي وسلمت له أمر الحرم

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٩ الى ص ١٥ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٨٥ .

وسدانة البيت الحرام بعد أن كانت عند حليل وعند قصي ابنته وهي أم أولاده .

تولى قصي سدانة البيت أما بوصاية من حليل عند الموت إليه أو انها كانت عند ابنته زوج قصي بالوراثة فقام زوجها بتدبير شؤون البيت لعجز المرأة عن القيام بهذه الخدمة أو أن أبا غبشان الخزاعي كان وصي حليل على هذه السدانة فعاوضه عليها قصي بأثواب وأذواد من الابل .

هذا هو الصحيح المأثور في ولاية قصي سدانة البيت ويتفق مع العقل الحاكم بنزاهة جدّ الرسول الأقدس خامت الأنبياء عمّا تأباه شريعة إبراهيم الخليل من المعاوضة بالخمير المحرم في جميع الأديان أيجوز لجدّ الرسول أن يجعل للخمير قيمة وثمرتها سحت وهو المانع عنها المحذر قومه منها فانه قال لولده وقومه اجتنبوا الخمر فانها لا تصلح الأبدان وتفسد الأذهان فكيف يعاوض بها بل لا يتحيل الى مطلوبه بالخمير وهو القائل من استحسن قبيحاً نزل الى قبحه ومن أكرم لثيماً اشركه في لؤمه ومن لم تصلحه الكرامة اصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود هو العدو الخفي ^(١) .

وقد جمع أطراف المجد والشرف « عبد مناف » بن قصي ولبهائه وجمال منظره قيل له « قمر البطحاء » وكان سمحاً جواداً لا يعدم احداً من ماله حتى في أيام أبيه فقيل له « الفياض » ويسمى

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٩ .

مناف لأنه أناف على الناس وعلا أمره حتى ضربت له الركبان من أطراف الأرض^(١) وكان اسمه عبداً ثم اضيف الى مناف فقيل له « عبد مناف » وهذا هو الصحيح المأثور وأما ما أثبتته ابن دحلان في السيرة النبوية من أن امه اخدمته صنماً اسمه مناف بعيد عن الصواب إذ لا شك في نزاها آباء النبي وأمهاته في جميع أدوار حياتهم من الخضوع للأصنام كرامة لحبيبه وصفية الرسول الأعظم فليس بصحيح ما يقال من أن في آباء النبي وأمهاته من يعبد الصنم أو يخضع له لشهادة ما تقدم من الأحاديث عليه وإليه أشار البوصيري :

لم تزل في ضمائر الكون تختار لك الامهات والآباء على انه لم يكن من الأصنام اسمه « مناف » وانما الموجود « مناة » بالتاء المثناة من فوق ومن هنا كان يقول ابن الكلبي في كتاب الأصنام ص ٣٢ : لا أدري أين كان هذا الصنم ولمن كان ومن نصبه ومنه نعرف الغلط في قول البرقي والزبير ان امه اخدمته مناة (بالتاء المثناة من فوق) فسمي عبد مناة ولكن رآه قصي يوافق عبد مناة بن كنانة فحولة عبد مناف^(٢) .

وكان بيت عبد مناف أشرف بيوتات قريش^(٣) ولسيادته كان عنده قوس اسماعيل ولواء نزار .

(١) اثبات الوصية ص ٧٥ .

(٢) الروض الآنف ج ١ ص ٦ .

(٣) تاج العروس ج ٦ ص ٢٦٣ .

ومن وصيته ما وجد مكتوباً في بعض الأحجار أوصى قريشاً
بتقوى الله جلّ جلاله وصلّة الرحم (١) .

وجرى ابنه هاشم على سيرته حتى فاق قريشاً وسائر العرب
واذعنوا له وكان يطعم الحاج كما كان يصنع أبوه وأصاب قريشاً
سنة مجدبة فخرج هاشم الى الشام واشترى الدقيق والكعك فهشم
الخبز ونحر الجزر واطعم الناس حتى اشبعهم وكانت مائدته
منصوبة لا ترفع في السراء والضراء وكان يحمل ابن السبيل ويؤمن
الخائف وإذا أهل هلال ذي الحجة قام في صبيحته واسند ظهره
الى الكعبة من تلقاء بابها وخطب الناس فقال :

يا معشر قريش انكم سادة العرب أحسنها وجوهاً واعظمها
احلاماً وأوسطها نسباً وانكم جيران بيت الله أكرمكم الله بولايته
وخصّكم بجواره دون بني اسماعيل وانه يأتيكم زوار الله يعظمون
بيته فهم اضيافه وحق من اكرم اضياف الله أنتم فأكرموا ضيفه
وزواره فأنهم يأتونه غبراً من كل بلد على ضوامر كالقдах فورب
هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتموه وانا مخرج من
طيب مالي وحلالي ما لم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم
يدخل فيه حرام فمن شاء منكم ان يفعل مثل ذلك فعل وأسألکم
بحرمة هذا البيت ان لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار
بيت الله وتقويتهم الا طيباً لم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصباً .

فكانوا يجتهدون في ذلك ويخرجون من أموالهم ويضعونه

(١) السيرة الدحلانية بهامش الخلية ج ١ ص ١٧ .

وكان هاشم يطعم الحاج بمكة ومنى وعرفة وجمع^(٢) وهو أول من سن لقريش الرحلتين رحلة الى اليمن ورحلة الى الشام وأخذ لهم من ملوك الروم وغسان ما يعتصمون به^(٣) وذلك ان تجار قريش لم تعد تجارتهم نفس مكة وضواحيها وانما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها حتى رحل هاشم الى الشام ونزل على قيصر فأعجبه حسن خلقه وجمال هيئته وكرمه المنهمر فلم يحجبه واذن له بالقدوم عليه بالتجارة وكتب اماناً بينهم فارتقت منزلة هاشم بين الناس فكان يسافر في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام وشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب ومن ملوك اليمن والشام وجعل له معهم ربحاً وساق لهم ابلاً مع إبله وكفاهم مؤنة الاسفار على أن يكفوه مؤنة الأعداء في طريقه ومنصرفه فكان في ذلك صلاح عام للفريقين فكان المقيم رابحاً والمسافر محفوظاً فأخصبت قريش بذلك وأتاها الخير من البلاد العالية والسافلة ببركة هاشم وهذا هو الإيلاف المذكور في القرآن المجيد^(٤) .

وكان يقول في خطبته : أيها الناس نحن آل إبراهيم وذرية اسماعيل وبنو النضر بن كنانة وبنو قصي بن كلاب وأرباب مكة

(١) شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٤٥٨ .

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٤٥٧ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٨٠ .

(٤) شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٤٥٤ وص ٤٥٨ .

وسكان الحرم لنا ذروة الحسب ومعدن المجد ولكل في كل خلف
يجب عليه نصرته واجابة دعوته إلا ما دعا الى عقوق عشيرة وقطع
رحم يا بني قصي أنتم كغصني شجرة أيهما كسر أوحش صاحبه
والسيف لا يسان إلا بغمده ورامي العشيرة يصيبه سهمه ومن
أمحكه اللجاج اخرجته الى البغي .

أيها الناس الحلم شرف والصبر ظفر والمعروف كنز
والجود سؤدد والجهل سفه والأيام هول والدهر غير والمرء منسوب
إلى فعله ومأخوذ بعمله فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ودعوا
الفضول تجانبكم السفهاء واکرموا الجليس يعمر نادیکم وحاموا
الخليط يرغب في جوارکم وانصفوا من أنفسکم یوثق بکم وعلیکم
بمکارم الأخلاق فانها رفعة وإیاکم والأخلاق الدنية فانها تضع
الشرف وتهدم المجد وان نهنة الجاهل أهون من جريرته ورأس
العشيرة یحمل أثقالها ومقام الحلیم عضة لمن انتفع به^(١) .

ولنور النبوة الحال في جبهته كان وجهه يضيء في الليلة
الظلماء ولم يمر بحجر ولا شجر الا ناداه أبشر يا هاشم سيظهر
من ذريتك أكرم خلق الله محمد خاتم النبيين .

وأوصاه أبوه عبد مناف بما أوصاه به أبوه قصي : أن لا يضع
نور النبوة الا في الأرحام الطاهرات من النساء واخذ عليه العهد
بذلك فقبل وقد تقدم انها موروثه من آدم عليه السلام ومن هنا
رغب الاشراف من الأکاسرة والقياصرة في مصاهرة هاشم وهو

(١) بلوغ الارب ج ١ ص ٣٢٢ طبع بغداد.

يأبى حتى إذا رأى في المنام قائلاً يقول عليك بلمى بنت عمرو بن لبيد بن حداث بن زيد بن عامر بن غنم بن مازن من بني النجار فإنها طاهرة مطهرة الأذيال ليس لها شبه من النساء فادفع المهر الجزيل فانك ترزق منها ولداً يكون منه النبي فمشى هاشم واخوه المطلب وبنو عمه الى المدينة ومعهم لواء نزار وعليهم أفخر الثياب والدروع .

ولما اجتمع القوم خطب المطلب بن عبد مناف فقال : نحن وقد بيت الله الحرام والمشاعر العظام والينا سعت الأقدام وأنتم تعلمون شرفنا وسؤددنا وما خصنا به الله من النور الساطع والضياء اللامع ونحن بنو لؤي بن غالب قد انتقل هذا النور الى عبد مناف ثم الى أخينا هاشم وهو معنا من آدم عليه السلام وقد ساقه الله إليكم وأقدمه عليكم فنحن لكريمتكم خاطبون وفيكم راغبون .

فأجابهم عمرو أبو سلمى بالقبول والانعام وساقوا المهر كما أرادوا ولما تزوج منها هاشم ودخل بها وحملت بعبد المطلب انتقل اليها النور وما زالت تسمع البشائر بولادة خير البشر فأفزعها ذلك الا ان هاشماً عرفها أمر النبي^(١) .

فلما ولدت عبد المطلب كان يدعى « شيبه الحمد » لكثرة حمد الناس له لكونه مفرغ قريش في النوائب وملجأهم في الامور فكان شريف قومه وسيدهم كمالاً ورفعةً غير مدافع عن ذلك وهو من حلماة قريش وحكمائها .

(١) البحار ج ٦ ص ١٤ .

وقد سنّ أشياءً أمضاها له الإسلام : حرم نساء الآباء على الأبناء ووجد كنزاً اخرج خمسه وتصدّق به وسنّ في القتل مائة من الابل ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسنه سبعة أشواط وقطع يد السارق وحرم الخمر والزنا وان لا يطوف بالبيت عريان ولا يستقسم بالأزلام ولا يأكل ما ذبح على النصب^(١) .

ومما يؤثر عنه : الظلوم لن يخرج من الدنيا حتى ينتقم منه وان وراء هذه الدار دار يجزي فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته وإذا لم تصب المظلوم في الدنيا عقوبة فهي معدة له في الآخرة^(٢) .

وقيل له الفياض لكثرة جوده ونائله حتى ان مائدته يأكل منها الراكب ثم ترفع الى جبل أبي قبيس لتأكل منها الطير والوحوش^(٣) ولعزه المنيع وشرفه الباذخ كان يفرش له بإزاء الكعبة ولم يفرش لأي أحد غيره ولا يجالسه على بساط الابهة إلا نبيّ العظمة^(٤) وإذا أراد أحد أعمامه أن ينحيه صاح به عبد المطلب وقال ان له لشأناً وملكاً عظيماً^(٥) .

ولا غرو في ذلك بعد أن كان وصياً من الأوصياء وقارئاً للكتب السماوية ولقد أخبر أبو طالب رسول الله صلّى الله عليه

(١) الخصال للصدوق والسيرة الحلبية ج ١ ص ٥ .

(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٢ .

(٣) السيرة الحلبية ج ١ ص ٤ .

(٤) اليعقوبي ج ٢ ص ١١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٠ .

(٥) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٢٩ .

وآله وسلم فقال : كان أبي يقرأ الكتب جميعاً وقال ان من صلي نبياً لوددت أني أدركت ذلك الزمان فأمنت به فمن أدركه من ولدي فليؤمن به (١) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا عبد مناف ولا هاشم صنماً وإنما كانوا يعبدون الله ويصلون إلى البيت على دين إبراهيم متمسكين به (٢) .

وكان أبو طالب سيّد البطحاء شبيهاً بأبيه شيبة الحمد عالماً بما جاء به الأنبياء واخبرت به امهم من حوادث وملاحم لأنه وصي من الأوصياء وأمين على وصايا الأنبياء حتى سلمها الى النبي (٣) .

قال درست بن منصور قلت لأبي الحسن الأول أكان رسول الله صلى الله عليه وآله محجوجاً بأبي طالب قال لا ولكن كان مستودع الوصايا فدفعها الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلت دفعها إليه على انه محجوج به قال عليه السلام : لو كان محجوجاً به ما دفعها إليه قلت : فما كان حال أبي طالب ؟ قال : اقر بالنبي وبما جاء به حتى مات (٤) .

وقال المجلسي : أجمعت الشيعة على أن أبا طالب لم يعبد صنماً قطّ وانه كان من أوصياء إبراهيم الخليل عليه السلام وحكى

(١) البحار ج ٩ : ص ٣١ .

(٢) اكمال الدين للصدوق ص ١٠٤ .

(٣) مرآة العقول ج ١ ص ٣٦٢ .

(٤) البحار ج ٩ ص ٢٩ .

الطبرسي اجماع أهل البيت على ذلك ووافقه ابن بطريق في كتاب
المستدرک وقال الصدوق كان عبد المطلب وأبو طالب من أعراف
العلماء وأعلمهم بشأن النبي وكانا يكتمان ذلك عن الجهال
والكفرة^(١) .

ومما يشهد على انه كان على دين التوحيد وملة إبراهيم ،
ان قريشاً لما أبصرت العجائب ليلة ولادة أمير المؤمنين خصوصاً
لما أتوا بالآلهة الى جبل أبي قبيس ليسكن بهم ما شاهدوه ارتج
الجبل وتساقطت الأصنام ففزعوا الى أبي طالب لأنه مفرع
اللاجيء وعصمة المستجير وسألوه عن ذلك فرجع يديه مبتهلاً الى
المولى جل شأنه قائلاً : إلهي أسألك بالمحمدية المحمودية
والعلوية العالية والفاطمية البيضاء الا تفضلت على تهامة بالرأفة
والرحمة فسكن ما حلّ بهم وعرفت قريش هذه الأسماء قبل
ظهورها فكانت العرب تكتب هذه الأسماء وتدعو بها عند
المهمات وهي لا تعرف حقيقتها^(٢) .

ومن هنا اعتمد عليه عبد المطلب في كفالة الرسول وخصّه
به دون بنيه وقال .

وصيت من كنيته بطالب عبد مناف وهو ذو تجارب
يا ابن الحبيب أكرم الأقارب بابن الذي قد غاب غير آئب

(١) اكمال الدين ص ١٠٢ .

(٢) روضة الواعظين .

فقال أبو طالب :

لا توصني بلازم وواجب
من كل حبر عالم وكاتب
أني سمعت أعجب العجائب
بأن بحمد الله قول الراهب (١)

فقال عبدالمطلب :

أنظر يا أبا طالب ان تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم
رائحة أبيه ولم يذق شفقة أمه ، انظر أن يكون من جسدك بمنزلة
كبدك فأنني قد تركت بني كلهم وخصصتك به لأنك من أم أبيه وأعلم
فان استطعت ان تتبعه فافعل وانصره بلسانك ويدك ومالك فانه
والله سيسودكم ويملك ما لا يملك أحد من آبائي هل قبلت
وصييتي ؟ قال : نعم قد قبلت والله على ذلك شاهد .

فقال عبدالمطلب : الآن خفف علي الموت ولم يزل يقبله
ويقول : اشهد اني لم أر أحداً في ولدي أطيب ريحاً منك ولا
أحسن وجهاً (٢) .

وفرح أبو طالب بهذه الحظوة من أبيه العطوف وراح يدخر
لنفسه السعادة الخالدة بكفالة نبي الرحمة فقام بأمره وحمائه في
صغره بماله وجاهه من اليهود والعرب وقريش وكان يؤثره على أهله
ونفسه وكيف لا يؤثره وهو يشاهد من ابن أخيه ولما يبلغ التاسعة
من عمره هيكل القدس يملأ الدست هيباً ورجاحة أكثر ضحكه
الابتسام ويأنس بالوحدة أكثر من الاجتماع .

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٥ .

(٢) مرآة العقول ج ١ ص ٣٦٨ .

وإذا وضع له الطعام والشراب لا يتناول منه شيئاً الا قال
بسم الله الأحد وإذا فرغ من الطعام حمد الله واثنى عليه وان
رصده في نومه شاهد النور يسطع من رأسه الى عنان السماء^(١) .

وكان يوماً معه بذي المجاز فعطش أبو طالب ولم يجد الماء
فجاء النبي الى صخرة هناك ، وركلها برجله فنبع من تحتها الماء
العذب^(٢) وزاد على ذلك توفر الطعام القليل في بيته حتى انه
يكفي الجمع الكثير إذا تناول النبي منه شيئاً^(٣) .

وهذا وحده كاف في الازعان بأن أبا طالب كان على يقين
من نبوة ابن أخيه « محمد » صلى الله عليه وآله . اصف إلى ذلك
قوله في خطبته لما أراد أن يزوجه من خديجة « وهو والله بعد هذا
له نبأ عظيم وخطر جليل »^(٤) وفي وصيته لقريش « اني أوصيكم
بمحمد خيراً فانه الأمين في قريش والصديق في العرب وهو
الجامع لكل ما أوصاكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان^(٥) .

ولما جاء العباس بن عبد المطلب يخبره بتألب قريش على
معادات الرسول قال له : ان أبي اخبرني ان الرسول على حق ولا
يضره ما عليه قريش من المعادات له وان أبي كان يقرأ الكتب
جميعاً وقال ان من صلبني نبياً لوددت أني أدركته فأمنت به فمن

(١) مناقب ابن شهر آشوب . (٣) المصدر ص ١٣٧ .

(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٣٩ . (٤) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٦٥ .

(٥) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٩ وطراز المجالس للخفاجي ص ٢١٧ وثمرات الأوراق
لابن حجة الحموي بهامش المستطرف ج ٢ ص ١٠ وبلوغ الأرب ج ١ ص ٣٢٧ واسنى المطالب
لزيني دحلان ص ٥ .

أدرکه فليؤمن به^(١) .

واستشهاده بكلمة أبيه القارىء للكتب مع أنه كان يقرؤها مثله يدلنا على تفننه في تنسيق القياس واقامة البرهان على صحة النبوة وان الواجب اعتناق شريعته الحققة .

أما هو نفسه فعلى يقين من أن رسالة ابن أخيه خاتمة الرسل وهو أفضل من تقدمه قبل أن يشرق نور النبوة على وجه البسيطة . ولم تجهل لديه صفات النبي المبعوث وعلى هذا الاساس اخبر بعض أهل العلم من الاحبار حينما أسر إليه بأن ابن أخيه محمد الروح الطيبة والنبي المطهر على لسان التوراة والانجيل فاستكتمه أبو طالب الحديث كي لا يفشوا الخبر ثم قال له : « ان أبي أخبرني انه النبي المبعوث وأمر ان استر ذلك لئلا يغرى به الاعادي » .

ولو لم يكن معتقداً صدق الدعوة لما قال لأخيه حمزة لما أظهر الاسلام^(٢) .

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد وكن مظهراً للدين وفقت صابرا
وحط من أتى بالدين من عند ربه بصدق وحق لا تكن حمز كافرا
فقد سرنني اذ قلت انك مؤمن فكن لرسول الله في الله ناصرا
وناد قريشاً بالذي قد أتيته جهاراً وقل ما كان احمد ساحرا

(١) الحججة على الذاهب ص ٦٥ .

(٢) الحججة على الذاهب ص ٧١ .

وقال راداً على قريش^(١) :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً
وقال^(٢) :

وأمرسى ابن عبد الله فينا مصدقاً
وقال^(٣) :

أمين محب في العباد مسوم
يرى الناس برهاناً عليه وهيبة
نبي أتاه الوحي من عند ربه
ومما خاطب به النجاشي :

تعلم خيار الناس ان محمداً
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به
وانكم تتلون في كتابكم
فلا تجعلوا لله نداً واسلموا
وقال^(٤) :

اذهب بني فما عليك غضاضة
والله لن يصلوا إليك بجمعهم
اذهب وقر بذاك منك عيوننا
حتى أوسد في التراب دفيننا

(١) خزانة الادب للبغدادي ج ١ ص ٢٦١ .

(٢) الحجّة على الذاهب ص ٤٥ .

(٣) شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٣١٣ .

(٤) وذكرها جماعة كثيرة انظر ص ٦٩ من الحجّة على الذاهب .

ودعوتني وعلمت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت قبل أميننا
وذكرت ديناً لا محالة انه من خير أديان البرية ديننا

وبعد هذه المصارحة هل يخالغ أحداً الريب في إيمان أبي طالب وهل يجوز على من يقول : « أنا وجدنا محمداً كموسى نبياً » الا الاعتراف بنبوته والاقرار برسالته كالانبياء المتقدمين ؟ وهل يكون اقرار بالنبوته أبلغ من قوله : « فأمسى ابن عبد الله فينا مصداقاً » ؟ وهل فرق بين أن يقول المسلم أشهد أن لا إله إلا الله وبين أن يقول (١) :

وان كان أحمد قد جاءهم بصدق ولم يتهم بالكذب
أو يعترف الرجل بأن محمداً كموسى وعيسى جاء بالهدى والرشاد مثل ما أتيا به ثم يحكم عليه بالكفر !؟

وهل هناك جملة يعبر بها عن الاسلام اصرح من قول المسلم :

« وذكرت ديناً لا محالة انه من خير أديان البرية ديننا »

كلاً ! ولو لم يعرف أبو طالب من ابن اخيه الصديق فيما اخبر به لما قال له بمحضر قريش ليريههم من فضله وهو به خبير وجنانه طامن : يا ابن أخي الله أرسلك ؟ قال : نعم . قال : ان للانبياء معجزة وخرق عادة فأرنا آية قال صلى الله عليه وآله وسلم يا عم ادع تلك الشجرة وقل لها يقول لك محمد بن عبد الله

(١) شرح النهج ج ٣ ص ٣٠٩ .

أقبلني بإذن الله فدعاها أبو طالب فأقبلت حتى سجدت بين يديه ثم أمرها بالانصراف فانصرفت فقال أبو طالب : أشهد أنك صادق ثم قال لابنه عليّ عليه السلام يا بنيّ الزمه (١) .

وقال يوماً لعلي ما هذا الذي أنت عليه ؟ قال يا أبة آمنت بالله ورسوله وصدقت بما جاء به ودخلت معه واتبعته . فقال أبو طالب : أما انه لا يدعك الا إلى خير فالزمه (٢) .

وهل يجد الباحث بعد هذا كله ملتجئاً عن الجزم بأن شيخ الأبطح كان معتقاً للدين الحنيف ويكافح طواغيت قريش حتى بالإتمام مع النبي في صلابة وان أهمله فريق من المؤرخين رعاية لما هم عليه من حب الوقية في أبي طالب ورميه بالقذائف حنقاً على ولده (الإمام) الذي لم يتسنّ لهم أي غميمة فيه فتحاملوا على أمّه وأبيه إيذاءً له واكثاراً لنظائر من يرومون اكباره واجلاله ممن سبق منهم الكفر وحيث لم يسعهم الحظ من كرامة النبي أو الوصي عمدوا الى أبويهما الكريمين فعزوا إليهما الطامات وربما ستروا ما يؤثر عنهما من الفضائل إيثاراً لما يروقههم اثباته .

ويشهد لذلك ما ذكره بعض الكتاب عند ذكرى اسرى بدر فقال :

وكان من الاسرى عم النبي وعقيل ابن عمه (أخو عليّ) (٣) اهـ .

(١) الحجة على الذاهب ص ٢٥ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٤ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٠٦ .

(٣) تاريخ الامّة العربية ص ٨٤ مطبعة الحكومة : بغداد ١٩٣٩ .

فانه لو كان غرضه تعريف المأسور لكان في تعريف عقيل بأنه ابن عم النبي كفاية كما اكتفى في تعريف العباس بأنه عم النبي ولم يحتج ان يكتب بين قوسين (أخو علي) وأنت تعرف المراد من ذكر هذه الكلمة بين قوسين والى أي شيء يرمز بها الكاتب ولكن فاته الغرض وهيئات الذي أراد ففشل .

ثم جاء فريق آخر من المؤرخين يحسبون حصر المصادر في ذوي الاغراض المستهدفة وان ما جاءوا به حقائق راهنة فاقصر على مروياتهم مما دب ودرج وفيها الخرافات وما أوحته إليهم الاهواء والنوايا السيئة ومن هنا اهملت حقائق ورويت أباطيل .

فعزوا الى أبي طالب قوله « اني لا أحب أن تعلقوني استي »^(١) .

ثم رووا عنه انه قال لرسول الله : ما هذا الدين ؟ قال رسول الله : دين الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا إبراهيم بعثني الله به الى العباد وأنت احق من دعوته الى الهدى واحق من أجابني .

فقال أبو طالب اني لا استطيع أن افارق ديني ودين آبائي والله لا يخلص إليك من قريش شيء يكرهه ما حييت^(٢) .

فحسبوا من هذا الكلام ان أبا طالب ممن يعبد الاوثان ، كيف وهو على التوحيد أدل . وجوابه هذا من أنفس التورية وأبلغ

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٠٦ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٣ وابن الاثير ج ٢ ص ٢١ .

المحاورة فان مراده من قوله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عقيب قوله : أنت احق من دعوته : « اني لا أستطيع أن أفارق
ديني ودين آبائي » الاعتراف بإيمانه وانه باقٍ على الملة البيضاء
وحنيفية إبراهيم الخليل الذي هو دين الحق والهدى وهو دينه ودين
آبائه ثم زاد أبو طالب في تطمين النبي بالمدافعة عنه مهما كان
باقياً في الدنيا .

نعم من لا خبرة له بأساليب الكلام وخواص التورية يحسب
ان أبا طالب أراد بقوله اني لا أفارق ديني الخ . الخضوع
للانعام فصفق طرباً واختال مرحاً .

وجاء الآخر يعتذر عنه بأنه كان يراعي بقوله هذا الموافقة
لقريش ليتمكن من كلاءة النبي وتمشية دعوته .

نحن لا ننكر ان شيخ الأبطح كان يلاحظ شيئاً من ذلك
ويروقه مداراة القوم فيما يمس بكرامة الرسول للحصول على غايته
الثمينة لكننا لا نصافقهم في كل ما يقولون من انسلاله عن الدين
الحنيف انسلالاً باتاً فانه خلاف الثابت من سيرته حتى عند رواة
تلکم المخزيات ومهملي الحقائق الناصعة حذراً عما لا يلائم
خطتهم فلقد كان يراغم أولئك الطواغيت بما هو أعظم من التظاهر
بالايمان والايتمام بالصلاة مع النبي .

وان شعره الطافح بذكر النبوة والتصديق بها سرت به الركبان
وكذلك أعماله الناجعة حول دعوة الرسالة :

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً فقاما

فذاك بمكة آوى وحاماً
تكفل عبد مناف بأمر
فلهذا فاتح للهدى
وما ضر مجد أبي طالب
وهذا يشرب جس الحماما
وأودى فكان علي تماماً
ولله ذا للمعالي ختاماً
عدو لغي أو جهول تعامى

وأما أمير المؤمنين فيخرس البليغ عن أن يأتي على صفاته
ويقف الكاتب متردداً وما عساه أن يقول فيمن قال فيه أبوه أبو
طالب لما فزعت قريش إليه ليلة ولادة أمير المؤمنين إذا أبصروا
عجائب لم يروها ولم يسمعوا بها :

« أيها الناس سيظهر في هذه الليلة ولي من أولياء الله يكمل
فيه خصال الخير ويتم به الوصيين وهو إمام المتقين وناصر الدين
وقامع المشركين وغيظ المنافقين وزين العابدين ووصي رسول رب
العالمين إمام هدى ونجم علا ومصباح دجى ومبيد الشرك
والشبهات وهو نفس اليقين » .

ولم يزل يكرر هذا القول وهو يتخلل سكك مكة وأسواقها
حتى أصبح (١) ؟

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ضربة عليّ
عمرو بن ود تعدل عبادة الثقلين » وقال يوم خيبر : « لاعطين الراية
رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح
فأعطاهما لعلي عليه السلام وكان الفتح على يده » (٢) .

(١) روضة الواعظين ص ٦٩ .

(٢) الطبري ج ٣ ص ٩٣ وابن الأثير ج ٢ ص ٨٣ .

وبعد هذا فلنقف عن الاتيان بما أودع الله فيه من نفسيات
وغرائز شكرها له الاسلام نعم يجب أن نلفت القارئ الى شيء
أكثر البحث فيه رواة الحديث وهو الاسلام حال الصغر وترددت
الكلمة في الجوامع وتضاربت فيها الاقوال ولا يهمننا اطالة القول
فيها .

١ - فانا لا نقول ان أمير المؤمنين أول من آمن وان كان هو
أول من وافق الرسول على مبدأ الاسلام لما صدع بالامر ولكننا
نقول متى « كفر » عليّ حتى يؤمن وانما كان هو وصاحب الدعوة
الالهية عارفين بالدين وتعاليمه معتنقين له منذ كيانهما في عالم
الانوار قبل خلق الخلق غير ان ذلك العالم مبدأ الفيض الاقدس
ووجودهما الخارجي مجراه فمحمد نبيّ وعليّ وصيّ وآدم بين
الماء والطين صلّى الله عليهم اجمعين .

٢ - علي ان نبيّ الإسلام وهو العارف بأحكامه والذي
خطط لنا التكاليف قبل اسلام ابن عمه وانجز له جميع ما وعده به
من الاخوة والوصاية والخلافة يوم أجاب دعوته ووازره علي هذا
الامر وقد احجم عنه عندما نزلت آية : ﴿وأندر عشيرتك
الأقربين﴾ (١) .

وهل ترى ان النبي كان يومئذ يجد في شريعته عدم
الجدوى بإسلام مثل علي لصغره الا انه حابه ، كلا وحاشا . . . !

(١) نص الرسول على الخلافة ذكره الطبري في تاريخه ج ٢ ص ٢١٦ وابن الاثير في
الكامل ج ٢ ص ٢٤ وأبو الفدا في المختصر ج ١ ص ١١٦ وفي شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٤ وفي
تاريخ التمدن الاسلامي ج ١ ص ٣١ وفي حياة محمد ص ١٠٤ الطبعة الاولى .

وانما قابله بكل ترحيب وخوله ما لا يخول أحداً صحة اسلامه
عنده بحيث كان على أساس رصين فاتخذته رداءً كمن اعتنق الدين
عن قلب شاعر ولب راجح وعقلية ناضجة يغتنم بذلك محاماته
ومرضاة أبيه في المستقبل :

واذا اكبرنا النبي الأعظم عن كل مداهنة ومصانعة فلا نجد
مسرحةً في المقام الأي مقال الا ان نقول ان اسلام علي كان عن
بصيرة وثبات مقبول عند الله ورسوله وكان ممدوحاً منهما عليه .

كما تمدح بذلك أمير المؤمنين غير مرة وهو اعرف الامة
بتعاليم الدين بعد النبي الكريم فقال : « أنا الصديق الأكبر لا
يقولها بعدي الا كاذب مفتر، صليت مع رسول الله قبل الناس
بسبع سنين » (١) .

وقال له رسول الله أنت أول المؤمنين إيماناً واسلاماً ، كما
مدحته الصحابة بذلك وهم أبصر من غيرهم يوم كانوا يفترون من
مستقى العلم ومنبع الدين .

وعلى هذا الأساس تظافر الثناء عليه من العلماء والمؤلفين
والشعراء وسائر طبقات الامة بأنه أول من أسلم ، لكن هناك ضالع
في سيره حسب شيئاً فخانتته هاجسته وهوى الى مدحره الباطل
فقال أن علياً أسلم وهو صغير ، يريد بذلك الحط من مقامه وليس
هناك .

(١) الطبري ج ٢ ص ٢١٢ .

٣ - ولو تنازلنا عن جميع ذلك فمن أين علمنا أن اشتراط البلوغ في التكليف كان مشروعاً في أول البعثة فلعله كبقية الاحكام التدريجية نزل به الوحي فيما بعد ولقد حكى الخفاجي في شرح الشفاج ٣ ص ١٢٥ في باب دعاء النبي على صبي عن البرهان الحلبي والسبكي ان اشتراط الاحكام بالبلوغ انما كان بعد واقعة أحد وعن غيرهما انه بعد الهجرة وفي السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٠٤ ان الصبيان يومئذ مكلفون وانما رفع القلم عن الصبي عام خبير وعن البيهقي ان الاحكام انما تعلقت بالبلوغ في عام الخندق أو الحديدية وكانت قبل ذلك منوطة بالتمييز .

٤ - على أنا معاشر الامامية نعتقد في أئمة الدين بأنهم حاملون اعباء الحجة متحلون بحلى الفضائل كلها منذ الولادة كما بعث عيسى في المهد نبياً واوتي الحكم يحيى صبياً غير انهم بين مأمور بالكلام أو مأمور بالسكوت حتى يأتي أوانه فلهم أحكام خاصة غير احكام الرعية ومن أقلها قبول اجابة الدعوة ونحوها فاذن لا مساغ لأي أحد البحث في المسألة .

هذه هي السلسلة الذهبية التي تحلّى بها أبو الفضل وهي « آباؤه الأكارم » وقد اتحد مع كل حلقة منها الجوهر الفرد لاثارة الفضائل فما منهم الا من اخذ بعضادتي الشرف وملك ازمة المجد والخطر قد ضم الى طيب المحتد عظمة الزعامة والى طهارة العنصر نزاهة الايمان فلا ترى أياً منهم الا منار هدىً وبحر ندى ومثال تقى وداعية الى التوحيد والى بسالة وبطولة وابعاء وشمم وهم الذين عرقوا في سيدنا العباس عليه السلام هذه

الفضائل كلها وان كان القلم يقف عند انتهاء السلسلة الى
أمير المؤمنين فلا يدري اليراع ما يخط من صفات الجلال
والجمال وانه كيف عرقها في ولده المحبوب « قمر الهاشميين » .

الأعمام

هلمّ معي أيها القارئ لنقرأ صحيفة بيضاء مختصرة من حياة أعمام أبي الفضل الذين هم أغصان تلك الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء فان للعمومة عرقاً يضرب في نفسيات المولود من فضائل وفواضل وقد جاء في الحديث : الولد كما يشبه أخواله يشبه أعمامه وقبل الاتيان على ما جباهم به المولى من الآلاء نستعرض اليسير من حياة عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي لم يزل يفتخر به في مواطن شتى الا وهو الحمزة بن عبد المطلب .

وما ادراك ما حمزة وما هو وهل تعلم ماذا عنى نبيّ العظمة من وصفه « بأسد الله وأسد رسوله » وهل انه أراد الشدة والبسالة فحسب ؟ لا !

لأنه صلى الله عليه وآله وسلم أفصح من نطق بالضاد وكلامه فوق كلام البلغاء فلو كان يريد خصوص الشجاعة لكان حق التعبير ان يأتي بلفظ « الاسد » مجرداً عن الاضافة الى الله سبحانه والى رسوله كما هو المطرد في التشبيه به نظماً ونثراً .

وحيث اضافه الرسول الى ذات الجلالة والرسالة فلا بد أن يكون لغاية هناك أخرى وليست هي الا افادة ان ما فيه من كرّ واقدام وبطش وتنمر مخصوص في نصرة كلمة الله العليا ودعوة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم وهذا أربى من غيره وأرقى فكان سلام الله عليه من عمد الدين واعلام الهداية ولذلك وجب عليه الاعتراف بفضله وبما حباه المولى سبحانه من النزاهة التي لا ينالها أحد من الشهداء وكان ذلك من مكملات الايمان ومتممات العقائد الحقّة .

يشهد له ما في كتاب « الطرف » للسيد ابن طاووس ان رسول الله قال لحمزة في الليلة التي اصيب في يومها انك ستغيب غيبة بعيدة فما تقول لو سألك الله عن شرايع الاسلام وشروط الايمان .

فبكى حمزة وقال أرشدني وفهمني .

فقال النبيّ : تشهد لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة ولعليّ بالولاية وان الأئمة من ذرية الحسين وان فاطمة سيدة نساء العالمين وان جعفر الطيار مع الملائكة في الجنة ابن أخيك وان محمداً وآله خير البرية .

قال حمزة آمنت وصدّقت .

ثم قال رسول الله وتشهد بأنك سيد الشهداء وأسد الله وأسد رسوله فلما سمع ذلك حمزة أدهش وسقط لوجهه ثم قبل عيني رسول الله وقال أشهدك على ذلك وأشهد الله وكفى بالله شهيداً .

وان التأمل في الحديث يفيدنا منزلة كبرى لحمزة من الدين والإيمان لا تحدّ وإلا فما الفائدة في هذه البيعة والاعتراف بعدما صدر منه بمكة من الشهادة لله بالوحدانية ولرسوله بالنبوة ولكنه صلّى الله عليه وآله وسلم أراد لهذه الذات الطاهرة التي حلقت بصاحبها الى ذروة اليقين التحلي بأفضل صفات الكمال وهو التسليم لأمير المؤمنين بالولاية العامة ولأبنائه المعصومين بالخلافة عن جدهم الأمين .

وهناك مرتبة أخرى لا يبلغ مداها أحد وهي اعتراف حمزة وشهادته بأنه سيد الشهداء وانه أسد الله وأسد رسوله وان ابن أخيه الطيار مع الملائكة في الجنة وهذه خاصة لم يكلف بها العباد فوق ما عرفوه من منازل أهل البيت المعصومين وانما هي من مراتب السلوك والكشف واليقين .

وإذا نظرنا الى ا كبار الأئمة لمقامه وهم أعرف بنفسيات الرجال حتى انهم احتجوا على خصومهم بعمومته وشهادته دون الدين كما احتجوا بنسبتهم الى الرسول الأقدس مع ان هناك رجالاً بذلوا أنفسهم دون مرضاة الله تعالى .

استفدنا درجة عالية تقرب من درجاتهم عليهم السلام فهذا أمير المؤمنين يقول ان قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكل فضل حتى اذا استشهد شهيدنا قيل سيّد الشهداء وخصّه رسول الله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه .

وفي يوم الشورى احتج عليهم به فقال أنشدكم الله هل

فيكم أحد له مثل عمي حمزة أسد الله وأسد رسوله (١) .

وقال الامام المجتبي في بعض خطبه : وكان ممن استجاب
لرسول الله عمه حمزة وابن عمه جعفر فقتلا شهيدين في قتلى كثيرة
معهما من أصحاب رسول الله فجعل حمزة سيد الشهداء .

وقال سيد الشهداء أبو عبد الله يوم الطف . أوليس حمزة
سيد الشهداء عمّ أبي .

إلى غير ذلك مما جاء عنهم في الاشادة بذكر حتى ان
رسول الله لم يزل يكرر الهتاف بفضله ويعرف المهاجرين والانصار
بما امتاز به اسد الله وأسد رسوله من بينهم كي لا يقول قائل ولا
يتردد مسلم عن الاذعان بما حبا الله تعالى سيد الشهداء من
الكرامة فيقول صلى الله عليه وآله :

يا معشر الانصار يا معشر بني هاشم يا معشر بني
عبد المطلب أنا محمد رسول الله الا أني خلقت من طينة مرحومة
في أربعة من أهل بيتي أنا وعليّ وحمزة وجعفر (٢) .

والغرض من هذا ليس الا التعريف بخصوص فضل عمه
وابن عمه فلذلك لم يتعرض لخلق الأئمة بل ولا شيعتهم
المخلوقين من فاضل طينتهم كما في صحيح الآثار وانما ذكر نفسه
ووصيه لكونهما من أصول الاسلام والايمان .

(١) أمالي الشيخ الطوسي .

(٢) مجالس الصدوق .

كما ان أمير المؤمنين يوم فتح البصرة لما صرح بفضل سبعة من ولد عبد المطلب قال لا ينكر فضلهم الا كافر ولا يجحده الا جاحد وهم النبي محمد ووصيه والسبطان والمهدي وسيد الشهداء حمزة والطيار في الجنان جعفر لم يقصد بذلك الا التنويه بفضل عمه وأخيه فقرن شهادتهما بمن نهض في سبيل الدعوة الالهية وهم أركان الاسلام والايمان .

ولو لم تكن لسيد الشهداء حمزة وابن أخيه الطيار كل فضيلة سوى شهادتهما للانبياء بالتبليغ وأداء الرسالة لكفى أن لا يتطلب الانسان غيرهم .

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلايق كان نوح أول من يدعى به فيقال له هل بلغت فيقول نعم ، فيقال له : من يشهد لك فيقول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يخرج نوح ويتخطى الناس حتى يأتي الى محمد وهو على كتيب المسك ومعه علي عليه السلام فيقول نوح لمحمد ان الله سألني هل بلغت فقلت نعم فقال من يشهد لك قلت محمد فيقول محمد يا جعفر ويا حمزة اذها فاشهدا انه قد بلغ . قال أبو عبد الله أفحمزة وجعفر هما الشاهدان للأنبياء بما بلغوا فقال الراوي فأين علي قال انه أعظم منزلة من ذلك ^(١) .

وهذه الشهادة لا بد أن تكون حقيقية بمعنى انها تكون عن وقوف بمعالم دين نوح عليه السلام واديان الأنبياء الذين هما

(١) سفينة البحار للشيخ عباس القمي ج ١ ص ١٥٨ عن الكافي .

الشاهدان لهم بنص الحديث واحاطة شهودية بها وبمعارفها
وبمواقعها وبوضعها في الموضوع المقرر له والا لما صحت الشهادة
وهذا المعنى هو المتبادر الى الذهن من الشهادة عند اطلاقها فهي
ليست شهادة علمية بمعنى حصول العلم لهما من عصمة الانبياء
بأنهم وضعوا ودائع نبواتهم في مواضعها ولو كان ذلك كافياً لما
طلبوا بمن يشهد لهم فان جاعل العصمة فيهم جل شأنه اعرف
بأمانتهم لكنه لضرب من الحكمة أراد سبحانه وتعالى أن يجري
الامر على أصول الحكم يوم فصل القضاء .

ثم ان هذه الشهادة ليست فرعية بمعنى انها يشهدان عن
شهادة رسول الله فان المطلوب في المحاكم هي الشهادة الوجدانية
فحسب .

فاذا تقرر ذلك فحسب حمزة وجعفر من العلم المتدفق
خبرتهما بنواميس الأديان كلها والنواميس الالهية جمعاء أو وقوفهما
بحق اليقين أو بالمعاينة في عالم الانوار أو المشاهدة في عالم
الاطلة والذكر لها في عالم الشهود والوجود ومن المستحيل بعد
تلك الاحاطة أن يكونا جاهلين بشيء من نواميس الاسلام .

طالب

ان الثابت عند المحققين إسلام طالب بن أبي طالب من أول الدعوة فان المتأمل إذا نظر بعين البصيرة الى أبي طالب وقد ضم أولاده اجمع والنبي صلى الله عليه وآله وسلم معهم لا يفارقونه في جميع الأحوال مع ما يشاهدونه منه صلى الله عليه وآله وسلم من الآيات الباهرات لا يرتاب في صدق الدعوى وقد افصح عنه شعره^(١) :

إذا قيل من خير هذا الورى	قبيلاً واکرمهم اسرة
أناف بعبد مناف أب	وفضله هاشم الغرة
لقد حل مجد بني هاشم	مكان النعائم والنثرة
وخير بني هاشم احمد	رسول الاله على فترة

وان في حديث جابر الانصاري ما يفيد منزلة أرقى من مجرد الاسلام يقول قلت لرسول الله أكثر الناس يقولون ان أبا طالب

(١) البحار ج ٩ ص ٣٩ وذكر السيد علي خان في الدرجات الرفيعة بترجمته الثالث والرابع فقط.

مات كافراً قال يا جابر ربك أعلم بالغيب انه لما كانت الليلة التي أسري بي فيها الى السماء انتهيت الى العرش فرأيت أربعة أنوار فقلت إلهي ما هذه الأنوار فقال يا محمد هذا عبد المطلب وهذا أبو طالب وهذا أبوك عبد الله وهذا أخوك طالب فقلت إلهي وسيدي فيم نالوا هذه الدرجة قال بكتمانهم الايمان والصبر على ذلك حتى ماتوا^(١) .

وروى الكليني في روضة الكافي عن الصادق عليه السلام كان طالب مسلماً قبل بدر وانما اخرجته قريش كرهاً فنزل رجّازوهم يرتجزون ونزل طالب يرتجز :

يا رب اما يغزون بطالب في مقنب من هذه المقناب
في مقنب المحارب المغالب يجعله المسلوب غير السالب

وروى محمد بن المثنى الحضرمي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقي أبا رافع مولى العباس ابن عبد المطلب يوم بدر فسأله عن قومه فأخبره ان قريشاً اخرجوهم مكرهين^(٢) .

ويشهد له ما رواه ابن جرير ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم بدر اني لأعرف رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد اخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحداً منهم فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله انما خرج مستكراً^(٣) .

(١) روضة الواعظين ص ٧١ .

(٢) في كتابه وهو من اصحاب الائمة عليهم السلام .

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٨٢ .

وقد اختلف في موت طالب فقيل انه لما خرج الى بدر فقد
ولم يعرف خبره وقيل اقحمه فرسه في البحر فغرق وليس من
البعيد أن قريشاً قتلته حينما عرفت منه الاسلام وعرفت مصارحته
بالتفؤل بمغلوبيتهم وكان حاله كحال سعد بن عبادة لما رماه الجن
« لو صدقت الأوهام » .

عقيل

كان عقيل بن أبي طالب أحد أغصان الشجرة الطيبة وممن رضي عنهم الرسول فان النظرة الصحيحة في التاريخ تفيدنا اعتناقه الاسلام أول الدعوة وكان هذا مجلبة للحب النبوي حيث اجتمعت فيه شرائط الولاء من رسوخ الايمان في جوانحه وعمل الخيرات بجوارحه ولزوم الطاعة في أعماله واقتفاء الصدق في أقواله فقول النبي له : « اني احبك حين حباً لك وحباً لحب أبي طالب إياك »^(١) انما هو لأجل هاتيك المآثر وليس من المعقول كون حبه لغاية شهوية او لشيء من عرض الدنيا .

إذن فحسب عقيل من العظمة هذه المكانة الشامخة وقد حدثه قوة الإيمان الى أن يسلق اعداء اخيه أمير المؤمنين بلسان

(١) نكت الهميان ص ٢٠٠ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٠٤ وتذكرة الخواص ص ٧ والخصال ج ١ ص ٣٨ للصدوق ولكنه في المجالس ص ٧٨ مجلس ٢٧ روي عن ابن عباس ان علياً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتحب عقيلاً قال أي والله اني احبه حين حباً له وحباً لحب أبي طالب له وان ولده لمقتول في محبة ولدك فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلي عليه الملائكة المقربون ثم بكى رسول الله حتى جرت دموعه على صدره وقال الى الله اشكو ما تلقى عترتي من بعدي .

حديد خلدته عاراً عليهم مدى الحقب والاعوام .

على ان حب ابي طالب له لم يكن لمحض النبوة فانه لم يكن ولده البكر ولا كان اشجع ولده ولا أوفاهم ذمة ولا ولده الوحيد وقد كان في ولده مثل أمير المؤمنين وأبي المساكن جعفر الطيار وهو أكبرهم سناً وانما كان « شيخ الابطح » يظهر مرتبة من الحب له مع وجوده ولده (الامام) وأخيه الطيار لجمعه الفضائل والفواضل موروثه ومكتسبة .

وبعد أن فرضنا ان أبا طالب حجة وقته وأنه وصي من الأوصياء لم يكن يحابي أحداً بالمحبة وان كان اعز ولده الا ان يجده ذلك الانسان الكامل الذي يحابي احداً بالمحبة وان كان اعز ولده الا ان يجده ذلك الانسان الكامل الذي يجب في شريعة الحق ولاءه .

ولا شك ان عقيلاً لم يكن على غير الطريقة التي عليها اهل بيته اجمع من الايمان والوحدانية لله تعالى وكيف يشذ عن خاصته وأهله وهو واياهم في بيت واحد وأبو طالب هو المتكفل تربيته واعاشته فلا هو بطارده عن حوزته ولا بمبعده عن حومته ولا بمتضجر منه على الاقل وكيف يتظاهر بحبه ويدنيه منه كما يعلمنا النص النبوي السابق لو لم يتوثق من إيمانه ويتيقن من اسلامه غير انه كان مبطناً له كما كان أبوه من قبل وأخوه طالب وان كنا لا لشك في تفاوت الايمان فيه وفي اخويه الطيار وأمير المؤمنين .

وحينئذ لم يكن عقيل بدعاً من هذا البيت الطاهر الذي بني

الاسلام على علاليه فهو مؤمن بما صدع به الرسول منذ هتف داعية الهدى .

كما لبّت هذا الهتاف اختهم ام هاني فكانت من السابقات الى الايمان كما عليه صحيح الاثر وفي بيتها نزل النبي عن معراجة وهو في السنة الثالثة من البعثة وحدثها بأمره قبل أن يخرج الى الناس وكانت مصدقة له غير انها خشيت تكذيب قريش إياه وعليه فلا يعبأ بما زعم من تأخر إسلامها الى عام الفتح سنة ثمان من الهجرة (١) .

وما عسى أن يقول القائل في امهم زوج شيخ الابطح بعد شهادة الرسول الامين بأنها من الطاهرات الطيبات المؤمنات في جميع أدوار حياتها .

والعجب ممن اغتر بتمويه المبطلين فدون تلك القرية زعماً منه انها من فضائل سيد الأوصياء وهي ان فاطمة بنت أسد دخلت البيت الحرام وهي حاملة بعليّ عليه السلام فأرادت أن تسجد لهبل فمنعها عليّ وهو في بطنها .

وقد فات المسكين ان في هذه الكرامة طعناً بتلك الذات المبرأة من رجس الجاهلية ودنس الشرك وكيف يكون اشرف

(١) في مناقب ابن شهر اشوب ج ١ ص ١١٠ انها ماتت في أيام النبي صلّى الله عليه وآله ولكن ابن حجر في تقريب التهذيب نص على وفاتها في خلافة معاوية وعليه فليست هي المعينة بما في كامل الزيارة ص ٩٦ واقبلت اليه بعض عماته تقول أشهد يا حسين لقد سمعت قائلاً يقول :

وان قتيل الطف من آل هاشم اذل رقاباً من قريش فذلت

المخلوقات بعد خاتم الأنبياء المتكون من النور الالهي مودعاً في وعاء الكفر والجحود .

كما انهم ابعدها كثيراً عن مستوى التعاليم الإلهية ودروس خاتم الأنبياء الملقاة عليها كل صباح ومساء وفيها ما فرضه المهيمن جلّ شأنه على الامة جمعاء من الايمان بما حبي ولدها الوصي بالولاية على المؤمنين حتى اختص بها دون الائمة من أبنائه وان كانوا نوراً واحداً وطينة واحدة ولقد غضب الامام الصادق عليه السلام على من سماه أمير المؤمنين وقال مه لا يصلح هذا الاسم الا لجدي أمير المؤمنين .

فرووا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولف على قبرها وصاح ابنك علي لا جعفر ولا عقيل ولما سئل عنه اجاب ان الملك سألها عن تدين بولايته بعد الرسول فخجلت أن تقول ولدي .

أمن المعقول ان تكون تلك الذات الطاهرة الحاملة لاشرف الخلق بعد النبوة بعيدة عن تلك التعاليم المقدسة وهل في الدين حياء ؟ نعم أرادوا أن يزحزحوها عن الصراط السوي ولكن فاتهم الغرض واخطأوا الرمية .

فان الصحيح من الآثار ينص على ان النبي لما أنزلها في لحدّها ناداها بصوت رفيع يا فاطمة أنا محمد سيد ولد آدم ولا فخر فاذا أتاك منكر ونكير فسألاك من ربك فقولي الله ربي ومحمد نبي والاسلام ديني والقرآن كتابي وابني إمامي ووليي ثم خرج من

القبر واهال عليها التراب (١) .

ولعل هذا خاص بها ومن جرى مجراها من الزاكين الطيبين
والا فلم يعهد في زمن الرسالة تلقين الاموات بمعرفة الولي بعده
فانه كتخصيصها بالتكبير أربعين مع ان التكبير على الاموات
خمس .

وبالرغم من هاتيك السفاسف التي أرادوا بها الحط من مقام
والدة الامام اظهر الرسول أمام الأمة ما اعرب عن مكانتها من
الدين وانها بعين فاطر السماء حين كفنها بقميصه الذي لا يبلى
لتكن مستورة يوم يعرى الخلق وكان الاضطجاع في قبرها اجابة
لرغبتها فيه عند ما حدثها عن احوال القبر وما يكون فيه من ضغطة
ابن آدم .

فتحصل ان هذا البيت الطاهر بيت أبي طالب بيت توحيد
وإيمان وهدى ورشاد وان من حواه البيت رجالاً ونساء كلهم على
دين واحد منذ هتف داعية الهدى وصدع بأمر الرسالة غير انهم
بين من جاهر باتباع الدعوة وبين من كتم الايمان لضرب من
المصلحة .

(١) مجالس الصدوق ص ١٨٩ مجلس ٥١ .

السفر الى الشام

لقد كانت الروايات في سفر عقيل الى الشام في انه على عهد أخيه الامام أوبعده متضاربة واستظهر ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ٨٢ انه بعد شهادة أمير المؤمنين وجزم به العلامة الجليل السيد علي خان في الدرجات الرفيعة وهو الذي يقوى في النظر بعد ملاحظة مجموع ما يؤثر في هذا الباب ، وعليه تكون وفادته كوفود غيره من الرجال المرضيين عند أهل البيت الى معاوية في تلك الظروف القاسية بعد أن اضطرتهم إليه الحاجة وساقهم وجه الحيلة في الابقاء على النفس والكف من بوادر الرجل فلا هم بملومين بشيء من ذلك ولا يحط من كرامتهم عند الملأ الديني فان للتقية احكاماً لا تنقض ولا يلام المضطر على أمر اضطر إليه .

على أن عقيلاً لم يؤثر عنه يوم وفادته على معاوية اقرار له بإمامة ولا خضوع له عند كرامة وانما المأثور عنه الواقعة فيه والطعن في حبه ونسبه والحط من كرامته والاصجار بمطاعنه مشفوعة بالاشارة الى فضل أخيه أمير المؤمنين .

من ذلك ان معاوية قال له يا أبا يزيد أخبرني عن عسكري
وعسكر أخيك فقال عقيل لقد مررت بعسكر أخي فإذا ليل كليل
رسول الله ونهار كنهاره الا ان رسول الله ليس فيهم وما رأيت فيهم
الا مصلياً ولا سمعت الا قارئاً ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من
المنافقين ممن نفر برسول الله ليلة العقبة (١) .

وقال له معاوية ان علياً قطع قرابتك ولم يصلك فقال عقيل
والله لقد اجزل اخي العطية واعظمها ووصل القرابة وحفظها
وحسن ظنه بالله إذ ساء به مثلك وحفظ أمانته واصلح رعيته اذ
ختم وأفسدتم فاكفف لا أبا لك فانه عما تقول بمعزل (٢) .

ثم صاح يا أهل الشام لقد وجدت أخي قد جعل دينه دون
دنياه وخشي الله على نفسه ولم تأخذه في الله لومة لائم ووجدت
معاوية قد جعل دنياه دون دينه وركب الضلالة واتبع الهوى
فأعطاني ما لم تعرق فيه جبينه ولم تكدح فيه يمينه رزقاً اجراه الله
على يديه وهو المحاسب عليه دوني لا محموداً ولا مشكوراً ثم
التفت الى معاوية وقال اما والله يا ابن هند ما تزال منك سواف
يمرها منك قول وفعل فكأني بك وقد أحاط بك ما الذي منه
تحاذر .

فأطرق معاوية ثم قال ما الذي يعذرني من بني هاشم

وأنشأ :

(١) الدرجات الرفيعة .

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٤ في باب الاجوبة المسكتة .

أزيدهم الاكرام كي يشعبوا العصا
واذا عطفنتي رقتان عليهم
واعطيهم صفو الاخا فكأنني
واغضي عن الذنب الذي لا يقيله
حباً واصطباراً وانعطافاً ورقة
واكظم غيظ القلب اذ ليس يكظم
فيأبوا لدى الاكرام ان لا يكرموا
نأوا حسداً عني فكانوا هم هم
معاً وعطاياي المباحة علقم
من القوم الا الهزبري المقمم
واكظم غيظ القلب اذ ليس يكظم

أما والله يا ابن أبي طالب لولا أن يقال عجل معاوية لحرق
ونكل عن جوابك لتركت هامتك اخف على أيدي الرجال من
حوي الحنظل .

فأجابه عقيل :

عذيرك منهم من يلوم عليهم
لعمرك ما اعطيتهم منك رافة
أبي لهم أن ينزل الذل دارهم
وانهم لم يقبلوا الذل عنوة
فدونك ما اسديت فاشدد يداً به
ومن هو منهم في المقالة اظلم
ولكن لاسباب وحولك علقم
بنو حرة مزهر وعقل مسلم
اذا ما طغا الجبار كانوا هم هم
وخيركم المبسوط والشر فالزموا

ثم رمى عقيل عليه بالمائة ألف درهم وقام من مجلسه
فكتب اليه معاوية : أما بعد يا بني عبد المطلب أنتم والله فروع
قصي ولباب عبد مناف وصفوة هاشم فان احلامكم لراسخة
وعقولكم لكاسية وحفظكم الأوامر وحبكم العشائر ولكم الصفح
الجميل والعفو الجزيل مقرونان بشرف النبوة وعز الرسالة وقد والله
ساءني ما كان جرى ولن أعود لمثله الى أن أغيب في الثرى .

فكتب إليه عقيل :

صدقت وقلت حقاً غير اني أرى الا اراك ولا تراني
ولست أقول سوءاً في صديقي ولكني أصد اذا جفاني
فكتب إليه معاوية يستعطفه ويناشده الصفح وألح عليه في
ذلك فرجع إليه (١) .

فقال له معاوية لم جفوتنا يا أبا يزيد فأنشأ عقيل :
واني امرؤ مني التكرم شيمَةً اذا صاحبي يوماً على الهون اضمرا
وقال يا معاوية لئن كانت الدنيا افرشتك مهادها واطلتك
بسرادقها ومدت عليك اطناب سلطانها ما ذاك بالذي يزيدك مني
رغبة وتخشعاً لرهبة .

فقال معاوية لقد نعتها أبو يزيد نعتاً هش له قلبي ثم قال له
لقد أصبحت يا أبا يزيد علينا كريماً وإلينا حبيباً وما أصبحت اضمر
لك إساءة (٢) .

هذا حال عقيل مع معاوية وحينئذ فأني نقص يلم به والحالة
هذه وعلى الوصف الذي أتينا به تعرف انه لا صحة لما رواه
المتساهلون في النقل من كونه مع معاوية بصفين فانه مما لم
يتأكد اسناده ولا عرف متنه ويضاده جميع ما ذكرناه كما يبعده
كتابه من مكة الى أمير المؤمنين حين أغار الضحاك على الحيرة
وما والاها وذلك بعد حادثة صفين وهذه صورة الكتاب :

(١) ربيع الابرار للزخشي .

(٢) العقد الفريد ج ١ ص ١٣٥ .

لعبد الله أمير المؤمنين من عقيل بن أبي طالب سلام عليك
فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن الله حارسك
من كل سوء وعاصمك من كل مكروه وعلى كل حال فاني خرجت
الى مكة معتمراً فلقيت عبد الله ابن أبي سرح مقبلاً من « قديد »
في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء فعرفت المنكر في
وجوههم فقلت الى أين يا أبناء الشائين أبعادية لاحقون عداوة
الله منكم غير مستنكرة تريدون اطفاء نور الله وتبديل أمره .

فاسمعي القوم واسمعتهم فلما قدمت مكة سمعت أهلها
يتحدثون ان الضحاك بن قيس اغار على الحيرة فاحتمل من
اموالها ما شاء ثم انكفاً راجعاً سالماً وان الحياة في دهر جراً
عليك الضحاك لذميمة وما الضحاك الا فقع بقرقر وقد توهمت
حيث بلغني ذلك ان شيعتك وأنصارك خذلوك فاكتب إلي يا ابن
أبي برأيك فان كنت الموت تريد تحملت إليك ببني أخيك وولد
أبيك فعشنا معك ما عشت ومنتنا معك إذا مت فوالله ما احب أن
أبقى في الدنيا بعدك فواق ناقة واقسم بالاعز الأجل ان عيشاً
نعيشه بعدك لأهناً ولأمراً ولا نجيع والسلام .

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام :

من عبد الله أمير المؤمنين الى عقيل بن أبي طالب سلام
عليك فاني احمد إليك الله الذي لا إله الا هو أما بعد كلأنا الله
وإياك كلأة من يغشاه بالغيب انه حميد مجيد .

وقد وصل اليّ كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدي تذكر

فيه انك لقيت عبد الله بن أبي سرح مقبلاً من « قديد » في نحو
من أربعين فارساً من أبناء الطلقاء متوجهين الى جهة المغرب وان
ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه وصد عن سبيله وبلغها
عوجاً فدع عنك ابن أبي سرح ودع عنك قريشاً وتركاضهم في
الضلال وتجوالمهم في الشقاق الا وان العرب قد أجمعت على
حرب أخيك اليوم اجماعها على حرب النبي قبل اليوم فاصبحوا
قد جهلوا حقه وجحدوا فضله وبادروه بالعداوة ونصبوا له الحرب
وجهدوا عليه الجهد وجروا اليه جيش الاحزاب اللهم فاجز قريشاً
عني الجوازي فقد قطعت رحمي وتظاهرت علي ودفعتني عن
حقي وسلبتني سلطان ابن أمي وسلمت ذلك الي من ليس مثلي
في قرابتي من الرسول وسابقتي في الاسلام الا يدعي مدع ما لا
أعرفه ولا أظن الله يعرفه والحمد لله على كل حال .

وأما ما ذكرت من غارة الضحاك على أهل الحيرة فهو أقل
وأقل ان يسلب بها وان يدنو منها ولكنه قد أقبل في جريدة خيل
فأخذ على السماوة حتى قربوا من واقصة وشراف والقطقانة وما
والى ذلك الصقع فوجهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين فلما بلغه
ذلك فرّ هارباً فاتبعوه ولحقوه ببعض الطريق وقد أمعن وكان ذلك
حين طفلت الشمس للاياب فتناوشوا القتال قليلاً فلم يبصر الا
بوقع المشرفية وولى هارباً وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً ونجا
مريضاً بعدما أخذ منه بالمخنق فلأياً بلأي ما نجا .

وأما ما سألتني ان اكتب اليك برأيي فيما أنا فيه فان رأيي
جهاد المحلين حتى ألقى الله لا تزدني كثرة الناس عزة ولا تفرقهم

عني وحشة لأنني محق والله مع المحق ووالله ما أكره الموت على الحق
وما الخير كله إلا بعد الموت لمن كان محقاً .

وأما ما عرضت به من مسيرك الى بنيك وبني أبيك فلا
حاجة لي في ذلك فأقم راشداً محموداً فوالله ما احب أن تهلكوا
معي ان هلكت ولا تحسبن ابن أبيك لو أسلمه الناس متخشعاً ولا
متضرعاً انه لكما قال اخو بني سليم :

فان تسأليني كيف أنت فأنني صبور على ريب الزمان صليب
يعز علي أن ترى بي كآبة فيشمت باغ أو يساء حبيب

وهذا الكتاب من عقيل المروى بطرق متعددة^(١) يدلنا على
انه كان مع أخيه الامام في حياته غير مفارق له فان الكتاب الذي
كتبه اليه بعد غارة الضحاك على أطراف أعماله وذلك قرب شهادة
أمير المؤمنين .

إذاً فالقول بأن وفادة عقيل على معاوية بعد أخيه متعين كما
اختاره السيد المحقق في الدرجات الرفيعة وجعله ابن أبي الحديد
الاظهر عنده وقد وضع من ذلك انه لم يكن مع معاوية بصفين .

(١) روى الكتابين أبو الفرج في الاغانى ج ١٥ ص ٤٤ وابن أبي الحديد في شرح النهج
ج ١ ص ١٥٥ وابن قتيبة في الامامة والسياسة ج ١ ص ٤٥ والسيد علي خان في الدرجات
الرفيعة ترجمة عقيل وفي جمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٥٩٦ .

الحديده

أما حديث الحديده المحممة التي أدناها منه أمير المؤمنين فليس فيها ما يدل على اقترافه ائماً أو خروجاً عن طاعة فان أمير المؤمنين أراد بذلك تهذيبه بأكثر مما تنهذب به العامة كما هو المطلوب من مثل عقيل والمناسب لمقامه فعرفه « سيّد الأوصياء » أن انساناً بلغ من الضعف الى أن يثنّ من قرب الحديده المحممة بنار الدنيا من دون أن تمسه ، كيف يتحمل نار الآخرة في لظى نزاعة للشوي وهو مضطرم بين أوارها فمن واجب الانسان الكامل التبعد منها بكبح النهمة وكسر سورة الجشع والمكابدة للملمات القاسية فهي مجلبة لمرضاة الرب ومكسبة لغفرانه وان كان غيره من أفراد الرعية يتبّع عنها بترك المحرمات فحقيق بمثله وهو ابن بيت الوحي ورجالات عصبة الخلافة التجنب حتى عن المكروهات وما لا يلائم مقامه من المباحات ويروض نفسه بترك ذلك كله حتى تقتدي به الطبقات الواطئة بما يسعهم أو يسلون أنفسهم بمقاسات مثل عقيل الشدائد في دنياه فلا يبهضم الفقر الملم والكرب المدلهم قرب مباح ينقم عليه من مثله ولا يلام من

هو دونه بارتكابه فان « حسنات الابرار سيئات المقربين » .
وأمير المؤمنين أراد أن يوقف اخاه على هذا الخطر الممنع
الذي حواه وقد ذهل عنه في ساعته تلك .

افتراء

قال الصفدي لقد بغض عقيل الى الناس ذكره مثالب قريش وما أوتي من فضل وعلم بالنسب والسرعة في الجواب حتى قالوا فيه الباطل ونسبوه الى الحمق^(١) واختلقوا عليه أحاديث كان بعيداً عنها فوضعوا على لسان أمير المؤمنين ما ينقص من قدره ويحط من كرامته زعماً منهم أن في ذلك تشويهاً لأهل هذا البيت الطاهر بيت أبي طالب بإخراجهم عن مستوى الانسانية فضلاً عن الدين بعد أن أعوزتهم الوقعة في سيد الاوصياء بشيء من تلك المفتريات فطفقوا يشوهون مقام أبيه وحامته ولكن لا ينطلي ذلك على الجيل المنقب حتى كشف عن تلك النوايا السيئة وعرف الملاءم افتعال الحديث وبعده عن الصواب .

قالوا في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام : ما زلت مظلوماً منذ كنت صغيراً ان عقيل ليرمد فيقول لا تذرني حتى تذرنا علياً فاضطجع واذرى وما بي رمد .

(١) نكت الهميان ص ٢٠٠ .

لا أقرأ هذا الحديث الا ويأخذني العجب كيف رضي
المفتعل بهذه الفرية البينة فان أمير المؤمنين ولد ولعقيل عشرون
سنة وهل يعتقد أحد أو يظن أن إنساناً له من العمر ذلك المقدار
إذا اقتضى صلاحه شرب الدواء يمتنع منه الا اذا شرب مثله اخوه
البالغ سنة واحدة أو سنتين كلاً لا يفعله أي أحد وان بلغ الغاية
في الخسة والضعف فكيف بمثل عقيل المتربي بحجر أبي طالب
والمرتضع در المعرفة خصوصاً مع ما يشاهد من الآيات الباهرة من
أخيه الامام منذ ولادته ، نعم الضغائن والاحقاد حبذت لمن تخلق
بها التردد في العمي والخطب في الضلال من دون روية أو تفكير
﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا
إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ .

نعم كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول غير مرة : « ما
زلت مظلوماً »^(١) من دون تلك الزيادة يعني بذلك دفعه عن حقه
الواجب على الامة القيام به والميل عنه وتعطيل أحكام الله بالأخذ
من غيره وتقديم من ليس له قدم ثابت في كل مكرمة ولا نص من
صاحب الشريعة ولا فقه ناجع ولا اقدام في الحروب .

وحيث ان في هذه الكلمة خطأ بمن ناواه زحزحوها عنهم
والصقوها بذلك السيد الكريم وما أسرع أن عاد السهم فكان
كالباحث عن حتفه بظلفه .

(١) الشافي للسيد المرتضى ص ٢٠٣ .

الخلف عن عقيل

الخلف الصالح يخلد ذكر سلفه فلا يزال ذكره حياً بعمره الثاني من ذكر جميل وثناء جزيل وترحم متواصل واستغفار له منه وممن تعرف به وفي الحديث ان ابن آدم إذا مات انقطع عمله من الدنيا الا من ثلاث وعدّ منها الولد الصالح ومن أجلى الواضحات ان هذا التذكير يختلف حسب تدرج الاولاد في المآثر فمهما كان قسطهم منها أكثر فهم لمجد آبائهم أخلد وكذلك الاسلاف فكلما كانوا في الشرف والسؤدد أقرب فانتشار فضلهم بصالحي خلفهم أسرع .

إذا فما ظنك بمثل عقيل بن أبي طالب ذلك الشريف المبجل وقد خلفه « شهيد الكوفة » وولده الاطايب « شهداء الطف »^(١) الذين لم يسبقهم ولا يلحقهم لاحق فلو لم يكن لعقيل شيء من الخطر والعظمة لتسئم بهؤلاء الأكارم أوج العلى والرفعة.

(١) في كامل الزيارة ص ١٠٧ كان علي بن الحسين يميل الى ولد عقيل فقيل له ما بالك تميل الى بني عمك هؤلاء دون آل جعفر فقال عليه السلام اني لاذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين عليه السلام فأرق لهم .

وكم أب قد علا بابن ذرى شرف كما علا برسول الله عدنان
وكيف به وهو من أشرف عنصر في العالم كله !؟

ولم يزل له ذكر خالد في أحفاده المتعاقبين فانهم بين علماء
اعاظم وفقهاء مبرزين وشعراء ومحدثين وامراء صالحين ونسابين
وقد انتشروا في مصر ونصيبين واليمن وحلب وبيروت والمدينة
والكوفة والحلة وطبرستان وخراسان وجرجان وكرمان وقم
واصفهان .

وكان القاسم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن
أبي طالب فاضلاً تقياً .

وأخوه عقيل جليل ثقة ثبت صاحب حديث وعمهما عقيل بن
عبد الله نسابة مشجراً وحفيد عقيل هذا جعفر بن عبد الله
الاصفهاني عالم نسابة شيخ شبل ابن نكبن مات سنة ٣٣٤ هـ .

ومحمد بن مسلم بن عقيل بن عبد الله بن محمد بن عقيل
بن أبي طالب يعرف بابن المزينة كان أمير المدينة قتلة ابن أبي
الساج .

وابنه أبو القاسم احمد بن محمد المذكور كان له أدب
وفضل مات سنة ٣٣٠ هجرية .

والعباس بن عيسى الاوقصي ولي القضاء للداعي الكبير
الحسن بن زيد على جرجان وقد أولد بكر مان^(١) ومن أحفاد عقيل

(١) انظر ذلك في عمدة الطالب .

العلامة الجليل السيد اسماعيل بن احمد النوري الطبرسي من
علمائنا الأعظم شارح نجات العباد لشيخ الطائفة المحقق الحجة
« صاحب الجواهر » قدس سره طبع منها جزآن الى آخر الزكاة وله
كفاية الموحدين مطبوعة .

وكان في كربلاء المشرفة بيت كبير وطائفة جليلة يعرفون
بالعقيلين لهم أوقاف كثيرة وقد انقرضوا وبقي منهم رجل واحد .

الطيار

وأما جعفر بن أبي طالب فحسبه من العظمة شهادة الرسول الاقدس بأنه يشبهه خلقاً وخلقاً ذلك الخلق الكريم الموصوف في الذكر الحكيم بقوله عز شأنه : ﴿وانك لعلی خلق عظیم﴾ وحيث لم ينص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على صفة خاصة من اخلاقه فلا جرم من شمول تلك الكلمة الذهبية « اشبهت خلقي وخلقي » لجميع ما اتصف به الرسول حتى الدنس من الرجس والآثام .

ولو تنازلنا عن القول بعموم التشبيه لهذه الخاصة فلا بد من القول بتحقيق اظهر صفات المشبه به للمشبه ولا شك في أن ذلك المعنى اظهر ما في خلقه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

وغير خاف ان هذه الكلمة قالها النبي لما تنازع عنده أمير المؤمنين وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة في ابنة حمزة بن عبد المطلب وكان كل منهم يريد القيام بتربيتها .

وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما خرج من مكة

بعد انقضاء الأجل بينه وبين أهل مكة في عمرة القضاء الواقعة في السنة السابعة للهجرة تبعته ابنة حمزة تقول يا عم خذني معك فأخذها أمير المؤمنين ودفعها الى فاطمة عليها السلام وفي المدينة جرى ذلك النزاع بينهم فقال رسول الله لزيد أنت أخوها ومولانا وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي وقال لأمير المؤمنين « أنت مني وأنا منك » ثم قضى بها للخالة وهي أسماء بنت عميس (١) .

هذا هو الحديث المذكور في الجوامع والنظرة الصادقة فيه تفيدنا معرفة السر في اختلاف خطاب النبي مع ابني عمه وكل منهما نصح له في التلبية على الدعوة الالهية واخلص في المفاداة في سبيل تبليغ الرسالة خصوصاً مع معرفته بأساليب المحاوراة لانه سيّد البلغاء « ولا ينطق عن الهوى » فلا جرم حينئذ من كون الوجه فيه هو الاشارة الى صفة سامية تحلّى بها أمير المؤمنين وتخلّى عنها جعفر وليست هي الا خلافة الله الكبرى فان علياً عليه السلام حامل ما عند رسول الله الأعظم من علم متدفق وفقه ناجع وخبرة شاملة وتأمل فياض وخلق عظيم لا يستطيع البشر القيام به وهذا هو الذي تفيده المنزلة في قوله « أنت مني وأنا منك » بعد فرض المباينة بينهما في الحدود الشخصية والنبي لا ينطق ساهياً ولا لاهياً فلا بد أن يكون قاصداً تلك المنزلة الكبرى التي لم يحوها جعفر وان بلغ في خدمة الدين كل مبلغ .

(١) أخرج الحديث البخاري في صحيحه ج ٣ ص ٥٠ في عمرة القضاء والحاكم في

المستدرک ج ٣ ص ٢٢٠ والخلبي في السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٦ وابن دحلان بهامشها ج ٢ ص ٢٦١ .

وهذا النزاع انما هو في الحضانة التي هي سلطنة وولاية على تربية الطفل وإدارة شؤونه وقد كان لابنه حمزة يومئذ أربع سنين وهذا القضاء ، كما يفيدنا سقوط حضانة الام إذا تزوجت ، تفيدنا أولوية الخالة على العمّة فان عمّتها صفيّة كانت موجودة يومئذ وامها سلمى متزوجة بشداد بن الهادي اللبّثي حليف بني هاشم .

ويرشدنا طلب أمير المؤمنين الحضانة الى ان أولوية الخالة على غيرها من الاقارب انما هو عند المخاصمة والا فلم يخف الحكم على سيّد الوصيين وهو مستقى الاحكام وينبوعها وقد امتزجت ذاته المقدسة بالمعارف الالهية والاسرار الربوبية واستمد من اللوح المحفوظ .

ولعل السر الدقيق في مخاصمته معهما تعريف الامة مقامه الرفيع ومنزلته الكبرى التي لا يدانيها كل احد والواجب عليه بما انه المنقذ الأكبر وامام الامة ارشادها الى الطريق اللائح بأي نحو من أنحاء الكلام .

لقد كان جعفر ملازماً لصاحب الرسالة ملازمة الظل لديه يرقب أفعاله وتروكه ويسمع تعاليمه وعظاته ويبصر اعماله وحكمه ويقتص أثره منذ كان يصل جناح الرسول الايسر في الصلاة بعد أمير المؤمنين وخديجة الكبرى .

وكانت قريش تخبط في غلواء جحودها وتغلي مراجل بغضائها على الصادع بالدين الحنيف وعلى كل ذلك تمرنه التعاليم النبوية الخاصة به وتكهربه تهذبات المشرع الاظهر ولا

تدعه جاذبة الدعوة الالهية يلوي يمينا ولا شمالاً .

ومن هنا أئتمنه صاحب الرسالة على نشر كلمة التوحيد وعلى ضعفاء المسلمين يوم بعثه الى الحبشة في السنة الخامسة من الهجرة فأدى النصيحة ونهض بالدعوة حتى استمال النجاشي الى الاسلام فأمن غير ان منيته حالت دون امنيته .

ولو لم يكن جعفر بتلك المنزلة الرفيعة لما تعاقبت مفاخرات أئمة الدين به كما افتخروا بعمه أسد الله وأسد رسوله في كثير من مفاخراتهم ففي احتجاج الطبرسي ان أمير المؤمنين احتج على أهل الشورى بأن أخاه جعفر المزين بجناحين في الجنة يحل فيها حيث شاء فلم يرد عليه أحد بل قبلوه بالتسليم والقبول .

وفي نهج البلاغة فيما كتب به الى معاوية ان قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل له الطيار في الجنة وذو الجناحين .

فلو لم يكن كفاحه عن الدين عن بصيرة نافذة ويقين ثابت لما افتخر به المعصومون والعارفون بمآل العباد حتى جعلوا مواقفه في الدين ذريعة الى التوسل الى مطلوبهم .

ولحزمه الثابت ومواقفه المحمودة واصابته في الرأي وقديم إيمانه أمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة مؤتة على المسلمين ولم يجعل عليه أميراً فإذا قتل فالأمير زيد بن حارثة فان قتل فالأمير عبد الله بن رواحة^(١) فما ذهب إليه فريق من المؤرخين

(١) تاريخ يعقوب ج ٢ واعلام الورى ص ٦٤ ومناقب ابن شهر اشرب ج ١ ص ١٤٣ .

من تقديم زيد وابن رواحة عليه يدفعه صحيح الاثر والاعتبار
الصادق .

وهذه العظمة هي التي تركت قدمه من الحبشة يوم فتح
خيبر أعظم موهبة منح الله تعالى بها نبه تعادل ذلك الفتح المبين
حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم « ما أدري بأيهما أسرّ بقدم
جعفر أم بفتح خيبر » ثم قال له ألا احبوك ألا امنحك فظن الناس
انه يعطيه ذهباً وفضة لما فتح الله عليه من خيبر فقال له جعفر بلى
يا رسول الله فعلمه صلاة التسبيح وهي المعروفة بصلاة جعفر^(١) .

وهذه الحبوقة من الرسول الكريم لابن أخيه حيث علم ان
من فرط قداسته لا يروقه الا ما كان من عالم القدس فخلع عليه
بها وجعله وسام شرف له وهي من المتواترات بين العامة والخاصة
كما نص عليه المجلسي في البحار .

ولكن شردمة من مناوئي أهل البيت لم يرق لهم ثبوت تلك
المنحة لأخي أمير المؤمنين وحيث لم يسعهم أن يلصقوها بواحد
منهم زحزحوها الى العباس بن عبد المطلب كما في شفاء السقام
للسيد جعفر الكتاني صفحة ٢٠ .

وقد كشفت الحقيقة عن نفسها وأماطت ستار التمويه بافعال
هذه النسبة من عكرمة مولى ابن عباس الكذاب بنص الذهبي في
الميزان وياقوت في المعجم وابن خلكان في الوفيات بترجمته .

(١) انظر الكافي والهداية للصدوق وجمال الاسبوع ودعوات الراوندي وأربعين الشهيد .

اخوته

ان حاجة الباحث في تاريخ أبي الفضل عليه السلام ماسة الى معرفة اخوته الأكارم لمناسبات هناك فان منهم من يعد قربه منه فضيلة رابية وشرفاً باذخاً فضلاً عن الاخوة وهما الامامان على الامة ان قاما وان قعدا^(١) وإذا كانت بنوتهما لأمير المؤمنين معدودة من فضائله مع ما له من الفضائل التي لا يأتي عليها الحصر كما يظهر من قوله عليه السلام يوم الشورى : « أنشدكم بالله هل فيكم أحد له مثل الحسن والحسين ابني رسول الله وسيدي شباب أهل الجنة غيري قالوا : لا . »^(٢) كما انه عليه السلام إفتخر بهما يوم كتب إليه معاوية ان لي فضائل كان أبي سيداً في الجاهلية وصرت ملكاً في الاسلام وأنا صهر رسول الله وخال المؤمنين وكاتب

(١) كشف الغمة ص ١٥٩ ومراد النبي صلّى الله عليه وآله ان الامامة التي هي المنصب الالهي لا تزول عنها مع القعود عن الحرب والنهوض الى الجهاد فكل من الامامين انما قام بما يقتضيه صلاحه من دون ان يدنو الى أي منها لائمة ومراده من القاعد هو الامام المجتبي ومن القائم الشهيد والتثنية في الفعلين للتغلب .

(٢) خصال الصدوق وامالي الشيخ الطوسي واحتجاج الطبرسي وارشاد القلوب .

الوحي فكتب إليه أمير المؤمنين أبياتاً سبعة ذكر فيها مصاهرتة من رسول الله وان عمه سيّد الشهداء وأخاه الطيار مع الملائكة في الجنان وسبقه الى الاسلام واخذ البيعة له (يوم الغدير) وان ولديه سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(١) .

وحيثذ فأخوة العباس لهما أولى ان تعقد منهما مآثره وفضائله اصف الى ذلك ما استفاده منهما من العلوم والمعارف الالهية .

ومنهم من يجمعه وإياه جامع العقب فان المعقبين من أولاد أمير المؤمنين الإمامان والعباس ومحمد بن الحنفية وعمر الاطرف .

ومنهم من شاركه في موقف الطف .

ومنهم من يعد هو وإياه تحت جامع الامومة .

ومنهم من شاركه في الاسم .

وعليه فأولاد أمير المؤمنين الذكور ستة عشر .

الحسن والحسين والمحسن - امهم سيدة نساء العالمين .

محمد بن الحنفية - أمه خولة .

العباس وعبد الله و جعفر وعثمان - امهم ام البنين .

عمر الاطرف والعباس الاصغر - امهما الصهباء .

محمد الاصغر - أمه امامة بنت أبي العاص .

يحيى وعون - امهما اسماء بنت عميس .

عبد الله وأبو بكر - امهما ليلى بنت مسعود .

(١) ذكر العلامة الاميني في الغدير ج٢ ص٢٤ الشعر وأشار الى من ذكره من العلماء .

محمد الأوسط - امه أم ولد^(١) .

أما الإمامان فالأحرى ان نجعجع اليراع عن التبسط في فضلها وموقفهما من القداسة ومحلها من الزلفى وما أوتيا من حول وطول والبسطة في العلم فان الوقوف على كنه ذلك فوق مرتكز العقول .

وأما المحسن بتشديد السين كما في تاج العروس بمادة شبر والاصابة بترجمته وضم الميم وسكون الحاء كما في حاشية السيد محمد الحنفي على شرح ابن حجر لهمزية البويصري ص ٢٥١ .

فعند الامامية ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمّاه باسم ابن هارون مشير كمحدث كما في القاموس وغيره وكان حملاً وبعد وفاته اسقطته فاطمة الزهراء لستة أشهر والروايات التي ذكرها ابن طاووس في (الطرف) وغيره في غيرها تساعدهم .

(١) ذكر هذا العدد عدى العباس الاصغر ابن جرير في التاريخ ج ٦ ص ٨٩ .

ابن الحنفية

وما محمد الاكبر الذي يجمعه وإياه جامع العقب فيكنى
بابن الحنفية وهي امه خولة بنت جعفر بن قيس من بني الدئل ابن
حنيفة ابن لجيم وامها بنت عمرو بن أرقم الحنفي .

واختلف في أمرها انها سبية أيام رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم لما بعث علياً الى اليمن فأصاب خولة في بني زبيد
وقد ارتدوا مع عمرو بن معد يكرب وكانت زبيد سبتها من بني
حنيفة في غارة لهم عليهم .

وقيل ان خالد بن الوليد قاتل اهلها أيام أبي بكر فسباهم
فهي من جملة السبايا فدفعها أبو بكر من سهمه في المغنم .

وقيل ان بني أسد أغارت على بني حنيفة أيام أبي بكر فسبوا
خولة وباعوها من علي عليه السلام فبلغ قومها خبرها فجاءوا الى
علي عليه السلام فعرفوه انها ابنتهم فاعتقها وأمهرها وتزوجها^(١) .

وقيل انها سبيت أيام أبي بكر فاشتراها اسامة بن زيد وباعها

(١) شرح النهج الحديدي ج ١ ص ٨١ .

من عليّ عليه السلام .

وفي حديث أسماء بنت عميس ان أمير المؤمنين عليه السلام اشتراها من سوق ذي المجاز أو ان مقدمه من اليمن فوهبها فاطمة عليها السلام فباعتها من مكمل الغفاري فولدت منه عونة ثم باعها من عليّ عليه السلام .

ويحكي ابن خلكان في الوفيات قولاً انها سنديّة امة لبني حنيفة سوداء وحكاه الشيخ الجليل ابن ادريس الحلبي في مزار السرائر عن ابن حبيب النسابة وقال انه جهل منه وقلة تأمل .

ويروي القطب الراوندي في الخرايج انها سببت أيام أبي بكر وان الزبير وطلحة طرحا عليها ثوبيهما طلباً للاختصاص بها فصاحت لا يملكني الا من يخبرني بالرؤيا التي رأتها امي وعن اللوح الذي كتبت فيه الرؤيا وما قالت لي فعجزوا عن معرفته الا أمير المؤمنين أوضح لها في ملأ من المسلمين امرأ غيبياً عجب منه الحاضرون فعندها قالت من اجلك سبينا ولحكك أصابنا ما أصابنا .

ولم يعبء السيد المرتضى في (الشافعي) بجميع ذلك فقال لم تكن الحنفية سبية على الحقيقة ولم يستبحها أمير المؤمنين بالسبي لأنها بالاسلام صارت حرة مالكة أمرها فأخرجها من يد من استرقها ثم عقد عليها عقد النكاح .

وما ذكره هو الصحيح المقبول فان الردة المزعومة لا توجب احكام الكفر ومنع الزكاة وأمثالها على التأويل فليس فيه خروج

عن ربيعة الاسلام .

وأما ولادة محمد فقليل انها أيام أبي بكر وقيل أيام عمر
وخصها ابن خلكان بأول المحرم لسنتين بقيتا من خلافة عمر واذا
علمنا أن عمر مات سنة ثلاث وعشرين كانت ولادته سنة احدى
وعشرين وأما على رأي ابن كثير في البداية ج ٩ ص ٣٨ وسبط ابن
الجوزي في التذكرة من وفاته سنة احدى وثمانين عن خمس
وستين تكون ولادته سنة ستة عشر للهجرة .

وأما قبره فعند ابن قتيبة في المعارف ص ٩٥ بالطائف وفي
تذكرة الخواص بايلة مدينة مما يلي الشام وفي حلية الأولياء ج ٣
ص ١٧٣ وتهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٥٥ بالمدينة المنورة وعينه ابن
كثير بالبقيع وفي معجم البلدان ج ٣ ص ٣٨٧ ان اهل جزيرة خارك
التي هي في وسط البحر الفارسي يزعمون ان بها قبر محمد بن
الحنفية يقول الحموي وقد زرت هذا القبر فيها ولكن التواريخ
تأباه .

واعتقاد الكيسانية حياته في جبل رضوي يأتيه رزقه وله عودة
من الخرافات للاتفاق على موته .

وان كلمة الامام الحسن السبط تدلنا على فضله الشامخ
وورعه الثابت ونزاهته عن كل دنس ومعرفته بالامام الواجب اتباعه
قال الشيخ الجليل الطبرسي من أعلام القرن السادس في (أعلام
الورى) .

ارسل الحسن بن أمير المؤمنين قنبراً خلف محمد بن

الحنفية فلما مثل بين يديه قال له : اجلس فليس يغيب مثلك من كلام يحيي به الأموات ويموت به الاحياء .

كونوا أوعية العلم ومصايح الدجى فان ضوء النهار بعضه أضوء من بعض أما علمت ان الله عز وجل جعل ولد ابراهيم عليه السلام أئمة وفضل بعضهم على بعض وآتى داوود زبوراً وقد علمت بما استأثر الله تعالى محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

يا محمد بن علي لا أخاف عليك الحسد وانما وصف الله به الكافرين فقال تعالى : ﴿كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾ ولم يجعل الله للشيطان عليك سلطاناً .

يا محمد بن علي ألا أخبرك بما سمعت من أبيك فيك قال بلى فقال سمعت أباك يقول يوم البصرة من أحب ان يبرني في الدنيا والآخرة فليبر محمدأ .

يا محمد بن علي لو شئت ان اخبرك وأنت في ظهر أبيك لأخبرتك .

يا محمد بن علي أما علمت ان الحسين بن علي بعد وفاة نفسي ومفارقة روعي جسمي إمام من بعدي عند الله في الكتاب الماضي ووراثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصابها في وراثه أبيه وأمه علم الله انكم خير خلقه فاصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم علياً واختارني علي للإمامة واخترت أنا الحسين .

فقال له محمد بن علي أنت إمامي وأنت وسيلتي الى محمد والله لو ددت أن نفسي ذهبت قبل أن اسمع منك هذا الكلام الا

وان في نفسي كلاماً لا تنزفه الدلاء ولا تغيره الرياح كالكتاب المعجم في الرق المنمنم أهم بابدائه فأجدني سبقت اليه سبق الكتاب المنزل وما جاءت به الرسل وانه لكلام يكلم به لسان الناطق ويد الكاتب ولا يبلغ فضلك وكذلك يجزي الله المحسنين ولا قوة الا بالله .

ان الحسين اعلمنا علماً واثقلنا حلاً واقربنا من رسول الله رحماً كان إماماً فقيهاً قبل أن يخلق وقرأ الوحي قبل أن ينطق ولو علم الله ان احداً خيراً منا ما اصطفى محمداً فلما اختار الله محمداً واختار محمد علياً واختارك عليّ واخترت الحسين بعدك سلمنا ورضينا بمن هو الرضا وبه نسلم المشكلات .

وهذه الوصية تفيدنا عظمة ابن الحنفية من ناحية الايمان وانه من عياب العلم ومناجم التقى فأى رجل يشهد له امام وقته بان الله لم يجعل للشيطان عليه سلطاناً وانه لا يخشى عليه من ناحية الحسد الذي لا يخلو منه أو من شيء من موجباته أي أحد لم يبلغ درجة الكمال ثم أي رجل أناط أمير المؤمنين البر به بالبر بنفسه التي يجب على كافة المؤمنين أن يبروا بها .

على أن الظاهر من قول المجتبي (أما علمت ان الحسين) هو ان علم محمد بالامامة لم يكن بمحض النص المتأخر وان اكده ذلك وانما هو بعلم مخصوص برجال بيت الوحي مكنون عندهم بالاحاطة بالكتاب الماضي والقدر الجاري ويرشدنا الى هذا قول ابن الحنفية (ان في رأسي) الخ فانه اظهر من سابقه فيما قلنا وكلماته الذهبية في الاعتراف بحق الامامين تدلنا على

ثباته المستقى من عين صافية بارشية من الحق وما هي الا ذلك اللوح المحفوظ .

أضف الى ذلك ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله (تأبى المحامدة ان يعصى الله وهم محمد بن الحنفية ومحمد بن جعفر الطيار ومحمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة وهو ابن خال معاوية بن أبي سفيان)^(١) وهذه شهادة من سيد الأوصياء في حق ولده الكريم محمد قد اخذت مأخذها من الفضيلة واحلت محمداً المحل الأرفع من الدين وأقلته سنام العز في مستوى الايمان .

وان شهادة أمير المؤمنين بأنه ممن يأبى أن يعصى الله تعرفنا عدم ادعائه الامامة لنفسه بعد الحسين فان تسليمه الامامة للسجاد لا يختلف فيه اثنان واستدعاؤه الامام للمحاكمة عند الحجر الأسود من أكبر الشواهد على تفننه في تنبيه الناس لمن يجب عليهم الانقياد له .

(١) رجال الكشي ص ٤٧ وفيه ان محمد ابن أبي حذيفة كان من أنصار علي وخيار الشيعة وبعد شهادة علي حبسه معاوية دهرأ حيث لم يتبرأ من المشايعة لعلي وولده وبعد ان اخرجه حمله على البراءة منه والموالاتة لعثمان فقال له اني لا اعلم احداً شرك في دم عثمان غيرك حيث استعملك وخالف المسلمين في رأيهم عليه بعزلك حتى جرى عليه ما كان وان طلحة والزبير وعائشة هم الذين البوا عليه وشهدوا عليه بالجرمة واني أشهد انك منذ عرفت في الجاهلية والاسلام لعلي خلق واحد ما زاد الاسلام فيك شيئاً وعلامته انك تلومني على حبي لعلي وقد خرج معه كل صوام قوام من المهاجرين والأنصار كما خرج معك ابناء المنافقين والطلاقاء والله يا معاوية ما خفي عليك ما صنعت ولا خفي عليهم ما صنعوا اذ احلوا انفسهم سخط الله بطاعتك واني لا أزال احب علياً لله ورسوله وابغضك في الله ورسوله ابداً ما بقيت ثم رده الى السجن فمات فيه .

وعدم حضوره مشهد الطف اما لما يقوله العلامة الحلبي في
أجوبة المسائل المهنائية من المرض أو لما يروي محمد بن أبي
طالب في المقتل من اذن الحسين له في البقاء بالمدينة يعرفه بما
يحدث هناك فهو معذور مقبول .

ولبسالته المعلومة وموقفه من الحق انزله أبوه يوم (الجمل)
منزلة يده فكان يخوض الغمرات أمامه ويمضي عند مشتبك
الحرب قدماً وكان يقول له عند امره لمنازلة الاقران دون الامامين
انهما عيناى وأنت يدي أفلا أذفع بيدي عن عيني .

وناهيك من بلاغته المزيجة بالشجاعة خطبته يوم صفين وقد
برز بين الصفين فأومى الى عسكر معاوية وقال :

يا أهل الشام اخسثوا يا ذرية النفاق وحشو النار وحطب
جهنم الى آخر كلامه المروي في تذكرة الخواص لسبط ابن
الجوزي ص ١٦٧ ومناقب الخوارزمي ص ١٣٤ فكان لهذه الخطبة
البليغة موقع تام في ذلك الجيش اللجب والجمع المتكاثف ولم
يبق في الفريقين الا من اعترف بفضله .

الاطرف

واما عمر الاطرف فكما شاركه في العقب وقع الخلاف من
أهل النساء في أيهما أسبق في الولادة فالذي عليه ابن شهاب
العكبري وأبو الحسن الاشناني وابن جداع تقدم ولادة عمرو عند
شيخ الشرف العبيدلي والبغدادى وأبي الغنائم العمري تقدم ولادة
العباس عليه السلام^(١) .

ولا يمكننا الحكم بشيء بعد جهالة السنة التي توفي فيها
وذكرها على الاجمال في زمن عبد الملك أو ابنه الوليد لا يغني
وان عرفوا مقدار عمره بخمس وثمانين أو خمس وسبعين .

نعم يظهر من المؤرخين عند ذكر أولاد أمير المؤمنين عليه
السلام ان العباس أكبر منه لأنهم يقدمون ذكر العباس واخوته على
عمر على ان الداودي في العمدة ص ٣٥٤ يقول كان عمر آخر
من ولد من بني علي عليه السلام .

وعلى كل حال فالوجه في تسميته بالاطرف انما هو بعد

(١) عمدة الطالب ص ٣٥٠ .

ولادة عمر الاشراف بن الامام السجاد عليه السلام اخو زيد الشهيد لأمه فانه سمي بالاشرف لجمعه الفضيلة من ولادة علي وفاطمة عليهما السلام والاطرف حاز الفضل من طرف أبيه^(١) .

ولم يحضر مع الحسين في الطف ولا مع مصعب بن الزبير وقد وهم من ذكره في المستشهدين يوم الطف كما أخطأ الدينوري في الاخبار الطوال ص ٢٩٧ في عدة من جملة من قتل مع مصعب في الحرب القائمة بينه وبين المختار واغرب منه عد اليافعي له في مرآة الجنان ج ١ ص ١٤٣ في جملة المقتولين مع المختار لأن المشهور بين المؤرخين بقاؤه الى بعد الحسين حتى نازع السجاد في الصدقات الى عبد الملك فلم ينجح كما نازع الحسن المثنى فيها عند الحجاج فطرده عبد الملك عنها^(٢) .

ويروي السيد ابن طاووس انه أشار على الحسين بالبيعة ليزيد فقال له ان أبي حدّثني عن رسول الله بقتله وقتلي وان تربتي الى جنب تربته اتظن أنك تعلم ما لم أعلمه فوالله لا أعطي الدنيا من نفسي^(٣) .

ولا أعلم السبب في تأخره عن الطف والظن لا يغني عن الحق شيئاً وليس لنا الا التسليم ما لم يقدّم دليل قطعي على المعاندة والمخالفة خصوصاً بعد ما جاء الحديث عن الامام

(١) عمدة الطالب ص ٢٩٨ .

(٢) البحار ج ٩ عند ذكر اولاد علي عليه السلام وعمدة الطالب عند ذكر الحسن المثنى .

(٣) لهوف ص ١٥ صيدا .

الصادق عليه السلام وفيه لا يخرج أحدنا من الدنيا حتى يقر لكل
ذي فضل فضله ولو بفوق ناقة فانه صريح في توبة من كان ظاهره
الخلافة لأهل البيت عليهم السلام عند الممات ولا اشكال في ان
التوبة مكفرة لما صدر من العصيان كما في صريح الكتاب المجيد
 واجماع المسلمين والابخار المتواترة التي توجب القطع بمضمونها
فالتهجم على آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمجرد تلك
الاحاديث التي لا يعرف مأخذها خروج عن طريقة الأئمة
الطاهرين .

وأما عبيد الله بن النهشلية فلم يحضر الطف وجاء الى
المختار يطلب الرشد فلم يصله فالتحق بمصعب وجاء معه فلما
وصل المنار من سواد البصرة وجد في فسطاطه مذبوحاً ولم يعلم
قاتله (١) .

والمشارك معه في يوم الطف أبو بكر وامه ليلة بنت مسعود
النهشلية قال ابن جرير وابن الأثير شك في قتله وفي نفس
المهموم ص ١٧٣ وجد في ساقية قتيلاً لا يعلم قاتله .

وكأنه لما حمل آل أبي طالب بعد قتل عبد الله بن مسلم بن
عقيل جملة واحدة فصاح بهم الحسين صبراً على الموت يا بني
عمومتي فوالله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً .

سقط فيهم عون بن الطيار واخوه محمد وعبد الرحمن بن
عقيل واخوه جعفر ومحمد بن مسلم بن عقيل وأبو بكر هذا فلذلك

(١) كتاب زيد الشهيد ص ٨٨ .

ولادة عمر الاشرف بن الامام السجاد عليه السلام اخو زيد الشهيد لأمه فانه سمي بالاشرف لجمعه الفضيلة من ولادة علي وفاطمة عليهما السلام والاطرف حاز الفضل من طرف أبيه^(١) .

ولم يحضر مع الحسين في الطف ولا مع مصعب بن الزبير وقد وهم من ذكره في المستشهدين يوم الطف كما أخطأ الدينوري في الاخبار الطوال ص ٢٩٧ في عدة من جملة من قتل مع مصعب في الحرب القائمة بينه وبين المختار واغرب منه عد اليافعي له في مرآة الجنان ج ١ ص ١٤٣ في جملة المقتولين مع المختار لأن المشهور بين المؤرخين بقاؤه الى بعد الحسين حتى نازع السجاد في الصدقات الى عبد الملك فلم ينجح كما نازع الحسن المثنى فيها عند الحجاج فطرده عبد الملك عنها^(٢) .

ويروي السيد ابن طاووس انه أشار على الحسين بالبيعة ليزيد فقال له ان أبي حدثني عن رسول الله بقتله وقتلي وان تربتي الى جنب تربته اتظن أنك تعلم ما لم أعلمه فوالله لا أعطي الدنيا من نفسي^(٣) .

ولا أعلم السبب في تأخره عن الطف والظن لا يغني عن الحق شيئاً وليس لنا الا التسليم ما لم يقد دليل قطعي على المعاندة والمخالفة خصوصاً بعد ما جاء الحديث عن الامام

(١) عمدة الطالب ص ٢٩٨ .

(٢) البحار ج ٩ عند ذكر اولاد علي عليه السلام وعمدة الطالب عند ذكر الحسن المثنى .

(٣) لهوف ص ١٥ صيدا .

الصادق عليه السلام وفيه لا يخرج أحدنا من الدنيا حتى يقر لكل ذي فضل فضله ولو بفواق ناقة فانه صريح في توبة من كان ظاهره الخلاف لأهل البيت عليهم السلام عند الممات ولا اشكال في ان التوبة مكفرة لما صدر من العصيان كما في صريح الكتاب المجيد واجماع المسلمين والاخبار المتواترة التي توجب القطع بمضمونها فالتهجم على آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمجرد تلك الاحاديث التي لا يعرف مأخذها خروج عن طريقة الأئمة الطاهرين .

وأما عبيد الله بن النهشلية فلم يحضر الطف وجاء الى المختار يطلب الرشد فلم يصله فالتحق بمصعب وجاء معه فلما وصل المنار من سواد البصرة وجد في فسطاطه مذبحاً ولم يعلم قاتله^(١) .

والمشارك معه في يوم الطف أبو بكر وامه ليلة بنت مسعود النهشلية قال ابن جرير وابن الأثير شك في قتله وفي نفس المهموم ص ١٧٣ وجد في ساقية قتيلاً لا يعلم قاتله .

وكأنه لما حمل آل أبي طالب بعد قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل جملة واحدة فصاح بهم الحسين صبراً على الموت يا بني عمومتي فوالله لا رأيت هواناً بعد هذا اليوم أبداً .

سقط فيهم عون بن الطيار واخوه محمد وعبد الرحمن بن عقيل واخوه جعفر ومحمد بن مسلم بن عقيل وأبو بكر هذا فلذلك

(١) كتاب زيد الشهيد ص ٨٨ .

لم يعرف قاتله .

ومحمد الأوسط وامه أم ولد قتله رجل من بني ابان بن دارم واحتز رأسه^(١) .

وعبد الله المولود سنة ٣٦ وجعفر المولود سنة ٣٣ وعثمان المولود سنة ٤٠ هجرية^(٢) فقتل هاني بن ثابت الحضرمي عبد الله وجعفر ورمى خولي بن يزيد الاصبحي عثمان واحتز رأسه رجل من بني ابان بن دارم^(٣) وهؤلاء جمعهم وإياه الامومة أيضاً .

والمشارك له في الاسم عباس الاصغر نص عليه النسابة السيد محمد كاظم اليماني في النفحة العنبرية قال وكان شقيقاً لعمر الاطرف وفي ناسخ التواريخ ذكر العباس الشهيد والعباس الاصغر ويؤيده ان النسابة العمري في المجدي وابن شهر آشوب في المناقب والشبلنجي في نور الابصار والمحب الطبري في ذخائر العقبي وصفوا الشهيد بالعباس الأكبر وهذا التعبير في عرف النسابين يقع لمن يكون له اخ اصغر منه شاركه في الاسم لا فيمن هو اكبر اخوته مطلقاً ولو لم يشاركه في الاسم والظاهر ان العباس الاصغر درج في أيام أبيه لأنه ليس له ذكر في الوارثين لأمير المؤمنين من ولده .

(١) ابن الاثير ج ٤ ص ٣١ .

(٢) المجدي للنسابة العمري .

(٣) ابن الاثير ج ٤ ص ٣١ .

أخواته

كانت أخوات العباس من أبيه ثمان عشرة^(١) فمنهن من توفيت أيام أبيهن كزينب الصغرى وجمانة وامامة وام سلمة ورملة الصغرى^(٢) ومنهن من لم يذكر خروجهن الى ازواج والذين خرجن الى ازواج - فالعقيلة زينب الكبرى كانت عند عبد الله بن جعفر الطيار فأولدت له جعفر الأكبر وعباساً وعلياً المعروف بالزينيبي وعوناً الأكبر قتل يوم الطف في حملة آل أبي طالب وأم كلثوم وهي التي زوجها الحسين من ابن عمها القاسم ابن محمد بن الطيار وانحلها البغيغات^(٣) ورقية عند ابن عمها الشهيد مسلم بن عقيل ولدت له عبد الله وعلياً ومحمد ، وفي العمدة تزوج مسلم ام كلثوم بنت علي عليه السلام فولدت له حميدة تزوجها الفقيه الجليل عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب أولدها محمداً منه العقب .

(١) الطبري ج ٦ ص ٨٩ .

(٢) مناقب السروي ج ٢ ص ٧٦ .

(٣) المصدر السابق ص ١٧١ .

ولا يتم هذا الا بعد وفاة احدهن اذ لا يجوز الجمع بين
الاختين .

وكانت فاطمة عند أبي سعيد بن عقيل ولدت له حميدة
وخديجة - كانت عند عبد الرحمن بن عقيل ولدت له سعيداً ، وام
هاني تزوجها عبد الله الأكبر بن عقيل ولدت له عبد الرحمن
ومحمداً .

وأما الحسن خرجت الى جعدة بن هبيرة المخزومي .

وامامة كانت عند الصلت بن عبد الله بن نوفل بن الحارث
بن عبد المطلب ولدت له نفيسة^(١) .

(١) اعلام الورى والمجدي ومعارف القنبي .

العقيلة

وكيف ما كان فالمهم في هذا العنوان النظر في العقيلة الكبرى التي هي أعظمهنّ قدراً واجلهنّ شأناً فانها شظية من شظايا النبوة وقلدة من أفلاذ الامامة وهي الجوهرة الفردة التي ضمها إليه صدف القداسة (الزهراء الطاهرة) عليها السلام وانجب بها سيّد الأوصياء .

بجلال احمد في مهابة حيدر قد انجبت ام الأئمة زينبا فكانت شريكة الامامين سيدي شباب أهل الجنة في ذلك المرتكض الطاهر والحجر الزاكي والصلب القادس واللبن السائغ والتربية الالهية .

اضف الى ذلك العلم المتدفق والفقہ الناجع وقد شهد لها ابن اخيها السجاد عليه السلام (بأنها عالمة غير معلمة وفاهمة غير مفهومة)^(١) وحسبها من الخطر ان ما انحنت عليه الاضالع هو ذلك

(١) احتجاج الطبرسي ص ١٦٦ طبع النجف والطراز المذهب والكبرى الامر ص ١٧ ج ٢ .

العلم المفاض عليها من ساحة القدس الالهي لا بارشاد معلم أو تلقين مرشد مع البلاغة في المنطق والبراعة في الافاضة كأنها تفرغ عن لسان أبيها الوصي :

وعن الوصي بلاغة خصت بها
ما استرسلت الا وتحسب انها
أو انها اليزنى في يد باسل
أو انها تقتاد منها فيلقا
أو ان في غاب الامامة لبوة
أو انها البحر الخضم تلاطمت
أو ان من غضب الاله صواعقا
أو ان حيدرة على صهواتها
أو انه ضمته ذروة منبر
أو ان في اللاؤي عقيلة هاشم
اعيت برونقها البليغ الاخطبا
تستل من غرر الخطابة مقضبا
اخلا به ظهرا واوهى منكبا
وتسوق من زمر الحقايق موكبا
لزئيرها عنت الوجوه تهيبا
أمواجه علماً حجي بأساً ابا
لم تلف عنها آل حرب مهربا
يفني كراديس الضلال ثابثا
فأنار نهجاً للشريعة ألحبا
قد فرقت شمل العمى أيدي سبا^(١)

ولم تكن هذه البراعة والاسترسال في القول الا عما انطبع فيها من النفسيات القوية والملكات الفاضلة ممتزجة بثبات جأش وطمأنينة نفس وشجاعة ان شئت فسمها بالادبية والا فهي فوق ذلك ، وكانت تلقي خواطرها بين تلك المحتشدات الرهيبية أو فقل بين الناب والمخلب غير متعته ولا متلعثمة وتقذفها كالصواعق على مجتمع خصومها فكانت اعمالها وخطبها الجزء الأخير لليلة من نهضة السبط الشهيد واصبحت تمام الفضيحة للامويين بما

(١) من قصيدة للعلامة ميرزا محمد علي الاوردبادي طبعت في كتاب (زينب الكبرى).

نشرته بين الملأ من صحيفتهم السوداء حتى ضعفت عرش دولتهم وفككت عرى سلطانهم والصقت بهم العار من كل النواحي فكانت شريكة الامام الشهيد في هذه الفضيلة :

وتشاطرت هي والحسين بدعوة حتم القضاء عليهما ان يندبا هذا بمشتبك النصول وهذه في حيث معترك المكاره في السبا

وهذه النفسية التي حوتها والثبات الذي انطوى عليه أضالعتها أوجب لأخيها الشهيد أن : يصحبها في سفره الى مشهد الطف علماً منه بلياقتها لتلقي الاسرار كما هي وأدائها في مورد الاداء كما يجب ، وهذا هو الذي اهلها لتحمل شطر مما يحمله الامام بعد حادثة الطف حفظاً للسجاد عن عادية الأعداء فكان يرجع اليها في معرفة الاحكام الشرعية وان كان المرجع اليها زين العباد عليه السلام .

ففي الحديث عن أحمد بن ابراهيم قال دخلت على حكيمة بنت الجواد عليه السلام اخت أبي الحسن الهادي فكلمتها من وراء حجاب وسألته عن دينها فسمت من تأتم بهم عليهم السلام ثم قالت والحجة بن الحسن بن علي فسمته قلت لها جعلني الله فداك معانية أو خيراً قالت خبر عن أبي محمد الحسن بن علي كتب به الى امه فقلت لها فأين الولد قالت مستور قلت الى من تفرع الشيعة قالت الى الجدة أم أبي محمد عليها السلام فقلت لها اقتدي بمن وصيته الى امرأة فقالت اقتداء بالحسين بن علي فانه أوصى الى اخته زينب بنت علي في الظاهر فكان ما يخرج من علي بن الحسين من علم ينسب إليها سترأ على علي بن

الحسين عليه السلام^(١) .

ولليقين الثابت والبصيرة النافذة لم تكثر بشيء من الأهوال
ولا راعها الهزاهز منذ مشهد الطف الى حين وصولها المدينة وكان
بمنظر منها مصارع آل الله نجوم الأرض من آل عبد المطلب
وبينهم سيد شباب أهل الجنة بحالة تنفطر لها السموات وتنشق
الأرض وتخرّ الجبال هداً .

وليس معها من حماتها حمي ولا من رجالها ولي غير الامام
المضني الذي أنهكته العذل ، ونسوة في الاسر مكتنفة بها بين
شاكية وباكية وطفل كضه العطش الى اخرى أقلقها الوجمل .

وأمامها الجيش الفاتح الجدل بسكرة الظفر وبشر الشماتة
ودعة السلام والفرح بالغنيمة ومخيم آل بيت الله طنبت عليه
الكوارث والمحن ، فقد الحماة والخوف من الأعداء ، والايام
المبرح ، ونحيب ونشيج ، وشراخ وعولة .

والعقيلة في كل هذه الأحوال هي المهدئة لفورتها
والمسكنة لروعتهن فلم يشاهد منها عزم خائر ولا جأش مائر ولا
صرخة عالية ولا ذهول عن أمر الحرم .

كيف وهي بقية أمير المؤمنين ونائبة الحسين على تلکم
الأحوال والناهضة الكريمة الى مغزى أخيها والمتممة لقصده
الراقي وامره الرشيد .

(١) اكمال الدين للصدوق ص ٢٧٥ والغيبة للشيبخ الطوسي ص ١٤٨ .

نعم اهمها من بين ذلك شيء رأته نظرت الى ابن أخيها
السجاد يجود بنفسه حينما شاهد تلك الجثث الزواكي تصهرها
الشمس فعظم عليها أمر الامام فأخذت تصبره وتسليه وهو الذي لا
توازن بصبره الجبال وفيما قالت له : « ما لي أراك تجود بنفسك يا
بقية جدي وأبي واخوتي فوالله ان هذا لعهد من الله الى جدك
وأبيك وعمك ولقد أخذ الله ميثاق اناس من هذه الامة لا تعرفهم
فراعنة هذه الارض وهم معروفون في أهل السموات انهم يجمعون
هذه الاعضاء المتفرقة والجسوم المضرجة فيوارونها وينصبون بهذا
الطف علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء لا يدرس أثره ولا يعفورسمه
على مرور الليالي والايام وليجتهدن أئمة الكفر واشياع الضلال
في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره الا ظهوراً وامره الا علو» (١) .

وهل بعد هذا يبقى مجال للشك في موقفها من الثبات
ومحلها من الطمأنينة ومبوئها من العظمة .

وان حديث الرواة لما وقفت على جسد أخيها وقالت :
«اللهمّ تقبّل منّا هذا القربان» (٢) يدلنا على تبوئها عرش الجلالة
وانها المأخوذ عليها الميثاق بتلك النهضة المقدسة كأخيها الحسين
وان كان التفاوت محفوظاً بينهما حتى ان احدهما لما أتم النهوض
بالعهد وخرج عن العدة بازهاق نفسه المطهرة نهض الآخر بما
وجب عليه ومنه تقديم (الذبيح) الى ساحة الجلال الربوبي

(١) كامل الزيارة .

(٢) الكبريت الاحمر ج ٣ ص ١٧ عن الطراز الذهب .

والتعريف به ثم طفقت سلام الله عليها ناهضة ببقية الشؤون التي
وجبت عليها ولا استبعاد في ذلك بعد وحدة النور . وتفرد
العنصر .

ثم هلم معي لنقرأ موقفها امام ابن مرجانة وقد احتشد
المجلس بوجوه الكوفة واشرافها وهي امرأة عزلاء ليس معها الا
مريض يعاني ألم القيود ونساء ولهى وصبية تئن فأفرغت عن لسان
أبيها بكلام أنفذ من السهم واحد من شبا السيوف والقمت ابن
مرجانة حجراً إذ قالت له : « هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل
وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج
ثكلتك أمك يا ابن مرجانة » .

وأوضحت للملأ المتغافل خبثه ولؤمه وانه لن يرحض عنه
عارها وشارها كما انها ادهشت العقول وحيرت الفكر في خطبتها
بالكناس والناس يومئذ حيارى يبكون لا يدرون ما يصنعون وانى
يرحض عنهم العار بقتلهم سليل النبوة ومعدن الرسالة وسيّد شباب
أهل الجنة وقد خاب السعي وتبت الأيدي وخسرت الصفقة وباؤوا
بغضب من الله وخزي في الآخرة ولعذاب الله أكبر لو كانوا
يعلمون .

كما انها اظهرت أمام ابن ميسون اسرار نهضة أخيها الحسين
وعرفت الامة طغيان يزيد وضلال أبيه وفضاعة أعمالهم وعظيم ما
اقتروه وفيما قالت له : « أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا اقطار
الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الاسارى ان بنا

على الله هواناً وبك عليه كرامة . الى آخر كلامها» (١) .

ولهذه الفصاحة الدقيقة جاء بها شهيد العز والاباء الى العراق لعلمه ان الغاية التي يضحى بنفسه لأجلها ستذهب أدراج السلطة الغاشمة وتبقي الحقيقة مستورة على السذج لو لم يتعقبها لسان ذرب وان كل احد لا يستطيع في ذلك الموقف الحرج الذي تحفه سيوف الظلم ان يتكلم بالحقيقة مهما بلغ من المنعة في عشيرته الا العقيلة فانها التي تعلن بمويقات ابن مرجانة وابن معاوية وان ما جرى على ابن عفيف الازدي شاهد له .

كما انه عليه السلام كان على يقين وثقة باخبار جدّه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان القوم وان بلغوا الخسة والغواية وتناهوا في الخروج عن سبيل الحمية لا يمدون الى النساء يد السوء وقد أنبأ سلام الله عليه عن هذا بقوله لهن ساعة الوداع « اليسوا أزركم واستعدوا للبلاء واعلموا ان الله حاميك وحافظكم وسينجيكم من شر الاعداء ويجعل عاقبة أمركم الى خير ويعذب أعدايكم بأنواع العذاب ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم » (٢) .

فكان في مجيء الحسين بالعقيلة فوائد أهمها تنزيه دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم عما الصقوه بساحته من الابطايل ولا قبح فيه عقلاً كما لا يستهجنه العرف ويساعد عليه الشرع .

(١) رواها احمد بن ابي طاهر طيفور من اعلام القرن الثالث في بلاغات النساء ص ٢١ النجف والخوارزمي في المقتل مخطوط والطبرسي في الاحتجاج والصدوق في الامالي .

(٢) جلاء العيون للمجلسي .

والمرأة وان وضع الله عنها الجهاد ومكافحة الاعداء وامرها
سبحانه أن تقرّ في بيتها فذلك فيما إذا قام بتلك المكافحة ودافع
عن قدس الشريعة غيرها من الرجال واما اذا توقف اقامة الحق
ونصرة الدين عليها فقط كان الواجب النهوض بعبء ذلك كله كي
لا تدرس آثار الحق وتذهب تضحية أولئك الصفوة دونه ادراج
التمويهات ولذلك نهضت سيدة نساء العالمين للدفاع عن خلافة
الله الكبرى حين أخذ العهد على سيد الأوصياء بالسكوت .

على ان الخضوع لناموس عصمة الامام في جميع أقواله
وأفعاله الصادرة عنه طيلة حياته يحتم علينا الازعان بأن ما صدر
منه منبث عن حكم الهي قرأه في الصحيفة الخاصة به التي يخبر
الصادق عليه السلام عنها « ان لكل واحد منا صحيفة يعمل بما
فيها » ويقول الامام الباقر فيتقدم علم من رسول الله قام عليّ
والحسين وبعلم صمت من صمت منا كما انه عليه السلام أعلم
بذلك جابر الانصاري حين قال له الا تصالح كما صالح اخوك
الحسن فقال ان أخي فعل بأمر من الله ورسوله وأنا أفعل بأمر من
الله ورسوله .

فهذه الاحاديث تفيدنا نموذجاً من الاهتداء الى معرفة سير
الامام في جميع أفعاله وانها ناشئة عن حكم ربانية لا يتطرق إليها
الشك والريب وليس الواجب علينا الا التصديق بكل ما يصدر منه
من دون ان يلزمنا الشرع أو العقل بمعرفة المصالح الباعثة على
تلك الافعال الصادرة منه سواء كانت الافعال في العرف والعادة
فظيعة جداً أم لا .

أمّ البنين

هي فاطمة^(١) بنت حزام^(٢) بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

١ - وأمّها ثمامة^(٣) بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب .

٢ - وأمّها عمرة بنت الطفيل بن مالك الاخرم بن جعفر بن كلاب .

٣ - وأمّها كبشة بنت عروة الرحال بن جعفر بن كلاب .

٤ - وأمّها ام الخشف بنت أبي معاوية فارس الهرار بن عبادة بن عقيل بن كلاب .

٥ - وأمّها فاطمة بنت جعفر بن كلاب^(٤) .

(١) هذا في عمدة الطالب وفي تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣١٧ اسمها وايبي .

(٢) في الاصابة ج ١ : ص ٣٧٥ ومعارف ابن قتيبة ص ٩٢ اثبتته بالراء المهملة بعد الحاء وعند ابن جرير وابن الاثير وابي الفدا وغيرهم بالزاء المعجمة .

(٣) سماها في عمدة الطالب ليل . (٤) سماها في الاغانى ج ١٥ ص ٥٠ خالدة .

٦ - وامها عاتكة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي
وسماها في العمدة فاطمة .

٧ - وامها آمنة بنت وهب بن عمير بن نصر بن قعين بن
الحرث بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خزيمة .

٨ - وامها بنت جحدر بن ضبيعة الاغر بن قيس بن ثعلبة بن
عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن ربيعة بن نزار .

٩ - وامها بنت ملك بن قيس بن ثعلبة .

١٠ - وامها بنت ذي الرأسين وهو خشين بن أبي عصم بن
سمح بن فزارة وفي القاموس خشين بن لاي وفي تاج العروس
لاي بن عصيم .

١١ - وامها بنت عمر بن صرمة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن
بغويض بن الريث بن غطفان .

هذا ما ذكره أبو الفرج في المقاتل من جدات أم النبيين
والدة العباس عليه السلام ومنه عرفنا آباءها واخوالها ويعرفنا
التاريخ انهم فرسان العرب في الجاهلية ولهم الذكريات المجيدة
في المغازي بالفروسية والبسالة مع الزعامة والسؤدد حتى اذعن
لهم الملوك وهم الذين عناهم عقيل بن أبي طالب بقوله : ليس
في العرب اشجع من آباءها ولا أفرس .

وذلك مراد أمير المؤمنين من البناء على امرأة ولدتها الفحولة
من العرب فان الآباء لا بد وان تعرق في البنين ذاتياتها وأوصافها
فاذا كان المولود ذكراً بانته فيه هذه الخصال الكريمة وان كانت
انثى بانته في اولادها والى هذا أشار صاحب الشريعة الحققة

بقوله : الخال احد الضجيعين فتخيروا لنطفكم .

وقد ظهرت في أبي الفضل الشجاعتان الهاشمية التي هي
الاربي والارقي فمن ناحية أبيه سيد الوصيين والعامرية فمن ناحية
امه ام البنين .

فان من قومها أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب جد
ثمامة والدة أم البنين وهو الجد الثاني لام البنين قيل له ملاعب
الاسنة لفروسيته وشجاعته لقبه بذلك حسان لما رآه يقا تل الفرسان
وحده وقد احاطوا به قال ما هذا الا ملاعب الاسنة وقيل ان أوس
بن حجر قال فيه^(١) .

يلعب اطراف الاسنة عامر فراح له حظ الكتاب اجمع
وهو الذي استعانه ابن اخيه عامر بن الطفيل على منافرة
علقمة بن علاثة بن عوف بن الاحوص لما تفاخرا على أن يسوق
كل منهما مائة ناقة تكون لمن يحكم له ووضع كل منهما رهناً
لمن أبنائهم على يد رجل من بني الوحيد .

فسمى الضمين الي اليوم وهو الكفيل ولما استعانه عامر دفع إليه
نعليه وقال له استعن بهما في منافرتك فاني قد ربعت بهما أربعين
مربعاً^(٢) .

والمربع ما يأخذه الرئيس من ربع الغنيمة دون اصحابه

(١) رسالة بن زيدون بهامش الصفدي على لامية العجم ج ١ ص ١٣٠ .

(٢) الاغانى ج ١٥ ص ٥٠ وبلوغ الارب ج ١ ص ٣١٧ بغداد ورسالة ابن زيدون .

خالصاً لنفسه وذلك عندما كانوا يغزون في الجاهلية^(١) وهذان
النعلان من مختصات الرئيس التي يخرج بها في الايام الخاصة
والا فلا مزية لهما حتى يستعين بهما على المنافرة .

ومنهم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو
أخو عمرة الجدة الأولى لام البنين كان عامر أسود أهل زمانه^(٢)
وأشهر فرسان العرب بأساً ونجدة وابعدها اسماً حتى بلغ ان قيصر
اذا قدم عليه قادم من العرب قال ما بينك وبين عامر بن الطفيل
فان ذكر نسباً عظم عنده وأرفده والا اعرض عنه ، وفد عليه علقمة
بن علاثة فانتسب له قال له قيصر انت ابن عم عامر بن الطفيل
فغضب علقمة ثم انه دخل على ملك الروم فقال له انتسب
فانتسب له قال الملك انت ابن عم عامر بن الطفيل فغضب وخرج
عنه^(٣) .

ومنهم عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب والد كبشة
الجدة الثانية لام البنين كان وفاداً على الملوك وله قدر عندهم
ومن هنا سمي الرحال وهو الذي اجاز لطيمة النعمان التي كان
يبعث بها كل عام الى سوق عكاظ فقتله البراض بن قيس الكنائي
واستاق العير وبسببه هاجت حرب الفجار بين حي خندف
وقيس^(٤) .

(١) القاموس والتاج .

(٢) الأغاني ج ١٥ ص ٣٥ .

(٣) سمط اللئاليء ج ٢ ص ٨٩٠ ومجمع الأمثال ج ٢ ص ٢٣ .

(٤) بلوغ الارب ج ١ ص ١٤٢ .

ومنهم الطفيل فارس قرزل وهو والد عمرة الجدة الأولى لام
البنين كان معروفاً بالشجاعة والفروسية وهو أخو ملاعب الاسنة
وربيعة وعبيدة ومعاوية بنو جعفر بن كلاب يقال لامهم ام البنين
وإياها عنى لييد بن ربعة بن مالك بن جعفر بن كلاب لما وفد بنو
جعفر على النعمان بن المنذر وكان سميره الربيع بن زياد العبسي
فاتهموه بالسعي عليهم فلما غدوا على النعمان كان معهم لييد وهو
اصغرهم فأروا النعمان يأكل مع الربيع فقال لييد :

يا واهب الخير الجزيل من سعه	نحن بنو ام البنين الاربعة
ونحن خير عامر بن صعصعة	المطعمون الجفنة المدعدة
الضاربون الهام وسط الخيضة	اليك جاوزنا بلاداً مسبعة
تخبر عن هذا خبيراً فاسمعه	مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه
ان استه من برص ملمعة	وانه يولج فيها اصبعه ^(١)
يولجها حتى يوارى اشجعه	كأنما يطلب شيئاً ضيعه ^(٢)

فلم ينكر عليه النعمان ولا أحد من العرب لأن لهم شرفاً لا
يدافع ولذلك طرد النعمان الربيع عن مسامرته وقال له :

شرد برحلك عني حيث شئت ولا	تكثر علي ودع عنك الابطيلا
قد قيل ذلك ان حقاً وان كذباً	فما اعتذارك في شيء إذا قيلا

(١) الى هنا من شواهد المغني للسيوطي ص ٦٨ .

(٢) الزيادة من جمهرة الامثال للعسكري ص ١٧٥ .

الزواج

تزوج أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة ابنة حزام العامرية أما بعد وفاة الصديقة سيدة النساء كما يراه بعض المؤرخين^(١) أو بعد أن تزوج بإمامة بنت زينب بنت رسول الله كما يراه البعض الآخر^(٢) وهذا بعد وفاة الزهراء عليها السلام لأن الله قد حرم النساء على عليّ ما دامت فاطمة موجودة^(٣) فولدت أربعة بنين وأنجبت بهم العباس وعبد الله وجعفر وعثمان وعاشت بعده مدة طويلة ولم تتزوج من غيره كما ان امامة واسماء بنت عميس وليلى النهشلية لم يخرجن الى احد بعده وهذه الاربع حرائر توفي عنهنّ سيد الوصيين^(٤) وقد خطب المغيرة بن نوفل إمامة ثم خطبها أبو الهياج بن أبي سفيان بن الحارث فامتنعت وروت حديثاً عن

(١) الطبري ج ٦ ص ٨٩ وابن الاثير ج ٣ ص ١٥٨ وأبو الفدا ج ١ ص ١٨١ .

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ١١٧ ومطالب السؤل ص ٦٣ والفصول المهمة ص ١٤٥ والاصابة بترجمة امامة .

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٩٣ .

(٤) كشف الغمة ص ٣٢ والفصول المهمة ص ١٤٥ ومناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٧٦ ومطالب السؤل ص ٦٣ .

عليّ عليه السلام ان ازواج النبي والوصي لا يتزوجن بعده فلم يتزوجن الحرائر وامهات الاولاد عملاً بالرواية (١) .

وكانت أم البنين من النساء الفاضلات العارفات بحق أهل البيت مخلصه في ولائهم ممحضة في مودتهم ولها عندهم الجاه الوجيه والمحل الرفيع وقد زارتها زينب الكبرى بعد وصولها المدينة تعزيها بأولادها الأربعة كما كانت تزورها أيام العيد (٢) .

وبلغ من عظيمها ومعرفتها وتبصرها بمقام أهل البيت انها لما ادخلت على أمير المؤمنين وكان الحسنان مريضين أخذت تلاطف القول معهما وتلقي إليهما من طيب الكلام ما يأخذ بمجامع القلوب وما برحت على ذلك تحسن السيرة معهما وتخضع لهما كالأم الحنون .

ولا بدع في ذلك فانها ضجيرة شخص الايمان قد استضاءت بأنواره وربت في روضة أزهاره واستفادت من معارفه وتأدبت بآدابه وتخلقت بأخلاقه .

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٧٦ .

(٢) عن مجموعة الشهيد الأول .

الولادة

لقد أشرق الكون بمولد قمر بني هاشم يوم بزوغ نوره من افق المجد العلوي مرتضعاً ثدي البسالة متربياً في حجر الخلافة وقد ضربت فيه الامامة بعرق نابض فترعرع ومزيج روحه الشهامة والاباء والنزوع عن الدنيا وما شوهد مشتداً بشيبيته الغضة الا وملء اهابه إيمان ثابت وحشور دائه حلم راجح ولب ناضج وعلم ناجع فلم يزل يقتص أثر السبط الشهيد عليه السلام الذي خلق لاجله وكون لأن يكون رداءً له في صفات الفضل ومخائل الرفعة وملامح الشجاعة والسؤدد والخطر فان خطى سلام الله عليه فإلى الشرف وان قال فعن الهدى والرشاد وان رمق فإلى الحق وان مال فعن الباطل وان ترفع فعن الضيم وان تهالك فدون الدين .

فكان أبو الفضل جامع الفضل والمثل الاعلى للعبقرية لانه كان يستفيد بلج هاتيك المآثر من شمس فلك الامامة (حسين العلم والبأس والصلاح) فكان هو وأخوه الشهيد عليه السلام من مصاديق قوله تعالى في التأويل ﴿والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها﴾ فلم يسبقه بقول استفاده منه ولا بعمل أتبعه فيه ولا بنفسية

هي ظل نفسيته ولا بمنقبة هي شعاع نوره الاقدس المنطبع في
مرآة غرائزه الصقيلة وقد تابع امامه في كل اطواره حتى في بروز
هيكله القدسي الى عالم الوجود فكان مولد الامام السبط في ثالث
شعبان وظهور أبي الفضل العباس الى عالم الشهود في الرابع
منه (١) سنة ست وعشرين من الهجرة (٢) .

ومما لا شك فيه ان أمير المؤمنين عليه السلام لما احضر
امامه ولده المحبوب ليقم عليه مراسيم السنة النبوة التي تقام عند
الولادة ونظر الى هذا الولد الجديد الذي كان يتحري البناء على
امه أن تكون من أشجع بيوتات العرب ليكون ولدها رداءً لأخيه
السبط الشهيد يوم تحيط به عصب الضلال شاهد بواسع علم
الامامة ما يجري عليه من الفادح الجلل فكان بطبع الحال يطبق
على كل عضو يشاهده مصيبة سوف تجري عليه . يقلب كفيه
للذين سيقطعان في نصرة حجة وقته فتهمل عيونه ويبصر صدره

(١) انيس الشيعة للعلامة السيد محمد عبد الحسين بن السيد محمد عبد الهادي
المدارسي الهندي قال شيخنا الحجة في الذريعة الى مصنفات الشيعة ج ٢ ص ٤٥٧ رأيت
الكتاب في التجف عند العالم السيد اقا التستري من احفاد السيد نعمة الله الجزائري والكتاب
في وقائع الايام من موجبات السرور والاحزان من مواليد الأئمة ووفياتهم ومعاجزهم رتبته على
الاشهر بدأ فيه بربيع الاول وختم في شهر صفر وله مقدمة في نسب النبي وسنة جلوس
الرصي وخاتمة في احوال الحجة المنتظر عجل الله فرجه وذكر العلامة ميرزا محمد علي
الاوردي انه قرأ بخط المؤلف على ظهر الكتاب انه اهداه الى السلطان فتح علي شاه يوم
الجمعة اول شعبان سنة ١٢٤٤هـ وللمؤلف كتب منها (زاد المؤمنين وتذكرة الطريق و
عناية الرضا).

(٢) المجدي والانوار النعمانية ص ١٢٤ وحكاه في كتاب قمر بني هاشم ص ٢٢ عن
وقائع الايام للشيخ محمد باقر البيرجندي .

عيبة العلم واليقين فيشاهده منبتاً لسهام الاعداء فتتصاعد زفرته
وينظر إلى رأسه المطهر فلا يعزب عنه انه سوف يقرع بعمد
الحديد فتثور عاطفته وترتفع عقيرته كما لا يبارح فاكرته حينما يراه
يسقي اخاه الماء ما يكون غدا من تفانيه في سقاية كريمات النبوة
ويحمل اليهن الماء على عطشه المرمض وينفض الماء حيث يذكر
عطش أخيه تهالكاً في المواساة ومبالغة في المفادات واخلاصاً في
الاخوة فيتنفس الصعداء ويكثر من قول «ما لي وليمزيد» وعلى هذا
فقس كل كارثة يقدر سوف تلم به وتجري عليه .

فكان هذا الولد العزيز على أبويه وحامته كلما سر أبوه
اعتدال خلقته او ملامح الخير فيه أو سمة البسالة عليه أو شارة
السعادة منه ساء ما يشاهده هنالك من مصائب يتحملها أو فادح
ينوء به من جرح دام وعطش مجهد وبلاء مكرب .

وهذه قضايا طبيعية تشتد عليها الحالة في مثل هاتيك
الموارد ممن يحمل أقل شيء من الرقة على أقل انسان فكيف
بأمير المؤمنين الذي هو اعطف الناس على البشر عامة من الاب
الرؤوف وأرق عليهم من الام الحنون .

إذن فكيف به في مثل هذا الانسان الكامل (أبي الفضل)
الذي لا يقف أحد على مدى فضله كما ينحسر البيان عن تحديد
مظلوميته واضطهاده .

وذكر صاحب (كتاب قمر بني هاشم) ص ٢١ ان أم البنين
رأت أمير المؤمنين في بعض الايام اجلس أبا الفضل عليه السلام

على فخذة وشمر عن ساعديه وقبلهما وبكى فأدهشها الحال لأنها
لم تكن تعهد صبيّاً بتلك الشمائل العلوية ينظر إليه أبوه ويبكي من
دون سبب ظاهر ولما أوقفها أمير المؤمنين على غامض القضاء وما
يجري على يديه من القطع في نصرة الحسين عليه السلام بكت
واعولت وشاركها من في الدار في الزفرة والحسرة غير ان سيّد
الأوصياء بشرها بمكانة ولدها العزيز عند الله جلّ شأنه وما حباه
عن يديه بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل ذلك
لجعفر بن أبي طالب فقامت تحمل بشرى الأبد والسعادة
الخالدة .

صفاته

لقد كان من عطف المولى سبحانه وتعالى على وليه المقدس سلالة الخلافة الكبرى سيد الأوصياء ان جمع فيه صفات الجلالة من بأس وشجاعة واباء ونجدة وخلال الجمال من سؤدد وكرم ودمائة في الخلق وعطف على الضعيف كل ذلك من البهجة في المنظر ووضاءة في المحيا من ثغر باسم ووجه طلق تتموج عليه أمواه الحسن ويطفح عليه رواء الجمال وعلى اسرة جبهته أنوار الايمان كما كانت تعبق من أعراقة فوائح المجد متأرجة من طيب العنصر ولما تطابق فيه الجمالات الصوري والمعنوي (قيل له قمر بني هاشم)^(١) حيث كان يشؤ بجماله كل جميل ويند بطلاوة منظره كل احد حتى كأنه الفذ في عالم البهاء والوحيد في دنياه كالقمر الفائق بنوره اشعة النجوم وهذا هو حديث الرواة :

« كان العباس وسيماً جميلاً يركب الفرس المطهم ورجلاه يخطان في الارض ويقال له قمر بني هاشم »^(٢) .

(١) كان يقال لعبد مناف قمر البطحاء ولعبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله قمر الحرم .

(٢) مقاتل الطالبين ص ٣٣ ايران .

وقد وصفته الرواية المحكية في مقاتل الطالبين بان (بين
عينيه أثر السجود) ونصها :

قال المدائني حدّثني أبو غسان هارون بن سعد عن القاسم
بن الاصبغ بن نباتة قال رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم أسود
الوجه وكنت أعرفه جميلاً شديداً البياض فقلت له ما كدت اعرفك
قال اني قتلت شاباً أمرد مع الحسين بين عينيه أثر السجود فما
نمت ليلة الا أتاني فيأخذ بتلابيبي حتى يأتي جهنم فيدفعني فيها
فاصبح فما يبقى احد في الحي الا سمع صياحي قال والمقتول هو
العباس بن علي عليه السلام .

وروى سبط ابن الجوزي عن هشام بن محمد عن القاسم
بن الاصبغ المجاشعي^(١) قال لما أتى بالرووس الى الكوفة اذا
بفارس احسن الناس وجهاً قد علق في لبب فرسه رأس غلام أمرد
كأنه القمر ليلة تمّه والفرس يمرح فاذا طأطأ رأسه لحق الرأس
بالارض فقلت رأس من هذا قال رأس العباس بن علي قلت ومن
أنت قال أبا حرملة بن الكاهل الاسدي^(٢) فلبثت أياماً واذا بحرملة
ووجهه أشد سواداً من القار قلت رأيتك يوم حملت الرأس وما في

(١) الاصبغ هنا هو ابن نباتة لان بني مجاشع بطن من حنظلة من تميم كما في نهاية
الارب للقلقشندي ص ٣٣٤ والاصبغ ابن نباتة حنظلي تميمي كما نص عليه ابن حجر في
تهذيب التهذيب ج ١ ص ٣٦٢ .

(٢) جاء في تاريخ الطبري حرملة بن الكاهن بالنون بعد الهاء وهنا كامالي ابن الشيخ
الطوسي ص ١٥٠ باللام بعدها وتقديم ما في الطبري تشبه بعد عدم النص على ضبطها
فلعله غلط من النساخ .

العرب انظر وجهاً منك ولا أرى اليوم أقبح ولا أسود وجهاً منك فبكى وقال والله منذ حملت الرأس والى اليوم ما تمر علي ليلة الا واثنان يأخذان بضبعي ثم ينتهيان بي الى نار تؤجج فيه فيدفعاني فيها وأنا انكسر فتسفعني كما ترى ثم مات علي أقبح حال^(١) .

ويمنع الاذعان بما في الروايتين من تعريف المقتول بأنه العباس بن علي عليه السلام عدم الالتئام مع كونه شاباً امرد فان للعباس يوم قتله أربعاً وثلاثين سنة والعادة قاضية بعدم كون مثله امرد ولم ينص التاريخ على كونه كقيس بن سعد بن عبادة لا طاقة شعر في وجهه .

وفي دار السلام للعلامة النوري ج ١ ص ١١٤ والكبيريت الاحمر ج ٣ ص ٥٢ ما يشهد للاستبعاد واصلاحه كما في كتاب (قمر بني هاشم) ص ١٢٦ بأنه رأس العباس الاصغر بلا قرينة مع الشك في حضوره الطف وشهادته وهذا كاصلاحه بتقدير المقتول : (أخ العباس) المنطبق على عثمان الذي له يوم قتله احدى وعشرين سنة او محمد بن العباس المستشهد على رواية ابن شهر آشوب فان كل ذلك من الاجتهاد البحت .

ولعل النظرة الصادقة فيما رواه الصدوق منضمماً الى رواية ابن جرير الطبري تساعد على كون المقتول حبيب بن مظاهر .

قال الصدوق : « وبالاسناد عن عمرو بن سعيد عن القاسم بن الاصمغ بن نباتة قال قدم علينا رجل من بني أبان بن دارم ممن

(١) تذكرة الخواص ص ١١٤ .

شهد قتل الحسين وكان رجلاً جميلاً شديد البياض فقلت له ما كنت أعرفك لتغير لونك قال قتل رجلاً من أصحاب الحسين يبصر بين عينيه أثر السجود وجئت برأسه قال القاسم لقد رأيته على فرس له مرحاً وقد علق الرأس بلبانها وهو يصيبه بركبتيه قال فقلت لابي لو أنه رفع الرأس قليلاً اما ترى ما يصنع به الفرس بيديها فقال يا بني ما يصنع به أشد لقد حدثني قال ما نمت ليلة الا أتاني في منامي حتى يأخذ بكتفي ويقول انطلق فينطلق بي الى جهنم فيقذف بي فأصبح قال فسمعت جارة له قالت ما يدعنا شيئاً من صياحه قال فقممت في شباب من الحي فأتينا امرأته فسألناها قالت قد أبدى على نفسه قد صدقكم^(١) .

وقد اتفقت هذه الروايات الثلاث في الحكاية عن القاسم بن الاصبغ ابن نباتة بما فعل بالرأس الطاهر وتفيدنا رواية الصدوق ان المقتول رجل لا شاب وانه من أصحاب الحسين ولا اشكال فيها واذا وافقنا ابن جرير على ان الرأس المعلق هو رأس حبيب بن مظاهر في حين ان المؤرخين لم يذكروا هذه الفعلة بغيره من الرؤوس الطاهرة امكننا ان ننسب الاشتباه الى الروايتين السابقتين خصوصاً بعد ملاحظة ذلك الاستبعاد بالنسبة الى العباس وتوقف التصحيح فيهما على الاجتهاد بلا قرينة واضحة .

قال ابن جرير في ج ٦ ص ٢٥٢ من التاريخ طعن رجل من بني تميم حبيب بن مظاهر فوقع وذهب ليقوم واذا الحصين بن تميم يضربه بسيفه على رأسه فصرعه ونزل إليه التميمي فاحترق

(١) عقاب الاعمال ص ١١ ملحق بثواب الاعمال .

رأسه فتنازعا الحصين والتميمي في رأسه كل يقول انا قتلته فأصلح الناس بينهما على ان يأخذ الحصين الرأس ويعلقه بعنق فرسه ويجول به في العسكر يعلم الناس انه القاتل ثم يدفعه الى الآخر فيدخل به على ابن زياد ففعل به الحصين ذلك ثم اخذه التميمي وعلقه بعنق فرسه ودخل الكوفة فبصر به القاسم بن حبيب بن مظاهر وهو يومئذ مراهق فلم يفارق الفارس كلما دخل القصر أو خرج منه فارتاب منه وسأله عن حاله وبعد أن الح عليه قال القاسم هذا رأس أبي الا تعطينه ان ادفنه فقال يا بني الامير لا يرضى بدفنه وأنا أريد أن يثبني ثواباً حسناً فقال الغلام لكن الله لا يثيبك عليه الا اسوء الثواب اما والله لقد قتلته خيراً منك وبكى ثم مكث الغلام يطلب غرة الرجل ليقتله بأيه فلما غزا مصعب (باجميرا) دخل القاسم عسكر مصعب فرأى الرجل في فسطاطه فدخل عليه وهو قاتل نصف النهار فقتله .

نعم في رواية الصدوق ان القاسم يسأل أباه عما يفعله الفرس بالرأس فيقول (قلت لأبي لو أنه رفع الرأس الخ) وهو يدل على حياة الاصبع ذلك اليوم وعليه فلم يعرف الوجه في تأخره عن حضور المشهد الكريم مع مقامه العالي في التشيع واخلاصه في الموالاتة لامير المؤمنين وولده المعصومين عليهم السلام ومشاهدته هذا الفعل من الطاغي يدل على عدم حبسه عند ابن زياد كباقي الشيعة الخلّص ولا مخرج عنه الا بالوفاة قبل تلك الفاجعة العظمى كما هو الظاهر مما ذكره أصحابنا عند ترجمته من الثناء عليه والمبالغة في مدحه وعدم الغمز فيه فتلك الجملة (قلت

لأبي) لا يعرف من أين جاءت ولا غرابة في زيادتها بعد طعن أهل السنة فيه كما في اللئاليء المصنوعة ج ١ ص ٢١٣ فانه بعد أن ذكر حديث الاصبغ بن نباتة عن أبي أيوب الانصاري انهم امرؤا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي قال لا يصح الحديث لان الاصبغ متروك لا يساوي فلساً وفيه ص ١٩٥ ذكر عن ابن عباس حديث الركبان يوم القيامة رسول الله وصالح وحمزة وعلي قال رجال الحديث بين مجهول وبين معروف بعدم الثقة .

ولقد طعنوا في أمثاله من خواص الشيعة بكل ما يتسنى لهم وما ذكر في تراجمهم يشهد لهذه الدعوى ولا يتحمل هذا المختصر التبسط في ذكرها ومراجعة ما كتبه السيد العلامة محمد بن أبي عقيل في (العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل) ص ٤٠ في الباب الثاني فيه كفاية فانه ذكر جملة من اتباع أهل البيت طعنوا فيهم بلا سبب الا لموالاة أمير المؤمنين وولده عليهما السلام .

كنيته

اشتهر أبو الفضل العباس عليه السلام بكنى وألقاب وصف بعضها في يوم الطف والبعض الآخر كان ثابتاً له من قبل فمن كناه أبو قربة^(١) لحمله الماء في مشهد الطف غير مرة وقد سدت الشرايع ومنع الورود على ابن المصطفى وعياله وتناصرت على ذلك اجلاف الكوفة واخذوا الاحتياط اللازم ولكن أبا الفضل لم يرعه جمعهم المتكاثف ولا أوقفه عن الاقدام تلك الرماح المشرعة ولا السيوف المجردة فجاء بالماء وسقى عيال أخيه وصحبه .

ولم ينص المؤرخون وأهل النسب على كنيته بأبي القاسم إذا لم يذكر احد ان له ولداً اسمه القاسم نعم خاطبه جابر الانصاري في زيارة الاربعين بها قال « السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا عباس بن علي » وبما أن هذا الصحابي الكبير المترابي في بيت النبوة والامامة خير بالسبب الموجب لهذا الخطاب فهو أدري بما يقول .

(١) ذكره ابن ادريس الحلي في مزار السرائر وابو الفرج في المقاتل والسيد الجزائري في الانوار النعمانية وابو الحسن الديار بكري في تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣١٧ .

وقد اشتهر بكنيته الثالثة (أبي الفضل) من جهة ان له ولداً
اسمه الفضل^(١) وكان حربياً بها فان فضله لا يخفى و نوره لا يطفى
ومن فضائله الجسام نعرف انه ممن حبس الفضل عليه ووقف لديه
فهو رضيع لبانه وركن من أركانه وإليه يشير شارح ميمية أبي
فراس .

بذلت أيا عباس نفساً نفيسة لنصر حسين عز بالنصر من مثل
أبيت التذاذ الماء قبل التذاذه فحسن فعال المرء فرع عن الاصل
فأنت اخو السبطين في يوم مفخر وفي يوم بذل الماء أنت أبو الفضل

(١) سر السلسلة وعمدة الطالب ومقاتل أبي الفرج .

اللقب

اشتهر بين العامة والخاصة بأنه سلام الله عليه باب الحوائج لكثرة ما صدر منه من الكرامات وقضاء الحاجات ومن هنا قيل فيه (١) .

للشوس عباس يريهم وجهه والوفد ينظر باسمأ محتاجها
باب الحوائج ما دعته مروعة في حاجة الا ويقضي حاجها
بأبي أبي الفضل الذي من فضله السامي تعلمت الورى منهاجها

وقيل له (قمر بني هاشم) (٢) لوضاءته وجمال هيئته وان اسرة وجهه تبرق كالبدر المنير فكان لا يحتاج في الليلة الظلماء الى ضياء .

وأما « الشهيد » فلم ينص عليه أحد الا انه الظاهر من عبارات أهل النسب ففي المجدي لابي الحسن العمري قال بعد ذكر أولاده هذا آخر نسب بني العباس الشهيد السقا ابن علي بن أبي طالب .

(١) من قصيدة لسيد الذاكرين السيد صالح الحلبي رحمه الله .

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ومقاتل الطالبين وجنات الخلود .

وفي سر السلسلة لابي نصر البخاري، والشهيد أبو الفضل العباس بن علي امه أم البنين . ثم روى عن معاوية بن عمار اليزيدي قال قلت للصادق كيف قسمت نحلة فدك بعدما رجعت إليكم قال اعطينا ولد العباس الشهيد الربع والباقي لنا .

وكان الحري بأرباب المقاتل والنسب أن يدونوا له هذا اللقب المعرب عن أسمى منزلة له وهو « العبد الصالح » كما خاطبه الامام الصادق في الزيارة المخصوصة به التي رواها أبو حمزة الثمالي حيث يقول :

« السلام عليك أيها العبد الصالح » فانك جد عليم بأن هذه الصفة أرقى مراتب الانسان الكامل لأنها حلقة الوصل بين المولى والعبد وأفضل حالات أي فاضل حيث يجد نفسه الطرف الرابط لموجد كيانه جل وعلا وان من أكمل مراتب الوجود فيما اذ التثم المنتهى مع المبدأ بنحو الصلة وهذا لا يكون الا اذا بلغ العبد أرقى مراتب الانسانية التي تلحقه بعالم البساطة وتنتهي به الى صقع التجرد فتؤهله لأن يتصل بالبدء الاعلى فلو فقد الانسان تلك الملاءمة دحره عن حضيرة القداسة انقطاع النسبة وبعد المرمى وشسوع المسافة .

ولا نعني بهذه المرتبة ان يكون العبد مواظباً على العبادات البسيطة المسقطة للخطاب والرافعة للتعزير فحسب وانما نقصد منه ما اذا عبد الله سبحانه حق عبادته الناشئة عن فقهه وبصيرة ومعرفة بالمعبود الذي يجب أن يعبد من دون لحاظ مثوية أو عقوبة حتى يكون المولى هو الذي يسميه عبداً له ويصافقه على تصديق

دعواه بالعبودية له .

وما أسعد العبد حيث يبصر ما بيده من سلك الطاعة ويعرف
ان مولاه قابض على طرفه الآخر تزلفه إليه جاذبة الصلة واشعة
القرب .

وعلى ما قلناه كانت هذه المرتبة عند الانبياء عليهم السلام
أرقى مراتبهم وأرفع منصاتهم لان طرف عبوديتهم أمتع وأشرف من
طرف رسالتهم فالطرف الاعلى في العبودية « مبدأ الحق سبحانه
وتعالى » والطرف الاسفل منته الى شخص النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم واما النبوة فمبدؤها الرسول ومنتهاها الامة .

ولولا ان هذه الصفة اسمى الصفات التي يتصف بها العبد
لما خص الله تعالى أنبياءه بها فقال سبحانه :

﴿فان كتتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من

مثله﴾ .

وقال تعالى : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد

الحرام الى المسجد الاقصى﴾ .

وقال عزّ شأنه : ﴿وما نزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى

الجمعان﴾ .

وقال جلّ وعلا : ﴿واذكر عبدنا داود ذو الأيدي انه

أواب﴾ .

وقال تعالت أسماؤه : ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه

أواب ﴿ .

وقال عزّ سبحانه : ﴿واذكر عبدنا ابراهيم واسحق ويعقوب
أولي الأيدي والأبصار﴾ .

وقال عظم ذكره : ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه اني
مسنى الشيطان بنصب وعذاب﴾ .

وقد كان في وسع المولى تعالت أسماؤه ان يقول في خطاب
نبيه الكريم : وان كنتم في ريب مما نزلنا على رسولنا ونحوه مما
يدل على النبوة والرسالة ولكن حيث كان حبيب الله وصفيه متجرداً
عما يحجبه عن مشاهدة المهيمن سبحانه فانياً في سبيل خدمة
المولى لا يرى في الوجود غير منشيء الاكوان استحق أن يهبه
الباريء تعالى أرقى صفة تليق بهذا المقام .

ومن هنا ترى الرسول المسيح قدم عبوديته على رسالته
فقال :

﴿اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾ .

وأنت لا تفتأ في جميع الفرائض والنوافل في اليوم والليل
تشهد بأن محمداً عبده ورسوله ولم تقل خاتم الأنبياء أو علة
الكائنات أو سرّ الموجودات أو حبيب الله وصفيه مع أنها صفات لا
تليق الا بذات اشتقت من نور القدس ولكنك عرفت ان اسمى
هذه الصفات واجل ما يليق بالعبد حال اتصاله بالمبدأ الاعلى هو
وصفه بالعبودية لمولاه .

ومن هنا ظهر لنا ان من أجلى الحقائق وأرقى مراتب الفضل
الذي لا يحلق إليه طائر الفكر ولا يدرك مداه أي تصور غير ان
من الواجب التصديق به على الجملة هو وصف سيّدنا (العباس
عليه السلام) بهذه الصفة الكاملة (العبد الصالح) التي أضافها
الله تعالى الى أنبيائه ومبلغي شريعته وأمنائه على وحيه ومنحه بها
الامام الصادق عليه السلام .

السقا

الماء حياة العالم وليست حاجة أي جزء من اجزائه امس من الآخر فلا جزء ولا جزيء في الكون الا وهو خاضع له في وجوده في نشوئه وبقائه وقد اعرب عنه سبحانه بقوله ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ وإليه استند ابن عباس في حل لغز ملك الروم فانه وجه الى معاوية قارورة يطلب منه أن يضع فيها من كل شيء فتحير معاوية واستعان بابن عباس في كشف الرمز لعلمه بأنه يستقي من بحر أمير المؤمنين المتموج بالحكم والاسرار فقال ابن عباس لتملاً له ماء فان الله يقول ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ فأدهش ملك الروم وتعجب وقال لله أبوه ما أدهاه (١) .

فلا يخالغ اليقين بأهميته الكبرى في دور الحياة أي شك .

وان من يكون معروفه الذي تندى به انامله وتسوقه اليه جبلته هذه المادة الحيوية لعلی جانب ممنع من الفضل وقد عرقت فيه شائج الرقة وتحلّى بغريزة العطف ونبض فيه عرق الحنان ولا

(١) كامل المبرد ج ١ ص ٣٠٨ ط سنة ١٣٥٥ هـ وتهذيبه ج ١ ص ٢٩٩ .

يكون اسداء مثله الا عن لين ورافة على الوجود وان تفاوتت
المراتب بالنسبة الى الموجودات الشريفة وما دونها ولا يعدو
الشرف والشهامة هذا المتفضل بسر الحياة فهو شريف يحب
الابقاء على مثله أو عطوف لا يجد على الاغاثة منة ولا على
قدرته في الاعانة لسائر الموجودات جهداً ولا عطبا .

وإذا كانت الشريعة المطهرة حثت على السقاية ذلك الحث
المتأكد فانما تلت على الناس أسطراً نورية مما جبلوا عليه وعرفت
الامة بأن الدين يطابق تلك النفسيات البشرية والفرائز الطبيعية
وارشدتهم الى ما يكون من الثواب المترتب على سقي الماء في
الدار الآخرة ليكونوا على يقين من أن عملهم هذا موافق لرضوان
الله وزلفى للمولى سبحانه يستتبع الاجر الجزيل وليس هو طبيعي
محض وهذا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته
المعصومين عليهم السلام من فضل بذل الماء في محل الحاجة
إليه وعدمها كان المحتاج إليه حيواناً أو بشراً مؤمناً كان أو كافراً .

ففي حديث النبي صلى الله عليه وآله أفضل الاعمال عند
الله ابراد الكبد الحري من بهيمة وغيرها^(١) ولو كان على الماء فانه
يوجب تناثر الذنوب كما تنتثر الورق من الشجر^(٢) واعطاه الله بكل
قطرة يبذلها قنطاراً في الجنة وسقاه من الرحيق المختوم وان كان
في فلاة من الأرض ورد حياض القدس مع النبيين^(٣) .

(١) دار السلام ج ٣ ص ١٦٢ .

(٢) الجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٣٣ .

(٣) المستدرك للنوري ج ٣ ص ١٣٠ .

وسأله رجل عن عمل يقربه من الجنة فقال اشتر سقاء جديداً
ثم اسق فيها حتى تخرقها فتبلغ بها عمل الجنة (١) .

وقال الصادق عليه السلام من سقى الماء في موضع يوجد
فيه الماء كان كمن اعتق رقبة ومن سقى الماء في موضع لا يوجد
فيه الماء كان كمن أحمى نفساً ومن أحيها فكأنما أحمى الناس
أجمعين (٢) .

وقد دلت هذه الآثار على فائدة السقي بما هو حياة العالم
ونظام الوجود ومن هنا (كان الناس فيه شرع سواء كالكلاء والنار)
فلا يختص اللطف منه جل وعلا بطائفة دون طائفة وقد كشف
الامام الصادق عليه السلام السر في جواب من قال له ما طعم
الماء ؟ فقال عليه السلام طعم الحياة (٣) .

فالسقاية أشرف شيء في الشريعة المطهرة تلك أهميتها عند
الحقيقة ومكانتها من النفوس ولهذه الأهمية ضرب المثل « بكعب
بن مامة الأيادي » (٤) .

وأضحت السقاية العامة لا ينوء بعبئها الا من حل وسطاً من
السؤدد والشرف وأعالي الامم لا ساققتها ولذا أذعنت قريش لقصي
بسقاية الحاج فكان يطرح الزبيب في الماء ويسقيهم الماء المحلى
كما كان يسقيهم اللبن (٥) .

(٤) امثال الميداني ج ١ ص ١٦٧ .

(٥) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٥ .

(١) امالي ابن الشيخ الطوسي .

(٢) مكارم الاخلاق ص ٨٥ فصل ٧ باب اول .

(٣) تهذيب الكامل ج ١ ص ٢٩٩ .

وكان ينقل الماء الى مكة من آبار خارجها ثم حفر بئراً
أسمها العجول في الموضع الذي كانت دار ام هاني فيه وهي أول
سقاية حفرت بمكة وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا :

نروي على العجول ثم ننطلق ان قصيا قد وفى وقد صدق
ثم حفر قصي بئراً سماها سجلة وقال فيها^(١) :

أنا قصي وحفرت سجلة تروي الحجيج زغلة فزغلة
وكان هاشم أيام الموسم يجعل حياضاً من آدم في موضع
زمزم لسقاية الحاج ويحمل الماء الى منى لسقايتهم وهو يومئذ
قليل^(٢) .

ثم أنه حفر بئراً سماها البندر^(٣) وقال انها بلاغ للناس فلا يمنع
منها احداً^(٤) .

وأما عبد المطلب فقد قام بما كان آباؤه يفعلونه من سقاية
الحجاج وزاد على ذلك انه لما حفر زمزم وكثر ماؤها أباحها للناس
فتركوا الآبار التي كانت خارج مكة لمكانها من المسجد الحرام
وفضلها على من سواها لأنها بئر اسماعيل^(٥) وبني عليها حوضاً
فكان هو وابنه الحرث ينزعان الماء ويملئان الحوض فحسدته
قريش على ذلك وعمدوا الى الحوض بالليل فكسروه فكان عبد
المطلب يصلحه بالنهار وهم يكسرونه بالليل فلما أكثروا عليه

(١) الروض الآنف ج ١ ص ١٠١ . (٢) شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٤٥٧ .

(٣) في الروض الآنف ج ١ ص ١٠١ بذركبم سميت بذلك لخروج مائها من غير مكان
واحد .

(٤) المصدر . (٥) سيرة ابن دحلان بهامش الشيرة الحلبية ج ١ ص ٢٦ .

افساده دعا عبد المطلب ربه سبحانه وتعالى فرأى في المنام قائلاً يقول « قل لقريش اني لا احلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل » فنادى في المسجد بما رأى فلم يفسد أحد من قریش حوضه الا رمي بداء بجسده حتى تركوا حوضه وسقايته^(١) وفي ذلك يقول خويلد بن اسد^(٢) :

أقول وما قولي عليهم بسبة إليك ابن سلمى انت حافر زمزم
حفيرة ابراهيم يوم ابن هاجر وركضة جبريل على عهد آدم

ولما وافق قريشاً على المحاكمة عند كاهنة بني سعد بن هذيم وكان بمشارف الشام وسار عبد المطلب بمن معه من قومه حيث إذا كانوا بمفازة لا ماء فيها ونفذ ماؤهم استسقوا ممن كان معهم من قريش فأبوا أن يسقوهم حفظاً على الماء فأمر عبد المطلب أصحابه أن يحفروا قبوراً لهم ويدفن من يموت منهم عطشاً في حفرته ويبقى واحد فضيعة واحد أيسر من ضيعة جماعة وبعد أن فرغوا من الحفر قال عبد المطلب ان هذا منا لعجز لنضربن في الأرض عسى الله أن يرزقنا ماء فركب راحلته فلما انبعث نبع من تحت خفها ماء عذب فكبر عبد المطلب وشرب أصحابه وملؤا أسقيتهم ودعا قريشاً أن يستقوا من الماء فأكثروا منه ثم قالوا ان الله قد قضى لك علينا ولا نخاصمك في زمزم ان الذي سقاك في هذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم فارجع راشداً .

(١) شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٤٦٠ وابن دحلان ج ١ ص ٢٦ .

(٢) شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٤٦٠ .

وزاد عبد المطلب في سقاية الحاج بالماء ان طرح الزبيب فيه وكان يحلب الابل فيضع اللبن مع العسل في حوض من ادم عند زمزم لسقاية الحاج^(١) .

ثم قام أبو طالب مقامه بسقي الحاج^(٢) وكان يجعل عند رأس كل جادة حوضاً فيه الماء ليستقي منه الحاج وأكثر من حسل الماء أيام الموسم ووفره في المشاعر فقبل له ساقى الحجيج .

أما أمير المؤمنين فقد حوى أكثر مما حواه والده الكريم من هذه المكرمة وكم له من موارد للسقاية لا يستطيع أحد على مثلها وذلك يوم بدر وقد اجهد المسلمون العطش واحجموا عن امثال امر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في طلب الماء فرقاً من قريش لكن نهضت بأبي الريحانين غيرته السماء وثار به كرمه المتدفق فلبى دعاء الرسول وانحدر نحو القلب وجاء بالماء حتى أروى المسلمين^(٣) .

ولا ينس يوم صفين وقد شاهد من عدوه ما تندى منه جبهة كل غيور فان معاوية لما نزل بجيشه على الفرات منع أهل العراق من الماء حتى كضهم الظمأ فأنفذ إليه أمير المؤمنين صعصعة بن صوحان وشبث بن ربعي يسألانه ان لا يمنع الماء الذي أباحه الله تعالى لجميع المخلوقات وكلهم فيه شرع سواء فأبى معاوية الا التردد في الغواية والجهل فعندها قال أمير المؤمنين ارووا السيوف من الدماء ترووا من الماء^(٤) ، ثم أمر أصحابه أن يحملوا على

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٤٠٦ .

(٤) نهج البلاغة ج ١ ص ١٠٩ .

(١) السيرة الدحلانية ج ١ ص ٢٦ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٧ .

أهل الشام حملة واحدة فحمل الاشر والاشعث في سبعة عشر
الفاً والاشتر يقول :

ميعادنا اليوم بياض الصبح هل يصلح الزاد بغير ملح؟
والاشعث يقول :

لاوردن خيلي الفراتا شعث النواصي أو يقال ماتا
فلما أجلوهم أهل العراق عن الفرات ونزلوا عليه وملكوه
أبي صاحب النفسية المقدسة التي لا تعدوها أي مآثرة أن يسير
على نهج عدوه حتى أباح الماء لاعدائه ونادى بذلك في
أصحابه^(١) ولم يدعه كرم النفس أن يرتكب ما هو من سياسة
الحرب من التضييق على العدو بأي صورة .

هذه جملة من موارد السقاية الصادرة من شرفاء سادة متبوئين
على منصات المجد والخطر متكئين على أرائك العز والمنعة وما
كانت تدعهم دماثة أخلاقهم وطهارة أعراقهم أن يكونوا أدخلوا من
هذه المكرمة وقد افتخر بذلك عبد مناف على غيرهم .

وأنت إذا استشففت الخصوصيات المكتنفة بكل منها فان
الصراحة لا تدعك الا ان تقول بتفاوت المراتب فيها من ناحية
الفضيلة .

كما لا تجد متدحاً عن تفضيل الحسين على غيره يوم سقى

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٦١٩ وذكر الخوارزمي في المناقب ص ١٣٢ مشاركة
معاوية اصحابه في امر الماء وما اشار به ابن ابي معيط من منع أهل العراق من الورد وراي
ابن العاص بخلافه .

الحر وأصحابه في « شراف » وهو عالم بحراجة الموقف ونفاذ الماء بسقي كتبية فيها ألف رجل مع خيولهم ووخامة المستقبل وان الماء غدا دونه تسيل النفوس وتشق المرائر لكن العنصر النبوي والاصرة العلوية لم يتركا صاحبهما الا ان يحوز الفضل .

وأني أحسب ان ما ناء به أبو الفضل عليه السلام في أمر السقاية لا يوازيه شيء من ذلك يوم ناطح جبلاً من الحديد ببأسه الشديد حتى اخترق الصفوف وزعزع هاتيك الالوف وليس له هم في ذلك المأزق الحرج الا اغائة شخصية الرسالة المنتشرة في تلك الامثال القدسية من الذرية الطيبة ولم تقشعه هذه الفضيلة حتى أبت نفسيته الكريمة أن يلتذ بشيء من الماء قبل أن يلتذ به اخوه الامام وصبيته الازكياء .

هنالك حداه إيمانه المشفوع باليقين وحنانه المرتبط بالكرم الى أن ينكفأ الى المخيم ولا يحمل الا مزادة من ماء يدافع عنها بصارمه الذكر ويزينه المثقف ولواء الحمد يرف على رأسه غير أن ما يحمله هو انفس عنده من نفسه الكريمة بلحاظ ما يريد من المحافظة على تلك المزادة الملئى .

وراقه أن تكون هي الذخيرة الثمينة مشفوعة بما هو أعظم عند الله تعالى فسمح بيمينه وشماله « وكتاهما يمن » أن تقطعا بعين الله في كلاءة ما يتهالك دونه لينال الامنية قبل المنية وما خارت عزيمة العباس عليه السلام الا حين أحب أن لو كانت المراقبة نفسه لا القربة فيا أبعد الله سهماً أسال ماءها ولم يكن « سعد العشيرة » طالباً للحياة بعده لو لم يأتته العمود الطائش ألا

لعنة الله على الظالمين .

ومن أجل مجيئه بالماء الى عيال أخيه وصحبه في الايام
العشرة سمي « السقا » نصّ عليه أبو الحسن في المجدي
والداودي في عمدة الطالب وابن إدريس في مزار السرائر وأبو
الحسن الديار البكري في تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣١٧ والنويري
في نهاية الارب ج ٢ ص ٣٤١ والشبلنجي في نور الابصار ص ٩٣
والعلامة الحجة محمد باقر القايني في الكبريت الاحمر ج ٢ ص ٣٤ .
ولصاحب هذا اللقب فيوضات على الامة لا تحد وبركات لا
تحصر :

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله
ومن ذلك ما ذكره العلامة السند السيد محمد بن آية الله
السيد مهدي القزويني قدس الله سره في كتاب « طروس الانشاء »
قال في سنة ١٣٠٦ هـ انقطع نهر الحسينية وعاد أهل كربلاء
يقاسون شحة الماء وكضة الظماً فأمرت الحكومة العثمانية بحفر
نهر في أراضي السيد النقيب السيد سلمان فمنع النقيب ذلك
واتفق أن زرت كربلاء فطلب أهلها ان اكتب الى النقيب فكتبت
اليه ما يشجيه وعلى حالهم يبكيه :

في كربلا لك عصبه تشكوا الظما من فيض كفك تستمد رواءها
واراك يا ساقى عطاشى كربلا وأبوك ساقى الحوض تمنع ماءها
فاجاز النقيب حفر النهر وانتفع أهل كربلا ببركة هذا اللقب
الشريف (السقا) .

نشأته

مما لا شك فيه ان لِنفسيات الابا ونزعاتهم وكمياتهم من العلم والخطر أو الانحطاط والضعفة دخلاً تاماً في نشأة الأولاد وتربيتهم ان لم نقل ان مقتضاهما هو العامل الوحيد في تكيف نفسيات الناشئة بكيفيات فاضلة أو رذيلة فلا يكاد يرثي صاحب أي خطة الا ان يكون خلفه على خطته ولا ان الخلف يتحرى غير ما وجد عليه سلفه ولذلك تجد في الغالب مشاكلة بين الجيل الأول والثاني في العادات والاهواء والمعارف والعلوم اللهم الا أن يسود هناك تطور يكبح ذلك الاقتضاء .

وعلى هذا الناموس يسعنا أن نعرف مقدار ما عليه أبو الفضل عليه السلام من العلم والمعرفة وحسن التربية بنشوته في البيت العلوي منبثق أنوار العلم ومحط أسرار اللاهوت ومختبأ نواميس الغيب فهو بيت العلم والعمل بيت الجهاد والسورع بيت المعرفة والايمان :

بيت علا سمك الضراح رفعة فكان أعلا شرفاً وامنعاً

اعزه الله فما تهبط في كعبته الاملاك الا خضعاً
بيت من القدس وناهيك به محط اسرار الهدى وموضعا
وكان مأوى المرتجي والملتجى فما اعز شأنه وارفعاً^(١)

وبسيف صاحب هذا البيت المنيع انجلت غواشي الاحاد
وببيانه تقشعت غيوم الشبه والاوهام .

إذن فطبع الحال يدلنا على ان سيد الأوصياء لم يبغ بابنه
بدلاً في حسن التربية الالهية ولا ان شظية الخلافة يروقه غير
اقتصاص أثر أبيه الاقدس فلك هاهنا ان تحدث عن بقية
أمير المؤمنين في أي ناحية من نواحي الفضيلة ولا حرج .

لم تكن كل البصائر في أبي الفضل عليه السلام اكتسابية بل
كان مجتبياً من طينة القداسة التي مزيجها النور الالهي حتى
تكونت في صلب من هو مثال الحق ذلك الذي لو كشف عنه
الغطاء ما ازداد يقيناً فلم يصل أبو الفضل عليه السلام الى عالم
الوجود الا وهو معدن الذكاء والفطنة واذن واعية للمعارف الالهية
ومادة قابلة لصور الفضائل كلها فاحتضنه حجر العلم والعمل حجر
اليقين والايمان وعادت ارومته الطيبة هيكلًا للتوحيد يغذيه أبوه
بالمعرفة فتشرق عليه أنوار الملكوت واسرار اللاهوت وتهب عليه
نسمات الغيب فيستنشق منها الحقائق .

دعا أبوه عليه السلام في عهد الصبا واجلسه في حجره وقال

له :

(١) من قصيدة للعلامة السيد محمد حسين الكيشوان رحمه الله .

« قل واحد فقال واحد فقال له قل اثنين فامتنع وقال اني استحي أن أقول اثنين بلسان قلت به واحداً » (١) .

وإذا أمعنا النظر في هذه الكلمة وهو على عهد نعومة من أظفاره في حين ان نظراءه في السن لا يبلغون الى ما هو دون ذلك الشأو البعيد فلا نجد بدأً من البخوع بأنها من أشعة تلك الاشراقات الالهية فما ظنك اذن حينما يلتقي مع المبادئ الفياضة من أبيه سيّد الوصيين واخويه الإمامين سيّدي شباب أهل الجنة فلا يقتنى من خزائن معارفهم الا كل در ثمين ودري لامع .

وغير خفي ما أراده سيدنا العباس فانه أشار الى ان الوحدانية لا تليق الا بفاطر السموات والارضين ويجل مثله المتفرع من دوح الامامة ان يجري على لسانه الناطق بالوحدانية لباري الأشياء صفة تنزه عنها سبحانه وتعالى وعنهما ينطق كتابه المجيد ﴿لو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا﴾ .

ومما زاد في سرور أبيه أمير المؤمنين ان زينب العقيلة كانت حاضرة حينذاك وهي صغيرة فقالت لابيها اتحبنا ؟ قال بلى فقالت لا يجتمع حبان في قلب مؤمن حبّ الله وحب الأولاد وان كان ولا بد فالحب لله تعالى والشفقة للأولاد فاعجبه كلامها وزاد في حبه وعطفه عليهما (٢) .

(١) خاتمة المستدرك للعلامة النوري ج ٣ ص ٨١٥ عن مجموعة الشهيد الأول ورواه الخوارزمي في الفصل السادس من مقتل الحسين مخطوط .
(٢) مقتل الخوارزمي في الفصل السادس مخطوط .

أما العلم فهو رضيع لبانه وناهيك في حجر أبيه مدرسة يتخرج منها مثل أبي الفضل عليه السلام وما ظنك بهذا التلميذ المصاغ من جوهر الاستعداد وذلك الاستاذ الذي هو عيبة العلم الالهي وعلبة اسرار النبوة وهو المقيض لنشر المعارف الربوبية وتعليم الاخلاق الفاضلة ونشر احكام الاسلام ودحض الاوهام والوساوس .

وإذا كان الامام عليه السلام يربي البعداء الاجانب بتلك التربية الصحيحة الماثورة حتى استفادوا منه اسرار التكوين ووقفوا على غامض ما في النشأتين وكان عندهم بواسطة تلك التربية علم المنايا والبلايا كحبيب بن مظاهر وميثم التمار ورشيد الهجري وكميل بن زياد وأمثالهم .

فهل من المعقول ان يذر قرّة عينه وفلذة كبده خلواً من أي علم ؟ أو ان قابلية المحل تربي بأولئك الافراد دون سيدنا العباس عليه السلام ؟ - لاها الله - ما كان سيد الأوصياء يضمن بشيء من علومه لا سيما على قطعة فؤاده ولا ان غيره ممن انضوى الى أبيه علم الهداية يشق له غباراً في القابلية والاستعداد .

فهناك التقى مبدأ فياض ومحل قابل للافاضة وقد ارتفعت عامة الموانع فذلك برهان على ان (عباس اليقين) من أوعية العلم ومن الراسخين فيه .

ثم هلم معي الى جامعتين للعلوم الالهية ملازمتين للجامعة الأولى في نشر المعارف وتقيضهما لافاضة التعاليم الحقّة لكل تلميذ والرقى به الى أوج العظمة في العلم والعمل الا وهما

« كليتا » السبطين الحسن والحسين عليهما السلام وانظر الى ملازمته لآخويه بعد أبيه سيد الأوصياء ملازمة الظل لديه فهناك يتجلى لك ان سماء علمهما لم تهطل وبالألأ اوعاد لؤلؤاً رطباً في نفسه ولا انفقاً شيئاً من ذلك الكنز الخالد الا واتخذة ثروة علمية لا تنفذ .

أضف الى ذلك ما كان يرويه عن عقيلة بيت الوحي زينب الكبرى وهي العالمة غير المعلمة بنص الامام زين العابدين^(١) .

وبعد هذا كله فقد حوى أبو الفضل من صفاء النفس والجميلة الطيبة والعنصر الزاكي والاخلاص في العمل والدؤوب على العبادة ما يفتح له أبواباً من العلم ويوقفه على كنوز المعرفة فيتفرع من كل أصل فرع وتنحل عنده المشكلات .

وإذا كان الحديث ينص على ان من أخلص لله أربعين صباحاً انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه اذن فما ظنك بمن اخلص لله سبحانه طيلة عمره وهو متخل عن كل رذيلة ومتحل بكل فضيلة فهل يبقى الا ان تكون ذاته المقدسة متجلية بأنوار العلوم والفضائل والا ان يكون علمه تحققاً لا تعلقاً .

وبعد ذلك فما أوشك أن يكون علمه وجدانياً وان برع في البرهنة وتنسيق القياس ومن هنا جاء المأثور عن المعصومين عليهم السلام « ان العباس بن علي زق العلم زقا »^(٢) .

(١) الكبرى الاحمر .

(٢) أسرار الشهادة ص ٣٢٤ .

وهذا من أبداع التشبيه والاستعارة فان الزق يستعمل في تغذية الطائر فرخه حين لم يقو على الغذاء بنفسه وحيث استعمل الامام عليه السلام وهو العارف بأساليب الكلام هذه اللفظة هنا نعرف ان أبا الفضل عليه السلام كان محل القابلية لتلقي العلوم والمعارف منذ كان طفلاً ورضيعاً كما هو كذلك بلا ريب .

فلم يكن أبو الفضل بدعا من أهل هذا البيت الطاهر الذي حوى العلم المتدفق منذ الصغر كما شهد بذلك اعداؤهم ففي الحديث عن الصادق عليه السلام ان رجلاً مرَّ بعثمان بن عفان وهو قاعد على باب المسجد فسأله فأمر له بخمسة دراهم فقال له الرجل أرشدني قال عثمان دونك الفتية الذين تراهم وأومى بيده الى ناحية من المسجد فيها الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر فمضى الرجل نحوهم وسألهم فقال له الحسن يا هذا المسألة لا تحل الا في ثلاث دم مفعج أو دين مقرح أو فقر مدقع أيتها تسأل فقال في واحدة من هذه الثلاث أفر له الحسن بخمسين ديناراً والحسين بتسعة وأربعين ديناراً وعبد الله بن جعفر بثمانية وأربعين فانصرف الرجل ومرَّ بعثمان فحكى له القصة وما اعطوه فقال له ومن لك بمثل هؤلاء الفتية أولئك فطموا العلم فطمأ وحازوا الخير والحكمة .

قال الصدوق بعد الخبر معنى فطموا العلم أي قطعوه عن غيرهم وجمعوه لأنفسهم^(١) وجاء في الأثر ان يزيد بن معاوية قال

(١) الحاصل ج ١ ص ٦٧ في باب لا تصلح المسألة الا في ثلاث .

في حق السجاد انه من أهل بيت زقوا العلم زقا .

ومن أجل ذلك قال العلامة المحقق الفقيه المولى محمد باقر بن المولى محمد حسن بن المولى أسد الله بن الحاج عبد الله بن الحاج علي محمد القايني نزيل برجنند في كتاب الكبريت الأحمر ج ٣ ص ٤٥ أن العباس من أكابر وأفاضل فقهاء أهل البيت بل انه عالم غير متعلم وليس في ذلك منافاة لتعليم أبيه عليه السلام إياه .

وكان هذا الشيخ الجليل ثبتاً في النقل منقّباً في الحديث يشهد بذلك كبريته تتلمذ رحمه الله في العراق على الفاضل الايرواني وميرزا حبيب الله الرشتي والسيد الشيرازي وفي خراسان على السيد مرتضى القايني والعلامة محمد تقي البجنردي وكان له أربع وثلاثون مؤلفاً .

ومن مستطرف الاحاديث ما حدّثني به الشيخ العلامة ميرزا محمد علي الاربادي عن حجة الاسلام السيد ميرزا عبد الهادي آل سيد الامة الميرزا الشيرازي قدس الله سره عن العالم البارع السيد ميرزا عبد الحميد البجنردي انه شاهد في كربلاء المشرفة رجلاً من الافاضل قد اغتر بعلمه وبلغ من غلوائه في ذلك انه كان في منتدى من أصحابه وجرى ذكر أبي الفضل وما حمله من المعارف الالهية التي امتاز بها على سائر الشهداء فصارح الرجل فأفضليته على العباس واستغرب من حضر هذه الجرأة وانكروا عليه ولاموه على هذه البادرة فطفق الرجل يبرهن على تهيئته بتعداد مآثره وعلومه وما ينوء به من تهجد وتنفل وزهادة وقال ان

كان أبو الفضل العباس يفضل بامثال هذه فعنده مثلها والشهادة يوم
الطف لا تقابل ما تحمله من العلوم الدينية وأصولها ونواميسها .

فقام الجماعة من المجلس والرجل على ذلك الغرور
والغلواء غير نادم ولا متهيب .

ولما أصبحوا لم يكن لهم هم الا معرفة خبر الرجل وانه هل
بقي على غيّه ان ان الهداية الالهية شملته فقصدوا داره وطرقوا
الباب فقبل لهم ان الرجل في حرم العباس فتوجهوا إليه ليستبروا
خبره فاذا الرجل قد ربط نفسه في الضريح الاقدس بحبل شد
طرفه بعنقه والآخر بالضريح وهو تائب نادم مما فرط .

فسألوه عن شأنه وخبره فقال :

لما نمت البارحة وأنا على الحال الذي فارقتكم عليه رأيت
نفسي في مجتمع من أهل الفضل واذا رجل دخل النادي وهو
يقول أن أبا الفضل قادم عليكم فأخذ ذكره من القلوب مأخذاً حتى
دخل عليه السلام والنور الالهي يسطع من أسارير جبهته والجمال
العلوي يزهر في محياه فاستقر على كرسي في صدر النادي
والحضور كلهم خاضعون لجلالته وخصتني من بينهم رهبة عظيمة
وفرق مقلق لما اتذكره من تفريطي في جنب ولي الله فطفق عليه
السلام يحيي أهل النادي واحداً واحداً حتى وصلت النوبة الي .

ثم قال لي ماذا تقول انت فكاد أن يرتج علي القول ثم
راجعت نفسي وقلت في المصارحة متدحاً عن الارتباك وفوزاً
بالحقيقة فأنهيت إليه ما ذكرته لكم بالامس من البرهنة .

فقال عليه السلام أما أنا فقد درست عند أبي أمير المؤمنين
وأخوي الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وأنا على يقين
من ديني بما تلقيته من مشيختي من الحقائق ونواميس الاسلام .

وأنت شك في دينك شك في إمامك أليس الامر هكذا ؟
فلم يسعني انكار ما يقوله ثم قال عليه السلام واما شيخك الذي
قرأت عليه وأخذت منه فهو أتعس منك حالاً وما عسى أن يكون
عندك من أصول وقواعد مضرورية للجاهل بالاحكام يعمل بها اذا
أعوزه الوصول الى الواقع واني غير محتاج إليها لمعرفة بواقع
الاحكام من مصدر الوحي الالهي .

ثم قال عليه السلام وفي نفسيات كريمة واخذ يعددها من
كرم وصبر ومواساة وجهاد الى غيرها ولو قسمت على جميعكم لما
امكنك حمل شيء منها .

على ان فيك ملكات رذيلة من حسد ومراء ورياء ثم ضرب
بيده الشريفة على فم الرجل فانتبه فزعا نادماً معترفاً بالتقصير ولم
يجد منتدحاً الا بالتوسل به والانابة اليه صلوات الله عليه وعلى
آبائه .

اليقين

لقد كان أبو الفضل عليه السلام أحد الافذاذ العلويين الذين لم تكن المفاخر مزايا زائدة على ذاتياتهم وان مدحوا بآثارها لأنهم زبد المخض حازوا شرف النبوة وفضيلة الخلافة تتنضد بهم حمل العلم وتعتدل موازين العمل وتترنح بهم صهوات المنابر .

فكان سلام الله عليه متربعاً على منصة المجد وملؤ الندي هيبة وملؤ العيون بهجة وملؤ المسامع ذكره الجميل وملؤ القلوب محبة وحشواها به علم وعمل وحشو الردى سوؤدد وشرف .

وان الاحاطة بما حواه من اليقين الثابت والبصيرة النافذة بأحد طريقين الاول سبر احواله ومواقع اقدامه واحجامه ومواضع بطشه واناته وموارد صفحه وانتقامه ولا بد أن يكون المنقب عند ذلك مميزاً بين مدارج الرأي ومساقط الخطل بصيراً بمراقبي الحلم ومهاوي البطش والثاني اخبار من وقف على ذلك بمباشرة وافية وعلم متسع تم شكله وظهر انتاجه أو تعليم الهي او اخذ عن له صلة بذلك التعليم .

وغير خفي ان قمر بني هاشم ملقى ذينك الطرفين في
البصيرة واليقين في دينه وعقله في معارفه واخلاقه في حله
وارتحاله وكان ينظر الى جملة الاحوال بين البصيرة التي تخرق
الحجب وتبصر ما وراءها من اسرار وخبايا لا بناظر البصر الذي
تحجبه الحواجز وتمنعه السدول فيرد عن الادراك خاسئاً فلا يكون
أمر تهالك دونه الا بعلم ثابت ويقين راسخ وايمان لا يشوبه شك
فانه :

سر أبيه وهو سر الباري ملك عرش عالم الاسرار
وارث من حاز مواريث الرسل أبو العقول والنفوس والمثل
وكيف لا وذاته القدسية مجموعة الفضائل النفسية

لقد كان أبو الفضل يعرف العراقيين ونزعات أهل الكوفة منذ
عهد أبيه وأخيه السبط المجتبي بالتجارب الصحيحة وانهم
تجمعهم الاماني وتفرقهم الرضاخ ويشاهد الامويين وقوة سلطانهم
وتوغلهم في اراقة الدماء وبطشهم في الناس وطيشهم في الامور
ويرى ضعف جانب (أبي الضيم «ع») وقلة انصاره وطبع الحال
يحدو مثله الى التحيز الى فئة اخرى ولاقل من التقاعد عن أي
الفريقين وما كان مثله لو سالم الامويين لعدم ولاية أو قيادة
لجيوشهم أو عيشة راضية يقضي بها أيامه .

(لكن عباس اليقين) لم يكن له طمع في شيء من حطام
الدنيا فلم يرقه الا الالتحاق بأخيه سيد الشهداء موطناً نفسه
الكريمة لاي كارثة أو شدة مؤلمة هذا والتكهن بمصير أمر الحسين
عليه السلام في مسيره نصب عينه والمغيبات المأثورة عن

رسول الله وأمير المؤمنين والمسموعات من اخويه الامامين ملؤ اذنه فلم يبرح مع « أخيه الشهيد » يفترع ربوة ويسف الى واد لا يرى في هاتيك الثنايا والعقبات الا تصديقاً لما عرفه ويقيناً بمنتهى أمره وغايته حتى بلغهم نبأ فاجعة مسلم بن عقيل فعرف القوم انثيال الكوفيين عن الحق ورضوخهم الى حكم الطاغية هنالك خارت العزائم واخفقت الظنون وطفق أهل المطامع والشره يتفرقون عن السبط المقدس يميناً وشمالاً^(١) الا من حداهم الى المسير حق اليقين وفي الطليعة منهم سيّدنا العباس فانه لم يزد الا بصيرة في النهضة الكريمة وسروراً بأزوف الغاية المتوخاة .

فسار به وبهم «شهير العظمة» وهو لا يشاهد كما انهم لا يرون كلما قربوا من الكوفة الا تدبر الناس وتألّبهم عليهم وتتوارد عليهم الابناء بما هو اشد لكن لم يثن ذلك من عزائمهم شيئاً ولا يكدي املاً بل كانوا يخففون الخطا ويسرعون السير لينتهوا الى معانقة الرماح ومصافحة الصفاح اكثر مما يسرع الصب الى الخود الرداح ومرشدهم الى ذلك بعد إمام الهدى (أبو الفضل) .

ركب حجازيون بين رحالهم تسري المنايا انجدوا أو اتهموا
يحدون في هزج التلاوة عيسهم والكل في تسبيحه يترنم

(١) اللهوف ص ٤١ صيدا.

الاصحاب

هبط موكب العظمة عراض الغاضريات وهو يضم الفتية من آل عبد المطلب والاباة الصفوة من الاصحاب فكانوا فرحين بما أتاهم المولى من فضله واختصهم به من المنحة الكبرى حيث جعل أثر ميتهم حياة للدين ومدحرة للاضاليل فكانوا رضوان الله عليهم بما أودع الله تعالى فيهم من النيات الصادقة لا يهابون في سبيل السير إليه تعالى عقبة كإداء أو نبأ موحشاً من تخاذل القوم وتدابير النفوس وتضائل القوى لما عرفوه من انها موهبة لا يحضى بها الا الامثل فالامثل فقابلوا الاخطار بجأش طامن وجنان ثابت لا تزجره أي هائلة وكلما اشتد المأزق الحرج اعقب فيهم انشراحاً وانبساطاً بين ابتسامة ومداعبة ومن فرح الى نشاط .

ومذ اخذت في نينوى منهم النوى ولاح بها للغدر بعض العلائم
غدا ضاحكاً هذا وذا متبسماً سروراً وما ثغر المنون بباسم^(١)

نازل برير بن حضير عبد الرحمن الانصاري فقال له

(١) من قصيدة للشيخ صالح الكواز الحلي وقيل للتيمي .

عبد الرحمن ما هذه ساعة باطل فقال برير والله لقد علم قومي اني
ما احببت الباطل شاباً ولا كهلاً ولكني لمستبشر بما نحن لاقون
والله ما بيننا وبين الحور العين الا ان يميل علينا هؤلاء بأسيافهم
ولو ددت انهم مالوا علينا الساعة (١)

وخرج حبيب بن مظاهر يضحك فقال له يزيد بن الحصين
ما هذه ساعة ضحك قال حبيب وأي موضع أحق بالسرور من هذا
ما هو الا ان يميل علينا هؤلاء الطغاة بسيوفهم فنعانق الحور (٢)

وناهيك بعابس بن أبي شبيب الشاكري حينما برز الى
الحرب وقد احجم القوم عنه لأنهم عرفوه بالاقدام والبسالة فلما
رأى انه لم يبارزه احد القى ما عليه من درع ولامة فاغتنمها القوم
فرصة ومع ذلك لم يبرز إليه أحد لكنهم رموه بالسهام والحجارة
وانه ليطرده أكثر من مائتين فرحاً مبتهجاً بما يلاقيه من حبور
ونعيم .

واني لأعجب من الرواة وحملة التاريخ إذ توسعوا في النقل
وقذفوا أولئك الاباة الصفرة والغلب المصاليات بما تندى منه وجه
الانسانية ويأباه الوجدان الصادق فليل كان القوم بحالة ترتعد
فرائصهم وتتغير ألوانهم كلما اشتد الحال وضاق المجال الا
الحسين فان أسرة وجهه تشرق كالبدر المنير (٣)

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٤١ ومثير الأحران لابن نما ص ٢٧ والبحار ج ١ ص ٢٤١ .

(٢) رجال الكشي ونفس المهموم ص ١٢٧ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٥٤ .

وذلك بعد أن أعوزتهم الوقيعة في شهيد الالباء فلم يجدوا
للغمز فيه نصيباً فمالوا على أصحابه وأهل بيته الذين قال فيهم
الامام عليه السلام « اني لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي ولا
أهل بيت أبرّ وأوفى من أهل بيتي » (١) وقد استلمتهم فما وجدت
فيهم الا الاشوس الالقوس يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل الى
محالب امه (٢) .

وليس ذلك الا من الداء الدفين بين اضالع قوم ذاقوا السم
في الدسم الى سذج آخرين حسبوه حقيقة راهنة فشوهوا وجه
التاريخ غير ان البصير الناقد لا تخفى عليه نفسية القوم ولا ما
جاؤا به .

وأعجب من ذلك قول محفر ليزيد: انا احطنا بهم وهم
يلوذون عنا بالاكام والحفر لواذ الحمام من الصقر (٣) .

بفيك الكثك أيها القائل كأنك لم تشاهد ذلك الموقف
الرهيب فترى ما للقوم من بسالة واقدام ومفادات دون الدين
الحنيف حتى اغفل يومهم مع ابن المصطفى أيام صفين وما
شاكلها من حروب دامية ووقائع هائلة وحتى اخذت اندية الكوفة
لا تتحدث الا شجاعتهم (٤) .

أجل ان تلك الأهوال ادهشتك فلم تدر ما تقول او ان الشقة
بعدت عليك فنسيت ما كان ولكن هل غاب عن سمعك صراخ

(٣) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٦٤ .

(١) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٣٨ .

(٤) مناقب ابن شهر اشوب .

(٢) الدمعة الساكبة ص ٣٢٥ عن بعض المؤلفات .

الايامى وعويل الايتام في دور الكوفة حتى طبق ارجاءها من جراء ما أوقعه أولئك الصفوة باعداء الله ورسوله بسيوفهم الماضية والعدر لك انك أدركت ساعة العافية فطفقت تشوه مقامهم المشكور طلباً لمرضاة (يزيد الخمور) .

ولقد صرّح عن صدق نياتهم واخلاصهم في التضحية عدوهم الألدّ عمرو بن الحجاج محرّضاً قومه : « أتدرون من تقاتلون تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر تقاتلون قوماً مستميتين لا يبرز إليهم أحد منكم الا قتلوه على قلتهم والله لو لم ترموهم الا بالحجارة لقتلتموهم » فقال عمر بن سعد قد صدقت الرأي ما رأيت أرسل في الناس من يعزم عليهم ان لا يبارزهم رجل منهم^(١) ولو خرجتم إليهم وحداناً لاتوا عليكم^(٢) .

وقيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد ويحك اقتلتم ذرية رسول الله فقال عضضت بالجنديل انك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالاسود الضاربة تحطم الفرسان يميناً وشمالاً وتلقي نفسها على الموت لا تقبل الأمان ولا ترغب في المال ولا يحول حائل بينها وبين حياض المنية أو الاستيلاء على الملك فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها فما كنا فاعلين لا أم لك^(٣) .

وأي فرد منهم أقلقه الحال حتى ارتعدت فرائصه أهوزهير

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٤٩ .

(٢) مقتل محمد بن أبي طالب .

(٣) شرح النهج الحديدي ج ١ ص ٣٠٧ .

بن القين الذي وضع يده على منكب الحسين وقال مستأذناً .
اقدم هديت هاديا مهديا فاليوم ألقى جدك النبي
أم ابن عوسجة الذي يوصي حبيب بن مضاهر بنصرة
الحسين وهو في آخر رمق من الحياة فكأنه لم يقنعه عن المفادات
كل ما لاقاه من جهد وبلاء .

أم أبو ثمامة الصائدي الذي لم يهمله في سبيل السير الى
ربه سبحانه كل ما هناك من فوادح وآلام الا الصلاة التي دنا وقتها
فقال للحسين نفسي لك الفداء اني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ولا
والله لا تقتل حتى اقتل دونك واحب أن ألقى الله وقد صليت هذه
الصلاة التي دنا وقتها فقال الحسين ذكرت الصلاة جعلك الله من
المصلين الذاكرين (١) .

أم سعيد الحنفي الذي تقدم أمام الحسين وقت الصلاة
واستهدف لهم فأخذوا يرمونه بالنبل يمينا وشمالاً حتى سقط لكثرة
نزف الدم (٢) فقال للحسين أوفيت يا ابن رسول الله قال نعم أنت
أمامي في الجنة .

أم ابن شبيب الشاكري الذي ألقى جميع لامته لتقرب منه
الرجال فيموت في حين نرى الكمأة الابطال المعروفين بالشجاعة
والاقدام يتدرعون للحرب كي لا يخلص إليهم ما يزهق نفوسهم .

أم الغفاريان الذين استأذنا الحسين في الحملة وهما يبكيان

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٥١ .

(٢) المصدر ص ٢٥٢ .

فقال عليه السلام لهما ما يبكيكما فوالله اني لأرجو أن تكونا بعد ساعة قريري العين فقالا ما على أنفسنا نبكي ولكن نبكي عليك أبا عبد الله نراك قد احيط بك ولا نقدر على الدفع عنك والذب عن حرمك فجزاهما الحسين خيراً .

وإذا تأملنا قول الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام « ان اصحاب جدّي الحسين لم يجدوا ألم مس الحديد»^(١) .

وضح لنا ما عليه أولئك الاطايب من الثبات وانهم غير مكترئين بما لاقوه من ألم الجراح ولعاً منهم بالغاية شوقاً الى جوار المصطفى .

ولا يستغرب هذا من يعرف حالة العاشق وانه عند توجهه مشاعره نحو المحبوب لا يشعر بكل ما يلاقيه من عناء ونكد حكى المؤرخون ان عزة دخلت على كثير الشاعر وهو في خبائه يبزي سهاماً له ولما نظر إليها ادهشه الحال وابهره الجمال فأخذ يبزي أصابعه وسالت الدماء وهو لا يحس بالألم^(٢) .

وأكبر مثال على ذلك حكاية الكتاب المجيد حالة النسوة حينما شاهدن جمال الصديق يوسف عليه السلام فقال تعالى ﴿ولما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشا لله ما هذا بشر ان هو الا ملك كريم﴾^(٣) .

(١) الخرايج للراوندي .

(٢) الاغانى ج ٧ ص ٣٧ ترجمة كثير .

(٣) سورة يوسف .

وإذا كانت النسوة لم يشعرن بألم قطع المدينة أيديهن
لمحض جمال الصديق فليس من الغريب الا يجد اصحاب
الحسين عليه السلام وهم زبد العالم كله ألم مس الحديد عند
نهاية عشقهم لمظاهر الجمال الالهي ونزوع انفسهم الى الغاية
القصوى من القداسة بعد التكهرب بولاء سيد الشهداء عليه
السلام .

هذا ما عليه الاصحاب من سر المفادات وقد كان مرشدهم
الى ذلك والمقدم فيهم (حامل اللواء) إذا لم يكن هيباً بما
شاهده من لغط وصخب وضوضاء وصهيل وجحفل مجر يتبعه
جيش لجب وقد اخذ ابن ميسون عليهم اقطار الارض وآفاق
السماء .

بجحافل بالطف أولها واخيرها بالشام متصل

فلا يرى الا وجوهاً عابسة كل يتحرى استئصال شأفة الامامة
وازهاق من يجنح إليها و« قمر الهاشميين » اسرة وجهه تشرق
كالبدر المنير ، لأنه عليه السلام يجد ببصيرته الهادية له الى
المفادات قرب الاجل المضروب وحصول الضالة المنشودة وهذا
كله بعد العلم بأنه إذا فارق اخاه في ذلك الموقف يكون في سعة
من الخطر .

وانا لكبر موقفه وثباته حينما قال لهم أبو عبد الله عليه
السلام « هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً فأنتم في اذن مني
فان القوم لم يطلبوا غيري ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري

ولياخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ويفرقوا في سوادكم هذا» (١) .

هنا كان لعباس الشرف والحفاظ موقفه المشهود الذي أظهر فيه من قوة الايمان وغزارة العلم وعوامل الشهامة ما أوقف جواله الفكر وحيرة نفاذة الحلم حيث ابتدر الجماعة بقوله : « ولم نفعل ذلك لا أبقانا الله بعدك » وتابعه الهاشميون الصفوة والصحب الاكارم (٢) متخذين قوله حقيقة راهنة من معلم هذبته المعرفة وبصرته التجارب وانه لم يرد بقوله الا التضحية الخالصة والسعادة الخالدة فأجابوا بما انحنت عليه الاضالع من إيثار موة العز دون سبط الرسول على حياة مخدجة بعده وان كانت محفوفة بنعومة من العيش .

فقال آل عقيل : قَبَّحَ اللهُ العيشَ بعدك نَفديكَ بأنفسنا وأهالينا .

وقال ابن عوسجة : لو لم يكن معي سلاح لقتلتهم بالحجارة حتى أموت دونك .

وقال سعيد الحنفي أنحن نخلي عنك لا والله حتى يعلم الله انا قد حفظنا وصية رسول الله فيك ولو علمت اني اقتل ثم احى ثم اقتل ثم احرق حيّاً ثم اذرى يفعل بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك وكيف لا أفعل ذلك وانما هي قتلة واحدة

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٣٨ وابن ثما ص ٢٦ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٣٩ وارشاد المفيد .

ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً .

وتكلم الجماعة بما يشبه ذلك .

فأجادوا الجواب واخترطوا البيد
وانثنوا للوغى غضاب اسود
حرسوه حتى احتسوا جرع المو
سمحوا بالنفوس في نصره الد
ض احتياجاً الى جلاد الاعادي
عصفت في العدى بصرصر عاد
ت بيض الضبا وسمر الصعاد
ين وادوا في الله حق الجهاد

وبعد أن عرف الحسين منهم صدق النية والاخلاص في
المفادات أوقفهم على غامض القضاء وقال اني اقتل وكلكم
تقتلون حتى القاسم وعبد الله الرضيع الا السجاد فانه أبو الأئمة ثم
كشف عن أبصارهم فرأوا ما حباهم الله من نعيم الجنان وعرفهم
منازلهم فيها^(١) وليس ذلك في القدرة الالهية بعزيز ولا في
تصرفات الامام بغريب ولقد حكى المؤرخون وقوع نظير هذا
لسحرة فرعون لما آمنوا بموسى عليه السلام وأراد فرعون قتلهم
فانهم شاهدوا منازلهم في الجنة^(٢) .

(١) الخرايج واسرار الشهادة ص ٤٠٠ .

(٢) اخبار الزمان ص ٢٤٧ .

الأمان

لم تنزل هذه الفضيلة نفسية أبي الفضل في جميع مواقفه عند ذلك المشهد الرهيب لا سيما حين بلغه كتاب عبيد الله بن زياد بالأمان له ولاخوته الذي أخذه عبد الله بن أبي المحل بن حزام وكانت أم البنين عمته وبعثه مع مولاة كزمان فلما قدم كربلاء قال للعباس واخوته هذا أمان من ابن زياد بعثه إليكم خالكم عبد الله فقالوا له ابلغ خالنا السلام وقل له لا حاجة لنا في أمانكم أمان الله خير من أمان ابن سميّة^(١) .

كيف يتنازل أبو الفضل الدنية وهو ينظر بعين غير أعين الناس ويسمع بأذنه الواعية غير ما يسمعونه يشاهد نصب عينه الرضوان الأكبر مع « خلف النبي المرسل » ويسمع هتاف الملكوت من شتى جوانبه بالبشرى له بذلك كله عند استمراره مع أخيه الامام .

نعم وجد « عباس المعرفة » نفسه المكهربة بعالم الغيب

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٣٦ وابن الاثير ج ٤ ص ٢٣ .

المجذوبة بجاذب مركز القداسة الى التضحية دون حجة الوقت لا محالة فرفض ذلك الامان الخائب الى امان الرسول الأعظم .

وهناك طمع الشمر فيه وفي اخوته ان يفصلهم عن مستوى الفضيلة فناداهم أين بنو اختنا اين العباس واخوته فاعرضوا عنه فقال الحسين اجيبوه ولو كان فاسقاً قالوا ما شأنك وما تريد قال يا بني أختي أنتم آمنون لا تقتلوا انفسكم مع الحسين والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد فقال له العباس لعنك الله ولعن أمانك تؤمننا وابن رسول الله لا أمان له^(١) وتأمرنا ان ندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء فرجع الشمر مغضباً^(٢) .

ان هذا الجلف الجافي قد أساء الظن بهؤلاء الفتية نجوم الارض من آل عبد المطلب فحسب انهم ممن يستوهمهم الامن والدعة أو تروقهم الحياة مع أبناء البغايا هيهات خاب الرجس ففشل واخفق ظنه واكدى أمله ولم يسمع في الجواب منهم الا لعنك الله وتبت يداك ولعن ما جئت به .

وحيث ان ابن ذي الجوشن يفقد البصيرة التي وجدها أبو الفضل والنفسية التي يحملها والسؤدد المتحلي به والحفاظ اللائح على وجناته ، طمع ان يستهوي رجل الغيرة ويجره الى الخسف والهوان والحياة مع الظالمين .

أيظن أن أبا الفضل ممن يستبدل النور بالظلمة ويستعيض

(١) تذكرة الخواص ص ١٤٢ واعلام الورى ص ١٢٠ .

(٢) أسرار الشهادة ص ٣١٨ .

عن الحق بالباطل ويدع علم النبوة وينضوي الى راية ابن
مرجانة ؟

- كلاً -

ولما رجع العباس واخوته الى الحسين واعلموه بما اراده
المائن منهم قام زهير بن القين الى العباس وحدثه بحديث قال فيه
ان اباك أمير المؤمنين عليه السلام طلب من أخيه عقيل وكان عارفاً
بأنساب العرب واخبارها ان يختار له امرأة ولدتها الفحولة من
العرب وذوو الشجاعة منهم ليتزوجها فتلد غلاماً فارساً شجاعاً
ينصر الحسين بطف كربلا وقد ادّخرك أبوك لمثل هذا اليوم فلا
تقصر عن نصرة أخيك وحماية اخواتك فغضب العباس وقال يا زهير
تشجعني هذا اليوم فوالله لارينك شيئاً ما رأيت^(١) .

فجدل أبطالاً ونكس رايات في حالة لم يكن همه من القتال
ولا منازلة الأبطال بل كان همه إيصال الماء الى أطفال أخيه ولكن
لا مرد للقضاء ولا دافع للأجل المحتوم .

ولا يهمله السهام حاشا من همه سقاية العطاشا
فجاد باليمين والشمال لنصرة الدين وحفظ الآل

(١) الكبريت الاحمر ج ٣ ص ١٤٤ واسرار الشهادة ص ٣٨٧ .

المواساة

لا يسع الباحث في حديث مشهد الطف المقدر فيه (قمر بني هاشم) حق قدره الا البخوع له بتحقيق هذه الغريزة الكريمة اعني المواساة بأجلى مظاهرها وانت إذا اعرت لما افضنا القول في البصيرة اذنأ واعية عرفت كيف كان مقامه مع أخيه سيد شباب أهل الجنة وإيثاره التفاني معه على الحياة الرغيدة وتهالكه في المفادات منذ مغادرته الحجاز الى هبوطه أرض كربلا وحتى لفظ نفسه الاخير تحت مشتبك النصول فلا تجد مناصاً عن الاذعان بأنه عليه السلام كان على أعلى ذروة من المواساة لآخيه الامام يربوا على المواسين معه جميعاً لان مواساته كانت عن بصيرة هي انفذ البصائر يومئذ بشهادة الامام الصادق عليه السلام « كان عمنا العباس نافذ البصيرة صلب الإيمان » .

وقد شهد له بهذه المواساة إمامان معصومان واقفان على الضمائر ويعرفان مقادير الرجال فيقول الحجة عجل الله فرجه في زيارة الناحية : « السلام على أبي الفضل العباس الموسي اخاه بنفسه الآخذ لغده من امسه الواقفي له الساعي إليه بمائه المقطوعة

يداه لعن الله قاتله يزيد بن الرقاد الجهني وحكيم بن الطفيل
السبسي الطائي .

ويقول الصادق عليه السلام في الزيارة المتلوة عند ضريحه
الاقდس « اشهد لقد نصحت لله ولرسوله ولاخيك فنعم الاخ
المواسي .

فجعل عليه السلام الشهادة له بالمواساة المنعم بها نتيجة
نصحه لله الذي هو مقتضى دينه ويقينه ونصحه لرسول الله الذي
هو تمام التوحيد والنصح لأخيه الإمام الذي هو الجزء الاخير للعلة
وبه كمال الدين وتمام النعمة ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتي﴾^(١) وبه قبول الاعمال .

« لو ان عبداً صام وصلى وزكى ولم يأت بالولاية ما قبل الله
له عملاً أبداً » فرضى الرب والرسول وطاعتهما منوطان بطاعة ولي
الأمر ﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة وهم راكعون﴾^(٢) .

فأراد الامام الصادق بذلك الخطاب أن نصح « عباس
الهداية » لآخيه المظلوم على حد نصحه لله ولرسوله مع حفظ
المرتبة في كل منهما فالطاعة شرع سواء في الثلاثة تحت جامع
واحد هو وجوب الخضوع لهم والتسليم لأمرهم غاية الأمر تختلف
المراتب فانه تجب الطاعة أولاً وبالذات بالنسبة إليه سبحانه

(١) سورة المائدة آية ٣ .

(٢) سورة المائدة : آية ٥٥ .

وتعالى وبما ان الرسول مبعوث من قبله وجبت بالنسبة الى الرسول
وبما ان الامام خليفة لهذا المبعوث المرسل لعدم بقائه الى الابد
وعدم اهمال العباد كالبهائم وعدم وضوح الكتاب المجيد لوجود
المخصص والمقيد والناسخ والمتشابه وعدم وفائه بالاحكام
الشرعية بالبداهة وجب على الامة اطاعة هذا الامام فالمراد من
المؤمنين في هذه الآية ومن أولي الأمر في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (١) .

شيء واحد وقد انحصر مصداقه في سيد الوصيين وابنائهم
المعصومين الاحد عشر بالتواتر عن الرسول صلى الله عليه وآله
وسلم .

فالنصح الذي أشار إليه الامام في الزيارة هو لازم تلك
الطاعة ومقتضى الولاية تحت جامع واحد وهو لزوم مناصرة الدين
والصانع به المنبسط على ذات الباري تعالى والرسول والامام كل
في مرتبته .

وقد أفادنا هذا الخطاب ان مفادات أبي الفضل ومواساته لم
تكن لمحض الرحم الماسة والاخاء الواشج ولا لأن الحسين عليه
السلام سيد أسرته وكبير قومه وان كان في كل منها يمدح عليه
هذا الناهض لكنها جمعاء كانت مندكة في جنب ما أثاره « عباس
البصيرة » من لزوم مواساة صاحب الدين والتهالك دون دعوته
سواء كانت المفادات بعين المشرع سبحانه أو تحت راية الرسول

(١) سورة النساء : آية ٥٩ .

صلى الله عليه وعلى آله أو امام الوقت وكل بعين الله وعن مرضاته
جل شأنه وقد اجتمعت في مشهد الطف تحت راية الحسين عليه
السلام .

ان من الواجب امعان النظر في عمله الناصع حين ملك
الشريعة فاغترف غرفة من الماء ليشرب ولكن الزمه حق اليقين
وقوة الايمان ان يفيض الماء من يده حيث لم ير له مساعاً في
التأخير عن سقاية حجة الوقت الامام المعصوم وحرمة النبوة ولو
بمقدار التروي من الماء هنيئة بل عرف ان الواجب عليه الابقاء
على مهجة خليفة الرسول بسقايته ولو في ان يسير اذ الحالة شرع
سواء بين قليل الزمان وكثيره ولذلك نسب فعله هذا الى الدين
حيث يقول « تالله ما هذا فعال ديني » .

على ان شيخنا العلامة الشيخ عبد الحسين الحلبي يحدث
في النقد النزيه ج ١ ص ١٠٠ عن فخر الذاكرين الثقة الثبت الشيخ
ميرزا هادي الخراساني النجفي نقلاً عن « عدة الشهور » ان
أمير المؤمنين عليه السلام دعا العباس وضمه اليه وقبل عينيه وأخذ
عليه العهد إذا ملك الماء يوم الطف ان لا يذوق منه قطرة واخوه
الحسين عطشان فقول أرباب المقاتل نفض الماء من يده ولم
يشرب انما هو لأجل الوصية من أبيه المرتضى .

لم يذق الفرات اسوة به ميمما بمائه نحو الخبا
لم ير في الدين يبل غلة وصنوه فيه الظما قد الهيا
والمرتضى أوصى إليه في ابنه وصية صدته عن ان يشربا

لذاك قد اسنده : لدينه
هذا من الشرع يرى فعلته
ومثله الحسين لما ملك الماء
ام الخيام نافضاً لمائه
فكان للعباس فيه اسوة

وعن يقين فيه لن يضطربا
ومن صراط احمد ما ارتكبا
فقبل رحله قد نهبا
اذ عظم الامر به واعصوببا
اذ فاض شهماً غير مفلول الشبا

عشرة التأريخ

لقد كان من نفوذ بصيرة العباس انه لم تقنعه هاتيك التضحية المشهودة منه والجهاد البالغ حده حتى راقه أن يفوز بتجهيز المجاهدين في ذلك المأزق الحرج والدعوة الى السعادة الخالدة في رضوان الله الأكبر وان يحظى بأجور الصابرين على ما يلم به من المصاب بفقد الاحبة فدعا اخوته من امه وأبيه وهم « عبد الله وجعفر وعثمان » وقال لهم تقدموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله فانه لا ولد لكم^(١) .

فانه أراد بذلك تعريف اخوته حق المقام وان مشولهم بهذا الموقف لم يكن مصروفاً الا الى جهة واحدة وهي المفادات والتضحية في سبيل الدين اذ لم يكن لهم أي شائبة أو شاغلة تلهيهم عن القصد الاسنى من عوارض الدنيا من مراقبة أمر الأولاد بعدهم ومن يرأف بهم ويربيهم فاللزام حينئذ السير الى الغاية الوحيدة وهي الموت دون حياة الشريعة المقدسة فكانوا كما شاء

(١) ارشاد الشيخ المفيد واعلام الورى ومثير الاحزان لابن غما .

ظنه الحسن بهم حيث لم يألوا جهداً في الذب عن قدس الدين حتى قضوا كراماً متلفعين بدم الشهادة .

لكن هلم واقراً العجيب الغريب فيما ذكر ابن جرير الطبري في التأريخ ج ٦ ص ٢٥٧ قال وزعموا ان العباس بن علي قال لآخوته من امه وأبيه عبد الله وجعفر وعثمان يا بني امي تقدموا حتى أرثكم فانه لا ولد لكم ففعلوا وقتلوا .

وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبين قدم اخاه جعفر بين يديه لأنه لم يكن له ولد ليحوز ميراثه العباس فشد عليه هاني بن ثابت فقتله .

وفي مقتل العباس قال قدم آخوته لامه وابيه فقتلوا جميعاً فحاز مواريتهم ثم تقدم وقتل فورثهم وإياه عبيد الله ونازعه في ذلك عمه عمر بن علي فصولح على شيء رضي به .

هذا غاية ما عندهما وقد تفردا به من بين المؤرخين وأرباب المقاتل ولا يخفى على من له بصيرة وتأمل بعده عن الصواب وما أدري كيف خفي عليهما حيازة العباس ميراث آخوته مع وجود امهم ام البنين وهي من الطبقة المتقدمة على الاخ ولم يجهل العباس شريعة تربي في خلالها .

على ان هذه الكلمة لا تصدر من أدنى الناس سيما في ذلك الموقف الذي يذهل الواقف عن نفسه وماله فأى شخص كان يدور في خلده ذلك اليوم حيازة المواريت بتعريض ذويه وآخوته للقتل وعلى الاخص يصدر ذلك من رجل يعلم انه لا يبقى بعدهم ولا

يتهنأ بمالهم بل يكون فعله لمحض أن تتمتع به أولاده .

بئست الكلمة القبيحة التي راموا أن يلوثوا بها ساحة ذلك السيد الكريم .

فهل ترغب انت ان يقال لك عرضت اخوتك وبني امك لحومة الوغى لتحوز مواريتهم ام ان هذا من الدناءة والخسة فلا ترضاه لنفسك كما لا يرغب به سوقة الناس وادناهم فكيف ترضى أيها المنصف ذلك لمن علم الناس الشهامة وكرم الاخلاق وواسى حجة وقته بنفسه الزاكية وكيف ينسب هذا لخريج تلك الجامعة العظمى والمدرسة الكبرى جامعة النبوة ومدرسة الامامة وتربى بحجر أبيه واخذ المعارف منه ومن اخويه الامامين .

ولو تأملنا جيداً في تقديمه إياهم للقتل لعرفنا كبر نفسه وغاية مفاداته عن أخيه السبط فلذة كبد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومهجة البتول فان من الواضح البين ان غرضه من تقديمهم للقتل :

١ - إما لأجل أن يشتد حزنه ويعظم صبره ويرزأ بهم ويكون هو المطالب بهم يوم القيامة اذ لا ولد لهم يطالبون بهم .

٢ - واما لأجل حصول الاطمئنان والثقة من المفادات دون الدين أمام سيد الشهداء ويشهد له ما ذكره الشيخ المفيد في الارشاد وابن نما في مثير الاحزان من قوله لهم « تقدموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله فانه لا ولد لكم » ولم يقصد بهم المخايل وانما رام أبو الفضل أن يتعرف مقدار ولائهم لقتيل العبرة

وهذا منه عليه السلام ارفاق بهم وحنان عليهم واداء لحق الاخوة
بارشادهم الى ما هو الأصلح لهم .

٣ - وأما لأجل أن يكون غرضه الفوز بأجر الشهادة بنفسه
والتجهيز للجهاد بتقديم اخوته ليثاب أيضاً بأجر الصابرين ويحوز
كلتا السعادتين وربما يدل عليه ما ذكره أبو الفرج في مقتل عبد الله
من قول العباس له تقدم بين يدي حتى أراك قتيلاً واحتسبك فكان
أول من قتل من اخوته .

وذكر أبو حنيفة الدينوري ان العباس قال لآخوته : تقدموا
بنفسي انتم وحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه فتقدموا جميعاً وقتلوا .
ولو أراد أبو الفضل من تقديمهم للقتل حيازة مواريتهم
(وحاشاه) لم يكن لاحتساب أخيه عبد الله معنى كما لا معنى
لتفديتهم بنفسه الكريمة كما في الاخبار الطوال .

وهناك مانع آخر من ميراث العباس لهم وحده حتى لو قلنا
على بعد ومنع بوفاة أم البنين يوم الطف فان ولد العباس لم يكن
هو الحائز لمواريتهم لوجود الاطراف وعبيد الله بن النهشلية فانهما
يشاركان مع العباس في الميراث كما يشاركهم سيد شباب أهل
الجنة وزينب العقيلة وام كلثوم ورقية وغيرهن من بنات
أمير المؤمنين .

فكيف والحال هذا يختص العباس بالميراث وحده هذا كله
ان قلنا بوفاة أم البنين يوم الطف ولكن التاريخ يثبت حياتها يومئذٍ
وانها بقيت بالمدينة وهي التي كانت ترثي اولادها الأربعة .

والذي أظنه ان منشأ ذلك التقول على العباس انه أوقفهم السير على قوله لآخوته (لا ولد لكم) من غير روية وتفكير في غرضه ومراده فحسبوه انه يريد الميراث فنوه به واحد باجتهاده او احتمالاً وحسبه الآخرون رواية فشوخوا به وجه التاريخ ولم يفهموا المراد ولا أصابوا شاكلة الغرض فان غرضه من قوله : لا ولد لكم تراقبون حاله بعدكم فاسرعوا في نيل الشهادة والفوز بنعيم الجنان .

على ان شيخنا العلامة الشيخ عبد الحسين الحلبي في النقد النزيه ج ١ ص ٩٩ احتمال تصحيف ارثكم من ارزا بكم أو ارزأكم وليس هذا ببعيد واقرب منه احتمال شيخنا الحجة الشيخ آغا بزرك مؤلف كتاب (الذريعة الى تصانيف الشيعة) تصحيف ارثكم من (ارثيكم) فكأنه عليه السلام أراد أولاً ان يفوز بالارشاد الى ناحية الحق وثانياً تجهيز المجاهدين وثالثاً البكاء عليهم ورثائهم فانه محبوب للمولى تعالى .

ويشبه قول العباس لآخوته قول عباس بن أبي شبيب الشاكري لشوذب مولى شاكريا شوذب ما في نفسك ان تصنع ؟ قال اقاتل معك دون ابن بنت رسول الله حتى اقتل فقال ذلك الظن بك فتقدم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من اصحابه وحتى احتسبك انا فانه لو كان معي الساعة احد انا أولى به منك لسرني ان يتقدم بين يدي حتى احتسبه فان هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الاجر فيه بكل ما قدرنا عليه فانه لا عمل بعد اليوم وانما هو الحساب (الطبري ج ٦ ص ٢٥٤) .

حديث الصادق

ان مما يتعرف منه منزلة أبي الفضل العالية واثبات الخصال الحميدة له اخبار أئمة الدين العارفين بضمائر العباد وسرائرهم الواقفين على نفسيات الامة على كذب بتحققها فيه وقد عبثت أيدي التلف في أكثرها فان الصدوق يحدث في الخصال ج ١ ص ٣٥ بعد ذكره حديث السجاد في فضل العباس انه اخرج الخبر بتمامه مع اخبار في فضائل العباس في كتاب مقتل الحسين عليه السلام .

وظاهره ان هناك اخبار كثيرة في فضل أبي الفضل رويت عنا ككتابه المقتل ولا غرو فلقد اندثر بتعاقب الحوادث الكثير من المؤلفات .

وكيف كان فلعل من تلك الاخبار ما رواه في عمدة الطالب عن الشيخ الجليل أبي نصر البخاري النسابة عن المفضل بن عمر انه قال : قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة صلب الايمان جاهد مع أبي عبد الله وابلى بلاءاً حسناً ومضى شهيداً .

وكذلك قوله عليه السلام فيما علم شيعة ان يخاطبوه به من لفظ الزيارة المروية بسند صحيح متفق عليه فانه عند التأمل فيما خاطبه به الامام العارف بأساليب الكلام ومقتضيات الأحوال تظهر لنا الحقيقة ونعرف منزلة للعباس سامية لتعد ومنزلة المعصومين .

فقال عليه السلام في صدر سلام الاذن :

« سلام الله وسلام ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين وعباده الصالحين وجميع الشهداء والصدّيقين الزاكيات الطيبات فيما تغتدي وتروح عليك يا ابن أمير المؤمنين » .

فانه أشار بهذا الى مصب سلام الله الذي هو رحمته المتواصلة والعطف الغير محدود الذين لا انقطاع لهما وسلام الملائكة المشاهدين لمقادير الرجال في ملاء القدس وحظيرة الجلال وسلام الأنبياء الذين لا يعدون مرضات الله ووحيه في أفعالهم وتروكهم وسلام الصالحين والشهداء الذين ادركوا بفضل الاتصال بالرسول وأوصيائهم أو بالتجرد ومشاهدة الحقائق الثابتة في عالم الغيوب زيادة على ما عرفوه من مقام أبي الفضل وفضله فكل هؤلاء يتقربون الى الله تعالى بالدعاء له واستنزال الرحمة منه سبحانه واهداء التسليمات إليه لما عرفوا انه من أقرب الوسائل إليه وحيث كانت خالصة للزلفة ماحضة في التقرب إليه جل ذكره عادت زاكية طيبة بنص الزيارة « الزاكيات الطيبات » وأما على رواية ابن قولويه في كامل الزيارة من زيادة (واو العطف) قبل الزاكيات الطيبات فيراد بهما العناية الخاصة التي ليست بدعاء من احد ولا بأسباب عادية ولا يعدم هذه الأنبياء والأوصياء

والاقلون ممن اقتفوا اثرهم وليست هي شرعة لكل وارد وانما يحظى بها الافذاذ ممن كهربتهم القداسة الالهية وجذبتهم جاذبة الصقع الربوبي وهكذا المقربون والافذاذ عند صعودهم .

وإذا قرأنا زيارة الصادق عليه السلام لجده الحسين سلام الله وسلام ملائكته فيما تروح وتغدو والزواكيات الطاهرات لك وعليك سلام الملائكة المقربين والمسلمين لك بقلوبهم والناطقين بفضلك . الخ^(١) وضع لنا ان منزلة ابي الفضل تضاهي منزلة الحسين حيث اثبت له مثل هذا السلام .

ثم قال عليه السلام :

« أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبي المرسل » .

هاهنا اثبت لابي الفضل منزلة التسليم التي هي من أقدس منازل السالكين وفوق مرتبة الرضا والتوكل فان أقصى مرتبة الرضا ان يكون محبوب المولى سبحانه محبوباً له موافقاً لطبعه فالطبع ملحوظ فيه واقصى مراتب التوكل ان ينزل نفسه بين يدي المولى سبحانه وتعالى منزلة الميت بين يدي الغاسل بحيث لا ارادة له الا ما يفعله الغاسل به فصاحب التوكل مسلوب الارادة واما صاحب التسليم فلا يرى لغير الله وجوداً مع الله فضلاً عن نفسه ولا يكون له طبع يوافق او يخالف في الارادة او نفساً قد تنفست بالارادة فهو قريب من عالم الفناء وهذه المرتبة فوق مرتبة التوكل التي هي

(١) مزار البحار ص ١٤٨ عن الكامل .

فوق مرتبة الرضا لا تحصل الا بالبصيرة النافذة والوصول الى اعلى مراتب اليقين تلك المرتبة التي اخبر عنها أمير المؤمنين عليه السلام « لو كشف الغطاء ازددت يقينا » .

أما العناوين الثلاثة وهي « التصديق والوفاء والنصيحة » فلا شك ان الامام يريد أن أبا الفضل في أرقى مراتبها لانبعائها عن التسليم وهو حق اليقين فانه المناسب لتصديقه بأخيه الحجة وبنهضته في ذلك الموقف الحرج وهكذا وفاؤه ونصيحته فان وفاء شخص لآخر كما يمكن ان يكون لأجل الاخوة والرحم والصحبة ويمكن ان يكون لأجل المعرفة التامة بما أوجب الله له من الحرمة والحق على الامة .

وحيث ان الامام اثبت لأبي الفضل أرقى مرتبة السالكين وهي التسليم اللازم لحق اليقين فلا بد ان يكون ما صدر منه من التصديق بنهضة أخيه والوفاء لحقه والمناصحة في العمل منبعثاً عن حق اليقين بذلك الامر الواجب لا لأجل ان الحسين اخوه أو رحمه أو ابن رسول الله فان هذه المرتبة وان مدح عليها الشخص الا ان المرتبة الاولى أرقى وأرفع ولا ينالها الا ذوو النفوس القدسية ممن وجبت لهم العصمة .

ويؤيد ذلك تعقيب العناوين الثلاثة بقوله عليه السلام « لخلف النبي المرسل » فانه لو لم يرد هذا لقال في الخطاب لاخيك أو للحسين أو لابن أمير المؤمنين فالتعبير بخلف النبي لا يراد منه الا ان الدافع لأبي الفضل على التسليم والتصديق والوفاء والنصيحة بالمفادات الا كون الحسين إماماً مفروض الطاعة وهذا

مغزى لا يبعث إليه الا البصيرة المميزة لشرف الغايات المتحرية
لكرائمها .

ثم ان من تخصيص الامام الخطاب له دون غيره من
الشهداء بقوله « لعن الله من جهل حقلك واستخف بحرمتك »
نعرف ان غيره من الشهداء لم يدرك هذا المدى وان كان لكل
منهم حقاً وحرمة الا ان شبل أمير المؤمنين كانت معارفه أوسع
وإيمانه أثبت فكان له حق في الدين وحق على الامة لا ينكر
فاستحق بكل منهما اللعن على جاهله والمستخف به فالشهداء
وان اخلصوا في التضحية والمفادات وكان منبعثاً عن طهارة
الضمائر والمعرفة بحق الامام فلهم حقوق وحرمت لكن لحق
العباس منعة بين هاتيك الحقوق ولحرمة بذخ بين تلك الحرمت
بعدهما ثبت منهما لآخيه الامام المظلوم لنفوذ بصيرته وصلابة إيمانه
بنص الصادق .

ثم قال الصادق عليه السلام في الزيارة المتلوة داخل
الحرم :

« أشهد وأشهد الله انك مضيت على ما مضى به
البديون » .

لقد جرى التشبيه بالبدرين مجرى التقريب الى الازهان في
الاشادة بموقف أبي الفضل من البصيرة فان أهل بدر اظهر افراد
اهل البصائر لانهم قابلوا طواغيت قريش على حين ضعف في
المسلمين وقلة في العدة والعتاد فلم يملكوا الا فرسين احدهما

لمرثد بن مرثد الغنوي والآخر للمقداد بن الاسود الكندي وكانوا يتعاقبون على سبعين بعير الاثنان والثلاثة^(١) .

لكنهم خاضوا غمرات الموت تحت راية النبوة بقوة الايمان وعتاد البصيرة الا من استولى الرين على قلبه فردوا سيوف قريش مفلولة ورماحهم محطمة وجموعهم بين قتلى واسرى ومشردين فحظوا بأول فتح اسلامي قويت به دعائمه وشيدت معالمه مع الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة مسومين^(٢) .

واعظم من ذلك مشهد الطف الذي التطمت فيه امواج الموت وكشفت الحرب عن ساقها وكشرت عن نابها .

وللاخطار وجه مكفهر يشيب لهوله المردي الغلام
تري الابطال من فرق سكارى يدار من الردى فيهم مدام

فقابلهم عصبة الحق من غير مدد يأملونه أو نصرة يرقبونها
والعطش معتلج بصدورهم ونشيج الفواطم من ورائهم فتلقوا جبال
الحديد بكل صدر رحيب وجنان طامن فلم تسل تلك النفوس
الظاهرة الا على قتل أمية المنقوض ولا اريقت دماؤهم الزاكية الا
على حبلهم المنتكث فلم تبرح آل حرب الا كلعقة الكلب انفه
حتى اكتسحت معرفتهم من اديم الأرض وتفرقوا أيدي سبا فيوم
الطف فتح اسلامي بعد الجاهلية المستردة من جراء اعمال
الامويين^(٣) .

(١) شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ٣١٩ و ٣٢٠ .

(٢) سورة آل عمران ١٢٤ .

(٣) لقد اجاد العلامة السيد باقر نجل آية الله السيد محمد الهندي رحمه الله اذ يقول :

وإليه أشار الإمام الشهيد في كتابه الى بني هاشم لما حل
أرض كربلاء « من لحق بنا منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ
الفتح » (١) .

فانه عليه السلام لم يرد بالفتح الا ما ترتب على نهضته
المقدسة وتضحيته الكريمة من نقض دعائم الاحاد وكسح اشواك
الباطل عن صراط الشريعة المطهرة واحياء دين جده الصاعد به
الذي لاقى المتاعب في تأييده وتشييده .

وأنت أيها البصير اذا استشففت الحادثة من وراء نظارة في
التنقيب تجد سيدنا أبا الفضل سيد القوم بعد أخيه السبط وهو
المسدد لهم في النضال .

كما ان الباحث اذا اعطى النظر حقه يجد ضحايا (الطف)
أشد انقطاعاً عن المدد من مجاهدي يوم بدر وابلغ بأساً واقل
عدداً مع اكتناف الكوارث بهم واعواز الملجأ اكثر مما احتف بأهل
بدر مع ان المناوئين لشهداء (الطف) أوفر عدداً وأقوى عتاداً
وأوثق مدداً . وان لهم دولة مؤسسة تنضدت جحافلها وخفقت
بنودها وتواصلت قواتها بخلاف الحالة يوم بدر فلقد كان
المحاربون للمسلمين شتات من طواغيت العرب حداهم الى
الحرب بواعث الحقد والنخوة ومن المحتمل القريب انحلال

لكان ما كان يوم الطف يكفينا
واقبلت كالدبا زحفا اعدينا
هل قابلونا وقد جننا بسعيننا

= لو لم تكن جمعت كل العلافينا
يوم نهضنا كاشمال الاسود به
جاؤوا بسبعين الفاً سل بقيتهم
(١) كامل الزيارة ص ٧٥ .

جامعتهم اذا ضربت الحرب عليهم بجرانها لأنهم كانوا يفقدون أي مدد من القبائل ولم يخرجوا متأهبين للاستمداد حيث ظنوا خوراً في المسلمين وحسبوا استئصال شأفتهم وانهم كشرية ماء (ولكن لا مبدل لحكم الله تعالى) .

فالموقف يوم الطف اخرج والكرب أكثر والمقاسات اصعب وبقدر المشقة تجري الاجور وتقسم الفضائل فشهداء كربلاء أولى بالفضيلة .

وضرب الامام عليه السلام المثل لهم بأهل بدر اذ يقول « انك مضيت على ما مضى به البديون » لا يوجب فضيلة أهل بدر عليهم كما هي قاعدة التشبيه وانما ذلك من باب التقريب الى الافهام كما في قوله تعالى ﴿ مثل نوره كمشكاة في مصباح المصباح ﴾ .

وأين من النور الالهي المشكاة ومصباحها ولكن لما لم تدرك الابصار ذلك النور الاقدس وانما تدركه البصائر ضرب الله تعالى المثل بما يدركونه تقريباً للاذهان وهكذا الحال فيما نحن فيه .

والى هذه الدقيقة وقع الایعاز منه عليه السلام فيما بعد هذه الفقرة من الزيارة بقوله عليه السلام :

« فجزاك الله أفضل الجزاء وأكثر الجزاء وأوفر الجزاء وأوفى جزاء أحد ممن وفي في بيعته واستجاب له دعوته واطاع ولاة أمره » .

فلو كان في المجاهدين من هو أوفر فضلاً من أبي الفضل

وإليه أشار الإمام الشهيد في كتابه الى بني هاشم لما حل
أرض كربلاء « من لحق بنا منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ
الفتح »^(١) .

فانه عليه السلام لم يرد بالفتح الا ما ترتب على نهضته
المقدسة وتضحيته الكريمة من نقض دعائم الالحاد وكسح اشواك
الباطل عن صراط الشريعة المطهرة واحياء دين جده الصادع به
الذي لاقى المتاعب في تأييده وتشيينه .

وأنت أيها البصير اذا استشفت الحادثة من وراء نظارة في
التنقيب تجد سيدنا أبا الفضل سيد القوم بعد أخيه السبط وهو
المسدد لهم في النضال .

كما ان الباحث اذا اعطى النظر حقه يجد ضحايا (الطف)
أشد انقطاعاً عن المدد من مجاهدي يوم بدر وابلغ بأساً وقل
عدداً مع اكتناف الكوارث بهم واعواز الملجأ اكثر مما احتف بأهل
بدر مع ان المناوئين لشهداء (الطف) أوفر عدداً وأقوى عتاداً
وأوثق مدداً . وان لهم دولة مؤسسة تنضدت جحافلها وخفقت
بنودها وتواصلت قواتها بخلاف الحالة يوم بدر فلقد كان
المحاربون للمسلمين شتات من طواغيت العرب حذاهم الى
الحرب بواعث الحقد والنخوة ومن المحتمل القريب انحلال

لكان ما كان يوم الطف يكفينا
واقبلت كالدبا زحفا اعادينا
هل قابلونا وقد جننا بسعيننا

= لولم تكن جمعت كل العلا فينا
يوم نهضنا كاشمال الاسود به
جاؤوا بسعين الفأس بقتهم
(١) كامل الزيارة ص ٧٥ .

جامعتهم اذا ضربت الحرب عليهم بجرانها لأنهم كانوا يفقدون أي مدد من القبائل ولم يخرجوا متأهبين للاستمداد حيث ظنوا خوراً في المسلمين وحسبوا استئصال شأفتهم وانهم كشرية ماء (ولكن لا مبدل لحكم الله تعالى) .

فالموقف يوم الطف اخرج والكرب أكثر والمقاسات اصعب وبقدر المشقة تجري الاجور وتقسم الفضائل فشهداء كربلاء أولى بالفضيلة .

وضرب الامام عليه السلام المثل لهم بأهل بدر اذ يقول « انك مضيت على ما مضى به البديون » لا يوجب فضيلة أهل بدر عليهم كما هي قاعدة التشبيه وانما ذلك من باب التقريب الى الافهام كما في قوله تعالى ﴿ مثل نوره كمشكاة في مصباح المصباح ﴾ .

وأين من النور الالهي المشكاة ومصباحها ولكن لما لم تدرك الابصار ذلك النور الاقدس وانما تدركه البصائر ضرب الله تعالى المثل بما يدركونه تقريباً للاذهان وهكذا الحال فيما نحن فيه .

والى هذه الدقيقة وقع الابعاز منه عليه السلام فيما بعد هذه الفقرة من الزيارة بقوله عليه السلام :

« فجزاك الله أفضل الجزاء وأكثر الجزاء وأوفر الجزاء وأوفى جزاء أحد ممن وفى في بيعته واستجاب له دعوته واطاع ولاة أمره » .

فلو كان في المجاهدين من هو أوفر فضلاً من أبي الفضل

العباس لكان هذا الدعاء أو الاخبار عن امره شططاً من القول خارجاً عن ميزان العدل تعالى عنه كلام المعصوم فاذن لم يكن غيره من المجاهدين مطلقاً أوفر فضلاً ولا أكثر جزاء ولا أوفى بيعة الا من اخرجه الدليل من الائمة المعصومين .

ثم ان هناك مرتبة اخرى ثبتت لابي الفضل خصه بها الامام الصادق عليه السلام بقوله :

« أشهد انك قد بالغت في النصيحة واعطيت غاية المجهود فبعثك الله في الشهداء وجعل روحك مع أرواح السعداء واعطاك من جنانه افسحها منزلاً وأفضلها غرقاً » .

فان المبالغة في امثال المقام عبارة عن بلوغ الامر الى حدوده اللازمة وكم له من نظير في استعمالات العرب ومحاوراتهم ولا شك ان كل واحد من شهداء الطف قد بالغ في النصيحة ولم يأل جهداً في أداء ما وجب عليه ولكل منهم في ذلك المشهد الدامي شواهد من أقواله واعماله .

ومن المسلم ان المعروف بقدر المعرفة كماً وكيفاً فصاحب السنام الأرفع في العرفان المتربع على اعلى منصة من الإيمان لا بد وان يقاسي أشد ضروب الجهاد ويتظاهر بأجمل مظاهرها من الدؤوب على الحرب والضرب وان طال المدى وبعد الأمد ان كان الجهاد نضالاً كما لا بد له من المثابرة على مكافحة النفس الامارة وكسر شوكتها ورد صولتها وكبح جماحها وترويض النفس بالطاعة والزامها بلوازمها الشاقة طيلة حياته ان كان الجهاد نفسياً .

وفي هذين الحالتين لا بد وان يكتنف العمل المقارنات المطلوبة مثل نية القربة والاخلاص فيها المنبعث عن حب المولى سبحانه الهادي الى معرفة تؤهله الى الطاعة وعن معرفة نعم الباري عز وجل الواجب شكرها وعن الهيبة الناشئة عن لحاظ عظمتة الى أمثال هذه من الملحوظات .

وقصارى القول كما ان مراتب الايمان والمعرفة متفاوتة مقولة بالتشكيك كذلك مراتب العمل متفاوتة حسب تفاوت تلك المراتب فصاحب عمل كل مرتبة محدود بحدودها .

وحيث فلا شك ان كل واحد من شهداء الطف وان بلغ الغاية في الجهاد وادى حق النصيحة لكن (شهيد العلقمي) لما كانت بصيرته أنفذ وعلمه أوفر وإيمانه أثبت كان مداه ابعده وغاياته أسمى وحدوده أوسع ولذلك خاطبه الصادق عليه السلام بهذا الخطاب وخصّه بالمبالغة في التضحية فكان هذا كفضيلة مخصوصة به لأن هاتيك المراتب الراقية لم توجد في غيره .

ولعل من ناحية هذه المراتب الثلاث ثبت له عليه السلام حق في الدين وحق على الامة وحرمة لا تنكرفاستحق ان يخاطبه الامام في سلام الاذن بقوله :

« لعن الله من جهل حَقَّ واستخف بحرمتك »

وهناك درجة أربى وأربع أشار إليها الصادق بقوله :

« ورفع ذكرك في عليين » .

فان « حامي الشريعة » لم يبرح مواصلاً في الخدمات حتى

اقبل الى الله تعالى متلفعاً بدم الشهادة شهادة صك نبؤها مسامع
الملكوت حتى اشرب له هنالك من أنبياء ومرسلين وحجج
معصومين وملائكة مقربين وحوور وولدان وأرواح مقدسة ومقدسات
زاكيات طيبات فلم يلق عليه السلام في صعوده اليهم الا ثغوراً
باسمه ووجوهاً مستبشرة وايداناً له بالبشرى الخالدة ونعيم الابد
فطفق يرفل بين ذلك الجيل القدسي الزاهر بنور العصمة ورونق
العلم وهيبة العظمة وسمات الجلالة وشارات النزاهة وبهجة
العطف الالهي وبهاء النظر الى الجلال السرمدي والاتصال
بالرضوان الاكبر وعليه ابهة الولاء وجلالة الطاعة وبلج التضحية
« زلفى المفادات وزهو العلم والعمل ولذكره في ذلك المنتدى
الرهيب رفعة ومنعة وإليه يشير الامام الصادق عليه السلام في لفظ
الزيارة » ورفع ذكرك في عليين » .

فان الغرض من هذا التعبير ليس الا ما شرحناه لا مجرد
صعود ذكره الطيب الى ذلك الملاء الأرفع شأن كل صالح في عالم
الوجود لكن الشأن كله ان يكون لذكر ما لمجيد هنالك بذخ واكبار
فيرمقه كل طرف بنظر الاجلال ويسمع الهتاف به ياذن التقدير
وتنعد الضمائر على تقديسه ولو أراد الامام مجرد ذكره الى ذلك
العالم القدسي لقال في الخطاب « ورفع ذكرك الى عليين » ولكن
حيث انه أراد رفع الذكر بين أفراد أولئك الذين اختص محلهم فيه
جاء بفاء الظرفية فقال « في عليين » .

وأما قوله عليه السلام في الزيارة التي رواها المجلسي في
مزار البحار ص ١٦٥ عن مزار الشيخ المفيد وابن المشهدي .

« لعن الله امة استحلّت منك المحارم وانتهكت فيك حرمة الاسلام » .

فيرشدنا الى مكانة سامية لابي الفضل تصعد به الى فوق مرتبة العصمة فانا لم نجد مثل هذا الخطاب في أي واحد من الشهداء مع بلوغهم اعلى مرتبة الفضل التي لم يحزها اي شهيد غيرهم حتى استحقوا ان يخاطبهم الامام في زيارة النصف من رجب بقوله « السلام عليكم يا مهديون السلام عليكم يا طاهرون من الدنس » ويقول أيضاً « طبتم وطابت الارض التي فيها دفنتم » .

بل لم يخاطب بمثل ذلك علياً الأكبر الذي لا شك في عصمته ومنه يظهر ان للعباس منزلة ومقاماً يشارف مقام الحجج المعصومين عليهم السلام تناط به حرمة الاسلام كما تناط بهم صلوات الله عليهم وانها تنهتك بمثله كما تنهتك بمثلهم عليهم السلام وهذا مقام فوق العصمة المرجوة له .

العباس في نظر الأئمة

اني لا أحسب القارىء في حاجة الى الافاضة في هذه الغاية بعدما اوقفناه على مكانة أبي الفضل عليه السلام من العلم والتقوى والملكات الفاضلة من اباء وشمم وتضحية في سبيل الهدى وتهالك في العبادة فان أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام يقدرون لمن هو دونه في تلكم الأحوال فضله فكيف به وهو من لحمتهم وفرع أرومتهم وغصن باسق في دوحتهم وقد اثبت له الامام السجاد منزلة كبرى لم ينلها غيره من الشهداء ساوى بها عمه الطيار فقال عليه السلام :

رحم الله عمي العباس بن علي فلقد آثر وابلى وفدى اخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب وان للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة^(١) .

ولفظ الجميع يشمل مثل حمزة وجعفر الشاهدين للانباء

(١) الخصال ج ١ ص ٦٨ .

بالتبليغ واداء الرسالة وقد نفى البعد عنه العلامة المحقق المتبحر
في الكبريت الأحمر ص ٤٧ ج ٣ .

ولعل ما جاء في زيارة الشهداء يشهد له « السلام عليكم
أيها الربانيون انتم لنا فرط ونحن لكم تبع وأنصار وانتم سادة
الشهداء في الدنيا والآخرة » (١) .

وكذلك قوله عليه السلام فيهم انهم لم يسبقهم سابق ولا
يلحقهم لاحق (٢) .

فقد اثبت لهم السيادة على جميع الشهداء وانهم لم يسبقهم
ولا يلحقهم أي أحد وأبو الفضل في جملتهم بهذا التفضيل وقد
انفرد عنهم بما اثبتته له الامام السجاد من المنزلة التي لم تكن
لاي شهيد .

ولهذه الغايات الثمينة والمراتب العليا كان أهل البيت عليهم
السلام يدخلونه في أعالي أمورهم ما لا يتدخل فيه انسان عادي
فمن ذلك مشاطرته الحسين في غسل الحسن (٣) .

وأنت بعدما علمت مرتبة الامامة وموقف صاحبها من العظمة
وانه لا يلي امره الا إمام مثله فلا ندحة لك الا الايمان بأن من له
أي تدخل في ذلك بالخدمة من جلب الماء وما يقتضيه الحال
اعظم رجل في العالم بعد أئمة الدين فان جثمان المعصوم عند

(١) مزار البحار ص ١٤٩ من كامل الزيارة .

(٢) المنتخب للطريحي .

(٣) ذخائر العقبى ص ١٤١ .

سيره الى المبدأ الأعلى تقدست أسماؤه لا يمكن أن يقرب أو ينظر إليه من تقاعس عن تلك المرتبة اذ هو مقام قاب قوسين أو أدنى ذلك الذي لم يطق الروح الأمين ان يصل إليه حتى تقهقر وغاب النبي الاقدس في سبحات الملكوت والجلال وحده الى ان وقف الموقف الرهيب .

وهكذا خلفاء النبي صلى الله عليه وآله المشاركون له في المآثر كلها ما خلا النبوة والازواج^(١) ومنه حال انقطاعهم عن عالم الوجود بانتهاء أمد الفيض المقدس .

ومما يشهد له ان الفضل بن العباس بن عبد المطلب كان يحمل الماء عند تغسيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم معاوناً لأمير المؤمنين عليه السلام على غسله ولكنه عصب عينيه خشية العمى ان وقع نظره على ذلك الجسد الطاهر .

ومثله ما جاء في الاثر عن الاشراف على ضريح رسول الله حذراً ان يرى الناظر شيئاً فيعمى^(٢) وقد اشتهر ذلك بين أهل المدينة فكان إذا سقط في الضريح شيء انزلوا صبياً وشدوا عينيه بعصابة فيخرجه .

وهذه أسرار لا تصل إليها أفكار البشر وليس لنا الا التسليم على الجملة ولا سبيل لنا الى الانكار بمجرد بعدنا عن ادراك

(١) في الحديث عن الصادق عليه السلام انا ورثنا رسول الله فما كان له لنا الا النبوة والازواج .

(٢) مرآة العقول ج ١ ص ٣٧٣ .

مثلها خصوصاً بعد استفاضة النقل في ان للنبي والأئمة بعد وفاتهم احوالاً غريبة ليس لسائر الخلق معهم شركة كحرمة لحومهم على الارض وصعود أجسادهم الى السماء ورؤية بعضهم بعضاً واحيائهم الاموات منهم بالاجساد الاصلية عند الاقتضاء اذ لا يمنع العقل منه مع دلالة النقل الكثير عليه واعتراف الاصحاب به^(٣) فيصار التحصل ان الحواس الطاهرة العادية لا تتحمل مثل تلك الامثلة القدسية وهي في حال صعودها الى سبحات القدس الا نفوس المعصومين بعضها مع بعض دون غيرهم مهما بلغ من الخشوع والطاعة .

لكن (عباس المعرفة) الذي منحه الامام في الزيارة اسمى صفة حظى بها الأنبياء و المقربون و هي (العبد الصالح) تسنى له التوصل الى ذلك المحل الأقدس من دون أن يذكر له تعصيب عين أو اغضاء طرف فشارك السبط الشهيد والرسول الأعظم ووصيه المقدم مع الروح الامين وجملة الملائكة في غسل

(١) قال الشيخ المفيد في المقالات ان الأئمة يسمعون كلام المناجي لهم عند مراقبتهم المعظمة ولا تخفى عليهم احوال شيعتهم في دار الدنيا اعلاماً من الله لهم حالاً بعد حال .
ووافقه عليه الكراجكي في كثر الفوائد والمجلسي في مرآة العقول ج ١ ص ٣٧٣ والشيخ كاشف الغطاء ص ٥١ في رسالته منهج الرشاد وفي دار السلام ج ١ ص ٢٨٩ ان لحومهم محرمة على الأرض وانها ترتفع الى السماء بعد ثلاثة أيام وحكى عن الشيخ الاعظم قدوة السالكين المولى فتح علي بن المولى حسن السلطان آبادي انه لما زار أمير المؤمنين عليه السلام ورجع الى مشهد الحسين اسف على عدم مذاكرته مع علماء النجف في مسألة بقاء جسد الامام طويلاً او انه يبلى فرأى في المنام انه داخل الى الروضة فرأى جسداً موضوعاً على الحصير والدم يجري من أعضائه فسأل عنه ، قيل انه جسد الحسين اما علمت ان أجسادهم لا تنفى .

الامام المجتبي الحسن السبط صلوات الله عليهم اجمعين^(١) .

وهذه هي المنزلة الكبرى التي لا يحظى بها الا ذوو النفوس
القدسية من الحجج المعصومين ولا غرو ان غبط أبا الفضل
الصديقون والشهداء الصالحون .

وإذا قرأنا قول الحسين للعباس لما زحف القوم على مخيمه
عشية التاسع من المحرم « اركب بنفسك أنت يا أخي » حتى
تلقاهم وتسالهم عما جاءهم فاستقبلهم العباس في عشرين فارساً
فيهم حبيب وزهير وسألهم عن ذلك فقالوا ان الامير يأمر اما
النزول على حكمه أو المنازلة فأخبر الحسين فأرجعه ليرجئهم الى
غد^(٢) .

فانك ترى الفكر يسف عن مدى هذه الكلمة وانى له أن
يخلق الى ذروة الحقيقة من ذات مطهرة تفتدى بنفس الامام علة
الكائنات وهو الصادر الاول والممكن الاشرف والفيض الاقدس
للممكنات (بكم فتح الله وبكم يختم)^(٣) .

نعم عرفها البصير الناقد بعد أن جربها بمحك النزاهة

(١) روي الصفار في بصائر الدرجات عن الباقر عليه السلام ان امير المؤمنين شاهد
جبرائيل والملائكة يعينونه على غسل النبي وتكفينه وحفر القبر ونزولهم معه في القبر وكذا
شاهدهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين يعينونها على غسل امير المؤمنين
وتكفينه وشاهدهم الحسين مع النبي وأمير المؤمنين يعينونه على غسل الحسن وشاهدهم الباقر
مع النبي وأمير المؤمنين والحسن والحسين يعينونه على غسل أبيه السجاد .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٣٧ .

(٣) زيارة الجامعة .

فوجدتها غير مشوبة بغير جنسها ثم اطلق تلك الكلمة الذهبية الثمينة (ولا يعرف الفضل الا أهله) .

ولا يذهب بك الظن أيها القارئ الفطن الى عدم الأهمية في هذه الكلمة بعد القول في زيارة الشهداء من زيارة وارث « بأبي أنتم وامي طبتم وطابت الارض التي فيها دفنتم » فان الامام في هذه الزيارة لم يكن هو المخاطب لهم وانما هو عليه السلام في مقام تعليم صفوان الجمال عند زيارتهم ان يخاطبهم بذلك الخطاب فان الرواية جاءت كما في مصباح المتعجب للشيخ الطوسي ان صفوان قال استأذنت الصادق عليه السلام لزيارة الحسين وسألته ان يعرفني ما أعمل عليه فقال له يا صفوان صم قبل خروجك ثلاثة أيام الى ان قال ثم اذا اتيت الحائر فقل الله أكبر كبيراً ثم ساق الزيارة الى ان قال ثم اخرج من الباب الذي يلي رجلي علي بن الحسين وتوجه الى الشهداء وقل السلام عليكم يا أولياء الله الى آخرها فالصادق في مقام تعليم صفوان ان يقول في السلام على الشهداء ذلك وليس في الرواية ما يدل على ان الصادق ماذا يقول لو أراد السلام عليهم .

وهنا ظاهرة اخرى دلت على منزلة كبرى للعباس عند سيد الشهداء ذلك ان الامام الشهيد لما اجتمع بعمر بن سعد ليلاً وسط العسكرين لارشاده الى سبيل الحق وتعريفه طغيان ابن ميسون وتذكيره بقول الرسول في حقه امر عليه السلام من كان معه بالتنحي الا العباس وابنه علياً وهكذا صنع ابن سعد فبقي معه ابنه وغلّامه .

وأنت تعلم ان ميزة أبي الفضل على الصحب الاكارم
وسروات المجد من آل الرسول الذي شهد لهم الحسين باليقين
والصدق في النية والوفاء غير أنه عليه السلام أراد أن يوعز الى
الملا من بعده ما لابي الفضل وعلي الأكبر من الصفات التي لا
تحدها العقول .

ومن هذا الباب لما خطب يوم العاشر وعلا صراخ النساء
وعويل الاطفال حتى كان بمسامع الحسين وهو مائل أمام العسكر
أمر اخاه العباس ان يسكتهن حذار شماتة القوم اذا سمعوا ذلك
العويل وغيره على نواميس حرم النبوة ان يسمع اصواتهن
الاجانب .

ولو رمت تحليلاً لتأخر شهادة العباس عن جميع الشهداء
وهو حامل تلك النفس النزاعة الى المفادات والتهلكة دون الدين
فلا يمكنه حينئذ التأخر آناماً فكيف بطيلة تلك المدة وبمرأى منه
مصارع آل الله ونشيج الفواطم واقبال الشر من جميع نواحيه
واضطهاد حجة الوقت بما يراه من المناظر الشبحية والواحدة من
ذلك لا تترك (لحامل اللواء) مساغاً عن اخذ التراث أنا ما .

لكن أهمية موقفه عند اخيه السبط هو الذي أرجأ تأخيره عن
الاقدام فان سيد الشهداء يعد بقاءه من ذخائر الامامة وان موته
تفت في العضد فيقول له « اذا مضيت تفرق عسكري » حتى انه
في الساعة الأخيرة لم يأذن له الا بعد أخذ وردّ .

وان حديث (الإيقاد) لسيدنا المتبوع الحجة السيد محمد

علي الشاه عبد العظيم قدس سره يوقفنا على مرتبة تضاهي مرتبة المعصومين ذلك لما حضر السجاد عليه السلام لدفن الاجساد الطاهرة ترك مساعاً لبني أسد في نقل الجثث الزواكي الى محلها الأخير عدى جسد الحسين وجثة عمه العباس فتولى وحده انزالهما الى مقرهما أو اصعادهما الى حضيصة القدس وقال « ان معي من يعينني » اما الامام فالامر فيه واضح لأنه لا يلي أمره الا امام مثله ولكن الامر الذي لا نكاد نصل الى حقيقته وكنهه فعله بعمه الصديق الشهيد مثل ما فعل بأبيه الرصي وليس ذلك الا لأن ذلك الهيكل المطهر لا يمسه الا ذوات طاهرة في ساعة هي أقرب حالاته الى المولى سبحانه ولا يدنو منه من ليس من أهل ذلك المحل الأرفع .

ولم تزل هذه العظمة محفوظة له عند أهل البيت دنيأ وآخرة حتى ان الصديقة (الزهراء) لا تبتدأ بالشكاية بأي ظلامة من ظلامات آل محمد وهي لا تحصى الا بكفي أبي الفضل المقطوعتين كما في الاسرار ص ٣٢٥ وجواهر الايقان ص ١٩٤ وقد ادخرتهما من أهم أسباب الشفاعة يوم يقوم الناس لرب العالمين .

العصمة

ان من الممكن جداً وليس بمحال على الله تعالى أن ينشئ
كياناً لا تقترب منه العيوب او يخلق انساناً لا يقترب الذنوب ولقد
أوجد جل شأنه ذواتاً مقدسة ونفوساً طاهرة وجبت فيهم العصمة من
الآثام وتنزهوا عن كل رجس ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت ويظهركم تطهيرا﴾ .

وقد اتفق أرباب الحديث والتراجم على حصر هؤلاء
المنزهين بالخمسة أصحاب الكساء وهم محمد وعلي وفاطمة
والحسن والحسين .

ثم أثبت أصحاب السيرة ما يضحك الثكلى ويلحق
بالخرافات (فكان للغير مجال الطعن والمناقشة ذكروا ان النبي
صلى الله عليه وآله لما بلغ من العمر سنتين وكان خلف البيوت
عند بني سعد مع أتراب له أتاه رجلان عليهما ثياب بيض مع
احدهما طست من ذهب مملوء ثلجاً فشقا بطنه وقلبه واستخرجا
منع علقه سوداء هي مغمز الشيطان .

وطربوا لذلك حيث ان الله بلطفه وكرمه قدس نبيه الكريم
من هذه العلقه ولكن ما أدري لماذا صنع به هذه العملية الدامية
وهو طفل صغير لا يقوى على تحمل الآلام ومعاناة الجروح
الدامية ألم يكن في وسع القدرة الالهية إيجاد ذات مقدسة طاهرة
من الارجاس حتى عن هذه العلقه المفسرة بمغمز الشيطان كيف
لا وقد خلقه الله من نور قدسه وبرأه من جلال عظمته واصطفاه من
بين رسله وفضله على العالمين وفي الحديث عنه صلى الله عليه
وعلى آله ان الله خلقني من صفوة نوره ودعاني فاطعته وحينئذ فهل
يتصور نقص في النور الاقدس تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

تلك نفس عزت على الله قدراً فارتضاها لنفسه واصطفاهها
حاز من جوهر التقديس ذاتاً تاهت الانبياء في معناها
لا تجل في صفات احمد فكراً فهي الصورة التي لن تراها

واغرب من ذلك جواب السبكي عن هذه المشكلة بأن الله
أراد أن يخلق نبيه أولاً كاملاً لا نقصان فيه عن سائر الناس حتى
في مثل هذه العلقه لكونها من الاجزاء ثم بعد ذلك طهره منها .

والعجب عد هذه العلقه من اجزاء بدن الانسان التي يوجب
فقدانها نقصان الخلقة وقد تنزه عنها جلال النبوة .

على انه اثبت ولادة النبي مختوناً وهذا اظهر في النقصان
عما وجد عليه البشر من العلقه لكونها غير مرئية وجواب الحلبي
في السيرة ج ١ ص ١١٥ بأنه انما ولد مختوناً لئلا يطلع عليه
المحرم وتكشف عورته لا يرفع اشكال النقصان عما عليه الناس .

وكيف كان فقد ثبت امكان ان يخلق الله تعالى ذواتاً مقدسة منزهة عن الارجاس معصومة عن الخطأ وقد يجب ذلك كما في الهداة المعصومين لكي يهدي بهم الناس واما في غيرهم من الاطهار فلا يجب ولكنه غير ممتنع فمن الممكن ان يمنح الباري سبحانه أفذاذاً من البشر فيكونوا قدوة لمن هم دونهم وتكون بهم الاسوة في عمل الصالحات وان كان في مرتبة نازلة عن منزلة الأنبياء المعصومين فانهم وان بلغوا بسبب التفكير والذكر المتواصل والتصفية والرياضة الى حيث لا يباحون طريق الطاعة ولا يسلكون الى المعصية طريقاً لكنهم في حاجة الى من يسلك بهم السبيل الواضح ويميز لهم موارد الطاعة وموادها عن مساقط العصيان والتهلكة بخلاف الحجج المقيضين لانقاذ البشر المعنيون بالعصمة هاهنا فمن كانت عصمته واجبة كما في المعصومين سميت عصمته استكفائية لانه لا يحتاج في سلوكه الى الغير لكونه في غنى عن أي حجة لتوفر ما افيض عليهم من العلم والبصائر ومن لم تكن فيه العصمة واجبة وكان محتاجاً الى غيره في سلوكه وطاعته سميت عصمته غير استكفائية على تفاوت في مراتبهم من حيث المعرفة والعلم واليقين .

وحينئذٍ ليس من البدع اذا قلنا ان (قمر بني هاشم) كان متحلياً بهذه الحلية بعد أن يكون مصاغاً من نور القداسة الذي لا يمازجه أي شين وعلى هذا كان معتقد شيخ الطائفة وامامها الحجة الشيخ محمد طه نجف قدس سره فانه قال بترجمة العباس من كتاب (اتقان المقال) ص ٧٥ (هو أجل من أن يذكر في المقام

بل المناسب أن يذكر عند ذكر أهل بيته المعصومين عليه وعليهم
أفضل التحية والسلام) .

فتراه لم يقل عند ذكر رجالات أهل بيته الاعاظم بل اثبت
المعصومين منهم وليس هذا العدول الا لأنه يرتأي أن يجعله في
صفهم ويعده منهم .

وتابعه على ذلك العلامة ميرزا محمد علي الاوردبادي فقال
من قصيدته المتقدمة في ص ١١٠ :

اجل عباس الكتاب والهدى	والعلم والدين واصحاب العبا
عن ان يطيش سهمه فيثني	والاثم قد اثقل منه منكبنا
لم نشترط في ابن النبي عصمة	ولا نقول انه قد اذنبنا
ولا أقول غير ما قال به	(طه الامام) في الرجال النجبا
فالفعل منه حجة كقوله	في الكل يروي عن ذويه النقبا

وهذه النظرية في أبي الفضل لم ينكرها عالم من علماء
الشيعة نعرفه بالثقافة العلمية والتقدم بالافكار الناضجة وقد
استضئنا من ارجوزة آية الله الحجة الشيخ محمد حسين
الاصفهانى رحمه الله التي ستقرأها في فصل المديح حقائق راهنة
وكرائم نفيسة سمت بأبي الفضل الى أوج العظمة واخذت به الى
حظائر القدس وصعدت به الى أعلى مرتبة من العصمة .

ومما يزيدنا بصيرة في عصمته ما ذكرناه سابقاً في شرح قول
الصادق « لعن الله امة استحلت منك المحارم وانتهكت في قتلك
حرمة الاسلام » .

فان حرمة الاسلام لا تنتهك بقتل أي مسلم مهما كان عظيماً
ومهما كان أثره في الاسلام مشكوراً الا ان يكون هو الامام
المعصوم فلو لم يبلغ العباس المراتب السماوية في العلم والعمل
لمقام أهل البيت لما استحق هذا الخطاب وهذا معنى العصمة
نعم هي غير واجبة ومما يستأنس منه العصمة له ما تقدم من قول
السجاد :

« وان لعمي العباس منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم
القيامة » .

ويدخل في عموم لفظ الشهداء صريحة بيت الوحي (أبو
الحسن علي الأكبر) الذي أفضنا القول في عصمته واذا كان
العباس غير معصوم كيف يغبطه المعصوم على ما اعطي من رفعة
ومقام عالي لان المعصوم لا يغبط غيره فلا بد أن للعباس اعلى
مرتبة من العصمة كما عرفت ومن هنا غبط منزلته التي اعدت له
جميع الشهداء حتى من كان معصوماً كعلي الأكبر وامثاله غير
الائمة صلوات الله عليهم اجمعين .

الكرامات

من سنن الله الجارية في أوليائه ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ إكرامهم باظهار ما لهم من الكرامة عليه والزلفى منه وذلك غير ما ادخره لهم من المثوبات الجزيلة في الآجلة تقديراً لعملهم واصحاراً بحقيقة أمرهم ومبلغ نفوسهم من القوة وحثاً للملأ على اقتفاء آثارهم في الطاعة ومهما كان العبد يخفي الصالحات من أعماله فالمولى سبحانه يراغم ذلك الاخفاء باشهار فضله كما يقتضيه لطفه الشامل ورحمته الواسعة وبره المتواصل وانه جلت آلاؤه يظهر الجميل من افعال العباد ويزوي القبيح رافة منه وحناناً عليهم .

ومن هذا الباب ما نجده على مشاهد السقربين وقباب المستشهدين في سبيل طاعته من آثار العظمة وآيات الجلالة من انجاح المتوسل بهم إليه تعالى شأنه واجابة الدعوات تحت قبابهم المقدسة وازالة المثلات ببركاتهم وتؤكد الحالة اذا كان المشهد لاحد رجالات البيت النبوي لأنه جلت حكمته ذرا العالمين لاجلهم ولان يعرفوا مكائنتهم فيحتذوا أمثالهم في الاحكام

والاخلاق فكان من المحتم في باب لطفه وكرمه (عظمت نعمه) ان يصحر الناس بفضلهم الظاهر .

ومن سادات ذلك البيت الطاهر الذي أذن الله أن يرفع فيه اسمه أبو الفضل العباس فانه في الطليعة من أولئك السادات وقد بذل في الله ما عز لديه وهان حتى اتصلت النوبة الى نفسه الكريمة التي لفظها نصب عينه (عز ذكره) فأجرى سنته الجارية في الصديقين فيه بأجلى مظاهرها ولذلك تجد مشهده المقدس في اناء الليل واطراف النهار مزدلف أرباب الحوائج من عاف يستمنحه براء الى عانٍ يتطلب عافيته الى مضطهد يتحرى كشف ما به من غم الى خائف ينضوي الى حمى أمنه الى انواع من أهل المقاصد المتنوعة فينكفأ ثلج الفؤاد بنجح طلبته قرير العين بكفاية امره الى متنجز باعطاء سؤله كل هذا ليس على الله بعزيز ولا من المقربين من عباده ببعيد .

ولكثرة كراماته وآيات مرقدته التي لا يأتي عليها الحصر نذكر بعضاً منها تيمناً ولثلاً يخلو الكتاب منها وتعريفاً للقراء بما جاد به قطب السخاء على من لاذ به واستجار بتربيته .

الأولى: ما يحدث به الشيخ الجليل العلامة المتبحر الشيخ عبد الرحيم التستري المتوفى سنة ١٣١٣هـ من تلامذة الشيخ الانصاري أعلى الله مقامه ، قال : زرت الامام الشهيد أبا عبد الله الحسين ثم قصدت أبا الفضل العباس وبيننا أنا في الحرم الاقدس إذ رأيت زائراً من الاعراب ومعه غلام مشلول وربطه بالشباك وتوسل به وتضرع واذا الغلام قد نهض وليس به علة وهو يصيح

شافاني العباس فاجتمع الناس عليه وخرقوا ثيابه للتبرك بها فلما ابصرت هذا بعيني تقدمت نحو الشباك وعاتبته عتاباً مقذعاً وقلت يغتتم المعيدي الجاهل منك المنى وينكفاً مسروراً وأنا مع ما احمله من العلم والمعرفة فيك والتأدب في المثل أمامك أرجع خائباً لا تقضي حاجتي فلا أزورك بعد هذا أبداً ثم راجعتني نفسي وتنبهت لجافي عتبي فاستغفرت ربي سبحانه مما أسأت مع (عباس اليقين والهداية) ولما عدت الى النجف الاشرف أتاني الشيخ المرتضى الانصاري قدس الله روحه الزاكية واخرج صرتين وقال هذا ما طلبته من أبي الفضل العباس اشترى داراً وحج البيت الحرام ولأجلهما كان توسلي بأبي الفضل^(١).

وما عجبت من أبي الفضل كما عجبت من استاذنا اذ علما
لان شبل المرتضى لم يغرب اذا أتى بمعجز أو معجب
بكل يوم بل بكل ساعة لمن أتاه قاصداً رباعه
وهو من الشيخ عجيب بين لكن نور الله يرنو المؤمن^(٢)

الثانية : ما في أسرار الشهادة ص ٣٢٥ قال حدثني السيد الأجل العلامة الخبير السيد أحمد بن الحجة المتبع السيد نصر الله المدرس الحائري قال بينا أنا في جمع من الخدام في صحن أبي الفضل إذ رأينا رجلاً خارجاً من الحرم مسرعاً واضعاً يده على أصل خنصره والدم يسيل منها فأوقفناه نتعرف خبره فأعلمنا بأن

(١) طبعت هذه الكرامة مع صلاة الشيخ الانصاري وذكرها في الكبريت الاحمر ج ٣ ص ٥٠ قال وذكرها عنه جماعة من أكابر العلماء والثقات المتدينين .

(٢) للعلامة الشيخ محمد السماوي .

العباس قطعها فرجعنا الى الحرم فاذا الخنصر معلق بالشباك ولم
يقطر منه دم كأنه قطع من ميت ومات الرجل من الغد وذلك
لصدور إهانة منه في الحرم المقدس .

الثالثة : ما حدثني به العلامة البارع الشيخ حسن دخيل
حفظه الله عما شاهدته بنفسه في حرم أبي الفضل عليه السلام
قال : زرت الحسين في غير أيام الزيارة وذلك في أواخر أيام
الدولة العثمانية في العراق في فصل الصيف وبعد أن فرغت من
زيارة الحسين توجهت الى زيارة العباس عليه السلام قرب الزوال
فلم أجد في الصحن الشريف والحرم المطهر احداً لحرارة الهواء
غير رجل من الخدمة واقف عند الباب الأولى يقدر عمره بالسنتين
سنة كأنه مراقب للحرم وبعد ان زرت صليت الظهر والعصر ثم
جلست عند الرأس المقدس مفكراً في الابهة والعظمة التي نالها
قمر بني هاشم عن تلك التضحية الشريفة وبيننا أنا في هذا اذ
رأيت امرأة محجبة من القرن الى القدم عليها آثار الجلالة وخلفها
غلام يقدر بالسته عشر سنة بزى اشراف الاكراد جميل الصورة
فطافت بالقبر والولد تابع ثم دخل بعدهما رجل طويل القامة أبيض
اللون مشرباً بحمرة ذو لحية شعره أشقر يخالطه شعرات بيض
جميل البزة كردي اللباس والزي فلم يأت بما تصنعه الشيعة من
الزيارة أو السنة من الفاتحة فاستدبر القبر المطهر واخذ ينظر الى
السيوف والخناجر والدرق المعلقة في الحضرة غير مكترث بعظمة
صاحب الحرم المنيع فتعجبت منه أشد العجب ولم أعرف الملة
التي ينتحلها غير اني اعتقدت انه من متعلقي المرأة والولد وظهر

لي من المرأة عند وصولها في الطواف الى جهة الرأس الشريف
التعجب مما عليه الرجل من الغواية ومن صبر أبي الفضل عليه
السلام عنه فما رأيت الا ذلك الرجل الطويل القامة قد ارتفع عن
الأرض ولم أر من رفعه وضرب به الشباك المطهر وأخذ ينبح
ويدور حول القبر وهو يقفز فلا هو بملتصق بالقبر ولا بمبتعد عنه
كأنه متكهرب به وقد تشنجت أصابع يديه واحمر وجهه حمرة
شديدة ثم صار ازرقاً وكانت عنده ساعة علقها برقبته بزنجيل فضة
فكلما يقفز تضرب بالقبر حتى تكسرت وحيث انه اخرج يده من
عباءته لم تسقط الى الأرض نعم سقط الطرف الآخر الى الأرض
وبتلك القفزات تخرقت .

أما المرأة فحينما شاهدت هذه الكرامة من أبي الفضل
قبضت على الولد واسندت ظهرها الى الجدار وهي تتوسل به بهذه
اللهجة (أبو الفضل دخيلك أنا وولدي) .

فأدهشني هذا الحال وبقيت واقفاً لا أدري ما أصنع والرجل
قوي البدن وليس في الحرم احد يقبض عليه فدار حول القبر
مرتين وهو ينبح ويقفز فرأيت ذلك السيد الخادم الذي كان واقفاً
عند الباب الاولي دخل الروضة الشريفة فشاهد الحال فرجع
وسمعه ينادي رجلاً اسمه جعفر من السادة الخدام في الروضة
فجاءا معاً فقال السيد الكبير لجعفر اقبض على الطرف الآخر من
الحزام وكان طول الحزام يبلغ ثلاثة أذرع فوقفا عند القبر حتى إذا
وصل اليهما وضعا الحزام في عنقه وأداراه عليه فوقف طبعاً لكنه
ينبح فأخرجاه من حرم العباس وقالوا للمرأة اتبعينا الى (مشهد

الحسين) فخرجوا جميعاً وأنا معهم ولم يكن أحد في الصحن الشريف فلما صرنا في السوق بين (الحرمين) تبعنا الواحد والاثنان من الناس لان الرجل كان على حالته من النبح والاضطراب مكشوف الرأس ثم تكاثر الناس .

فأدخلوه (المشهد الحسيني) وربطوه بشباك (عليّ الأكبر) فهدأت حالته ونام وقد عرق عرقاً شديداً فما مضى إلا ربع ساعة فإذا به قد انتبه مرعوباً وهو يقول أشهد ان لا إله الا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله وان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خليفة رسول الله بلا فصل وان الخليفة من بعده ولده الحسن ثم اخوه الحسين ثم علي بن الحسين وعد الأئمة الى الحجة المهدي عجل الله فرجه .

فسئل عن ذلك قال اني رأيت رسول الله الآن وهو يقول لي اعترف بهؤلاء وعدهم علي وان لم تفعل يهلكك العباس فانا اشهد بهم واتبرأ من غيرهم .

ثم سئل عما شاهده هناك فقال بينا أنا في حرم العباس اذ رأيت رجلاً طويلاً القامة قبض علي وقال لي يا كلب الى الآن بعدك على الضلال ثم ضرب بي القبر ولم يزل يضربني بالعصا في قفائي وانا أفر منه .

ثم سألت المرأة عن قصة الرجل فقالت انها شيعية من أهل بغداد والرجل سني من أهل السليمانية ساكن في بغداد متدين بمذهبه لا يعمل الفسوق والمعاصي يحب الخصال الحميدة ويتنزه عن الذميمة وهو بندرجي تن وللمرأة اخوان حرفتهما بيع التن

ومعاملتهما مع الرجل فبلغ دينه عليهما مائة (ليرة عثمانية) فاستقر رأيهما على بيع الدار منه والمهاجرة من بغداد فأحضرهما في دارهما (ظهراً) واطلعهما على رأيهما وعرفاه انه لم يكن دين عليهما لغيره فعندها ابدى من الشهامة شيئاً عجيباً فأخرج الاوراق وخرقها ثم احرقها وطمئنها على الاعانة مهما يحتاجان .

فطارا فرحاً وأرادا مجازاته في الحال فذاكرا المرأة على التزويج منه فوجدا منه الرغبة فيه لوقوفها على هذا الفضل مع ما فيه من التمسك بالدين واجتناب الدنيا وقد طلب منهما مراراً اختيار المرأة الصالحة له فلما ذكرا له ذلك زاد سروره وانشرح صدره بحصول امينته فعقدا له من المرأة وتزوج منها .

ولما حصلت عنده طلبت منه زيارة الكاظميين اذ لم تزرها مدة كونها بلا زوج فلم يجبهها مدعيماً انه من الخرافات ولما ظهر عليها الحمل سألته أن ينذر الزيارة ان رزق ولداً ففعل ولما جاءت بالولد طالبت بالزيارة فقال لا أف بالنذر حتى يبلغ الولد فأبست المرأة ولما بلغ الولد السنة الخامسة عشر طلب منها اختيار الزوجة فأبت ما دام لم يف بالنذر فعندها وافقها على الزيارة مكرهاً وطلبت من الجوادين الكرامة الباهرة ليعتقد بإمامتهما فلم ترّ منهما ما يسرها بل اساءها سخريته واستهزاؤه .

ثم ذهب الرجل بالمرأة والولد الى العسكرين وتوسلت بهما وذكرت قصة الرجل فلم تشرق عليه انوارهما وزادت السخرية منه .

ولما وصلا كربلا قالت المرأة نقدم زيارة العباس عليه

السلام واذا لم تظهر منه الكرامة وهو أبو الفضل وباب الحوائج لا
أزور أخاه الشهيد ولا أباه أمير المؤمنين وارجع الى بغداد وقصت
على أبي الفضل قصة الرجل وعرفته حال الرجل وسخريته بالأئمة
الطاهرين وانها لا تزور اخاه ولا أباه اذا لم يتلطف عليه بالهداية
وينقذه من الغواية فانجح سؤالها وفاز الرجل بالسعادة .

الرابعة : ما في كتاب (أعلام الناس في فضائل العباس)
تأليف الزاكي التقي السيد سعيد بن الفاضل المهذب الخطيب
السيد ابراهيم^(١) البهبهاني قال تزوجت في أوائل ذي القعدة سنة
١٣٥١ هـ وبعد ان مضى اسبوع من أيام الزواج أصابني زكام
صاحبه حمى وباشرني اطباء النجف فلم انتفع بذلك والمرض
يتزايد ومن جملة الاطباء الطبيب المركزي (محمد زكي اباطة)
وفي أول جماد الاول من سنة ١٣٥٣ هـ خرجت الى « الكوفة »
وبقيت الى رجب فلم تنقطع الحمى وقد استولى الضعف على
بدني حتى لم أقدر على القيام ثم رجعت الى النجف وبقيت الى
ذي القعدة من هذه السنة بلا مراجعة طبيب لعجزهم عن العلاج
وفي ذي الحجة من هذه السنة اجتمع الطبيب المركزي المذكور

(١) هو ابن السيد محمد بن السيد جعفر بن سيد محمد بن سيد هاشم بن سيد محمد
بن سيد عبد الله بن سيد محمد الكبير بن سيد عبد الله البلادي ابن سيد علوي عتيق الحسين
بن سيد حسين الغريفي بن سيد حسن بن سيد احمد بن سيد عبد الله بن سيد عيسى بن سيد
خميس بن سيد احمد بن سيد ناصر بن سيد علي بن كمال الدين بن سيد سلمان بن سيد
جعفر بن أبي العشا موسى بن أبي الحمراء محمد بن علي الطاهر بن علي الضخم بن ابي علي
محمد الحسن بن محمد الحائري بن إبراهيم المجاب بن محمد العابد ابن الامام الكاظم عليه
السلام وهذه الكرامة كتب السيد سعيد كتاباً في احوال العباس يزيد على أربعمائة صفحة
اجهد نفسه وسهر الليالي في جمعه وتبويبه جزاه الله خير الجزاء .

مع الدكتور محمد تقي جهان وطبيب آخرين جاؤوا من بغداد
وفحصوني فاتفقوا على عدم نفع كل دواء وحكموا بالموت الى
شهر وفي محرم من سنة ١٣٥٤ هـ خرج والدي الى قرية (القاسم)
بن الامام الكاظم عليه السلام) للقراءة في المآتم التي تقام لسيد
الشهداء وكانت والدي تمرضني ودأبها البكاء ليلاً ونهاراً .

وفي الليلة السابعة من هذه السنة رأيت في النوم رجلاً مهيباً
وسيماً جميلاً اشبه الناس بالسيد الطاهر الزكي (السيد مهدي
الرشتي) فسألني عن والدي فأخبرته بخروجه الى القاسم فقال اذن
من يقرأ في عادتنا يوم الخميس وكانت الليلة ليلة خميس ثم قال
اذن أنت تقرأ .

ثم خرج وعاد الي وقال ان ولدي السيد سعيد^(١) مضى الى
كربلا يعقد مجلساً لذكر مصيبة أبي الفضل العباس وفاء لنذر عليه
فامضي الى كربلا واقرا مصيبة العباس وغاب عني .

فانتبهت من النوم ونظرت الى والدي عند رأسي تبكي ثم
نمت ثانياً فأتاني السيد المذكور وهو يقول ألم أقل لك ان ولدي
سعيد ذهب الى كربلا وانت تقرأ في مآتم أبي الفضل فأجبت الى

(١) ولد السيد مهدي الرشتي سنة ١٣٠٣ وتوفي في النجف يوم ١٤ رجب سنة ١٣٥٨
ودفن في الحجرة الملاصقة لباب الصحن المعروفة بباب القزازين وكان السيد رحمه الله باذلاً
نفسه ونفيسه في خدمة اجداده الأئمة المعصومين وداره العامرة (حسينية) لأهل طرفه (البراق)
يقيمون فيها مراسيم العزاء والفرح للأئمة عليهم السلام لا يعدلون بها بدلاً وفقهم الله لما
يرضيه واما ولده السيد سعيد فكانت ولادته في سنة ١٣٢٢ وتوفي في ذي القعدة ١٥ سنة
١٣٥٥ هـ ودفن في الحجرة مع أبيه وقام السيد صالح مكان أبيه في اقامة الافراح والمآتم فنعم
الخلف لذلك السيد الطاهر .

ذلك فغاب عني فانتبهت .

وفي المرة الثالثة نمت فعاد الي السيد المذكور وهو يقول
بزجر وشدة ألم أقل لك امضي الي كربلا فما هذا التأخير فهبته
في هذه المرة وانتبهت مرعوباً .

وقصصت الرؤيا من أولها علي والدتي ففرحت وتفاءلت بأن
هذا السيد هو أبو الفضل وعند الصباح عزمت علي الذهاب بي الي
حرم العباس ولكن كل من سمع بهذا لم يوافقها لما يراه من
الضعف البالغ حده وعدم الاستطاعة علي الجلوس حتى في
السيارة وبقيت علي هذا الي اليوم الثاني عشر من المحرم فأصرت
الوالدة علي السفر الي كربلا بكل صورة فأشار بعض الارحام علي
ان يضعوني في تابوت ففعلوا ذلك ووصلت ذلك اليوم الي القبر
المقدس ونمت عند الضريح الطاهر .

وبينا أنا في حالة الاغماء في الليلة الثالثة عشر من المحرم
اذ جاء ذلك السيد المذكور وقال لي لماذا تأخرت عن يوم السابع
وقد بقي سعيد بانتظارك وحيث لم تحضر يوم السابع فهذا يوم دفن
العباس وهو يوم ١٣ فقم واقراء ثم غاب عني وعاد اليّ ثانياً وأمرني
بالقراءة وغاب عني وعاد في الثالثة ووضع يده علي كتفي الأيسر
لأنني كنت مضطجعاً علي الايمن وهو يقول الي متى النوم قم
واذكر (مصيبي) فقامت وأنا مدهوش مذعور من هيئته وانواره
وسقطت لوجهي مغشياً علي وقد شاهد ذلك من كان حاضراً في
الحرم الاطهر .

وانتبهت من غشوتي وأنا اتصبب عرقاً والصحة ظاهرة علي

وكان ذلك في الساعة الخامسة من الليلة الثالثة عشر من المحرم
سنة ١٣٥٤ هـ .

فاجتمع علي من في الحرم الشريف واقبل من في الصحن
والسوق وازدحم الناس في الحضرة المنورة وكثر التكبير والتهليل
وخرق الناس ثيابي وجاءت الشرطة فأخرجوني الى البهو الذي هو
أمام الحرم فبقيت هناك الى الصباح .

وعند الفجر تطهرت للصلاة وصليت في الحرم بتمام الصحة
والعافية ثم قرأت مصيبة أبي الفضل عليه السلام وابتدأت بقصيدة
السيد راضي بن السيد صالح القزويني وهي :

أبا الفضل يا من أسس الفضل والابا أبا الفضل الا ان تكون له ابا
والامر الأعجب اني لما خرجت من الحرم قصدت داراً
لبعض أرحامنا بكربلا وبعد أن قرأت مصيبة العباس خلوت
بزوجتي وببركات أبي الفضل حملت ولداً سميته « فاضل » وهو
حيّ يرزق كما رزقت عبد الله وحسناً ومحمداً وفاطمة كنيتهام
البنين .

هذه من علاه احدى المعالي وعلى هذه فقس ما سواها

وذكر ان السيد الطاهر الزاكي السيد مهدي الاعرجي وكان
خطيباً نائحاً له مدائح ومراثي لأهل البيت عليهم السلام كثيرة ورد
النجف يوم خروجي الى كربلا فبات مفكراً في الامر وكيف يكون
الحال وفي تلك الليلة الثالثة عشر رأيت في المنام كأنه في كربلا
ودخل حرم العباس فرأى الناس مجتمعين علي وأنا أقرأ مصيبة

العباس فارتجل في المنام .

لقد كنت بالسلس المبرح داؤه فشافاني العباس من مرض السلس
ففضلت بين الناس قدراً وانما لي الفضل اذ اني عتيق أبي الفضل

وانتبه السيد من النوم يحفظ البيتين فقصدا دارنا وعرفهم بما
رآه وفي ذلك اليوم وضح لهم الامر .

وقد نظم هذه الكرامة جماعة من الادباء الذين رأوا السيد
سعيد في الحالين الصحة والمرض .

فمنه السيد الخطيب العالم السيد صالح الحلبي رحمه الله .

بأبي الفضل استجرنا فحبانا منه منحة
وطلبنا ان يداوي ألم القلب وجرحه
فكسا الله سعيداً بعد سقم ثوب صحة
بدل الرحمن منه قرحة القلب بفرحة

وقال الخطيب الفاضل الاستاذ الشيخ محمد علي

اليعقوبي :

بأبي الفضل زال عني سقامي مذ كساني من الشفاء برودا
وحباني من السعادة حتى صرت في النشاطين ادعى سعيدا

وقال العلامة الشيخ علي الجشي أيده الله :

سعيد سعدت وجزت الخطر من السلس في مثل لمح البصر
غداة التجأت لمثوى به أبو الفضل حل فرد القدر

وقال السيد حسون السيد راضي القزويني البغدادي :

ولولاه كان السقم يأذن بالقتل
أبو الفضل اهل للمكارم والفضل

سعيد لقد نال الشفا من ابي الفضل
ولا غرو ان نال الشفا منه انه
وله أيضاً :

وحياء الاله عمراً جديداً
وامتناناً ونال عيشاً رغيداً
من أبي الفضل بالشفا نال فضلاً

وللأديب الكامل السيد محمد بن العلامة السيد رضا الهندي
رحمه الله .

لم أنس فضلك يا أبا الفضل الذي
يكفيك يوم الطف موقفك الذي
ولقد نصرت به النبي بسبطه
وأنا الذي قد كان دائي مهلكا
ألبستي ثوب الشفاء وعدت
هيئات ان يحصى ثناه مفصلاً
قد كان المع ما يكون وافضلاً
وغدوت في دنيا الشهادة أولاً
واجرتني لما استجرت مؤملاً
حياً فيك يا ساقى عطاشى كربلاً

وللخطيب الذاكر الفاضل الشيخ عبد علي الشيخ حسين .

سعيد التجي من ضره وسقامه
لعمري ترى الاقدار طوع يمينه
فآب وابراهيم قرت عيونه
سعيد سعيداً عش بظل لوائه
بفضل أبي الفضل الفضيلة حزتها
وللشيخ جعفر الطريفي :

وعجزت من سقمي وطول زماني
عجز الطبيب لعتي وقلاني

ما زرتة في سقمه فجفاني
هجروا الاواني خيفة العدوان
العباس باباً للشفافشاني
نعم الطيب الاوحد الرباني

هجر الصديق زيارتي وكأنني
حتى إذا قالوا فقلوا خفية
فقصدت باباً للحوائج والشفاف
لولاه واراني التراب بحفرتي
وللشيخ كاظم السوداني :

لها تليت عند البرية آيت
لها من نبات المجد أومت اشارات
به انسل عنه السل اذ كم به ماتوا
فيا جاحديه مثل برهانه هاتوا
له اثر من بأسه وعلامات
بأنواره ارخ (وفيها مضيئات)

فكم لابي الفضل الابي كرامات
وشاراته كالشمس في الافق شوهدت
سعيد سعيداً عاد منها الى الشفاف
أبو الفضل كم فضل له ومناقب
هو الشبل شبل من علي وفي الوغى
لقد شعت الاكوان من بدر فضله

وللخطيب الشيخ حسن سبتي :

مدى الدهر اذ عوفيت من فتكة السل
لذا صرت ثانيه عتيق أبي الفضل

الا عش سعيداً يا سعيد منعماً
عتيق حسين كان جدك أولاً

وللسيد نوري بن السيد صالح بن السيد عباس البغدادي :

من مرض السل غدا سالما
وفضله بين الوري دائماً

بشرى لابراهيم في نجله
ابراه العباس من فضله

الخامسة : حدثني الشيخ العالم الثقة الثبت الشيخ حسن بن
العلامة الشيخ محسن بن العلامة الشيخ شريف آل الشيخ المقدس
صاحب الجواهر قدس سره عن حاج منيشد بن سلمان آل حاج
عبودة من أهل الفلاحية وكان ثقة في النقل عارفاً بصيراً شاهداً

الكرامة بنفسه قال كان رجل من عشيرة البراجعة يسمى (مخيلف) مصاباً بمرض في رجله وطال ذلك حتى يبستا وصارتا في رفع الاصبع وبقي على هذا ثلاث سنين وشاهده الكثير من أهل المحمرة وكان يحضر الاسواق ومجالس عزاء الحسين عليه السلام ويستعين بالناس وهو يزحف على إتيه ويديه وقد عجز عن المباشرة ويثس وكان للشيخ خزعل بن جابر الكعبي في المحمرة (حسينية) يقيم فيها عزاء الحسين عليه السلام في العشرة الأولى من المحرم ويحضر هناك خلق كثير حتى النساء يجلسن في الطابق الاعلى من الحسينية والعادة المطردة في تلك البلاد ونواحيها ان (الخطيب النائح) إذا وصل في قراءته الى الشهادة قام أهل المجلس يلطمون بلهجات مختلفة وهكذا النساء في اليوم السابع من المحرم كان المتعارف ان تذكر مصيبة أبي الفضل العباس وهذا الرجل أعني (مخيلف) يأتي الحسينية (ويجلس تحت المنبر لأن رجله ممدودتان)^(١) وحينما وصل الخطيب الى ذكر المصيبة أخذت الحالة المعتادة من في المجلس رجالاً ونساءً وبيناهم على هذا الحال إذ يرون ذلك المصاب بالزمانه في رجله (مخيلف) واقفاً معهم يلطم ولهجته (أنا مخيلف قيمي العباس) وبعد أن تبين الناس هذه الفضيلة من أبي الفضل تهافتوا عليه وخرقوا ثيابه للتبرك بها وازدحموا عليه يقبلون رأسه ويديه فأمر الشيخ خزعل غلماناً أن يرفعوه الى احدى الغرف ويمنعوا

(١) هذه الجملة التي بين قوسين حدثني بها في دار الشيخ الجليل الشيخ حسن المذكور

ملا عبد الكريم وقد شاهد الرجل بعينه ذلك اليوم .

الناس عنه وصار ذلك اليوم في المحمرة اعظم من اليوم العاشر
من المحرم وصار البكاء والعيول والصراخ من الرجال واما النساء
فمنهن من تهلهل واخرى تصرخ وغيرها تلطم .

وذكر لي ملا عبد الكريم الخطيب من أهل المحمرة وكان
حاضراً وقت الحديث ان الشيخ خزعل في كل يوم يصنع طعاماً
لأهل المجلس في الظهر وفي ذلك اليوم تأخر الغداء الى الساعة
التاسعة من النهار لبكاء الناس وعويلهم .

وقال العلامة الشيخ حسن المذكور ثم انه سئل مخيلف عما
رآه وشاهده فقال بينا الناس يلطمون على العباس اخذتني سنة وانا
تحت المنبر فرأيت رجلاً جميلاً طويلاً القامة على فرس أبيض عال
في المجلس وهو يقول يا مخيلف لم لا تلطم على العباس مع
الناس فقلت له يا أغاتي لا أقدر وأنا بهذا الحال فقال لي قم
والطم على العباس قلت له يا مولاي أنا لا أقدر على القيام فقال
لي قم والطم قلت له يا مولاي اعطني يدك لاقوم فقال « انا ما
عندي يدين » فقلت له كيف أقوم قال الزم ركاب الفرس وقم
فقبضت على ركاب الفرس واخرجني من تحت المنبر وغاب عني
وأنا في حالة الصحة وعاش سنتين أو اكثر ومات .

وحدثني المهذب الكامل ميرزا عباس الكرمانى انه تعسرت
عليه حاجة فقصد أبا الفضل واستجار بضريحه فما أسرع ان
فتحت له باب الرحمة وعاد بالمسرة بعد اليأس مدة طويلة فأنشأ :

أبا الفضل اني جئتك اليوم سائلاً لتيسير ما ارجو فانت اخو الشبل
فلا غرو ان اسعفت مثلي بائساً لأنك للحاجات تدعى أبو الفضل

هذا ما أردنا اثباته من الكرامات وهو قطرة من بحر فان
الاتيان عليها كلها يحتاج الى مجلد كبير لأن الله سبحانه منح
(حامى الشريعة) جزيل الفضل واجرى عليه من الفيض الاقدس
ما لم يحوه بشر غير الانبياء المقربين والائمة المعصومين جزاء
لذلك الموقف الباهر الذي لم يزل يرن رجع صداه المؤلم في
مسامع القرون والاجيال مذكراً بما أبداه أبو الفضل من اباء وشمم
وكر واقدام وتضحية دون الشرع القديم .

اللواء

اللواء ما يعقد على رمح أو عصا ويقال له الراية كما يطلق عليهما العلم هذا عند أهل اللغة وعند المؤرخين انهما شيان نذكروا ان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عقد لحمزة بن عبد المطلب لواء أبيض في رمضان أول الهجرة وفيه يقول حمزة .

فما برحوا حتى انتدبت لغارة لهم حيث حلوا ابتغي راحة الفضل
بأمر رسول الله أول خافق عليه لواء لم يكن راح من قبل
لواء لديه النصر من ذي كرامة إله عزيز فضله أفضل الفعل

وأول راية عقدها للمسلمين في سؤال من هذه السنة^(١) .

والمعقود على رمح أو غيره ان كان واسعاً فهو الراية والا فاللواء ويقال للعلم الكبير البند والعقاب وان خص الثاني بما يعقده للولاية^(٢) والتسمية بالعقاب اقتبسها العرب من الروم فان

(١) سيرة ابن هشام بهامش الروض الأنف ج ٢ ص ٥٦ .

(٢) تاج العروس بمادة عقب .

العقاب والنسر شارة الرومان يرسمونها على اعلامهم وينقشونها على أبنيتهم^(١) .

وكان أعلام الروم كباراً تحت كل علم عشرة آلاف أو أكثر^(٢) .

وكانت راية كسرى يوم الجسر سنة ١٣ هجرية من جلود النمر في عرض ثمانية أذرع وطول اثني عشر ذراعاً وهي المسماة « درفش كايان »^(٣) .

وهذه الراية كانت محفوظة في خزائهم ولم تكن بهذه السعة وانما زادوا عليها تبركاً والاصل فيها ان الضحاك بيوراسف خرجت في منكبها سلعتان فكان اذا اشتد عليه الالم طلاهها بدماع انسان يذبحه فلاقى الناس منه عناء ونكد وجور فأخذ ابنين لرجل من أهل اصبهان اسمه « كابي » فشق عليه فدعا الناس للخروج على الضحاك واخذ عصا وعلق عليها جراباً وتبعه الناس فتغلب على الضحاك وخلعوه عن الملك واستراحوا من جوره فعظموا ذلك العلم وتفألوا به وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم العلم الاكبر الذي يتبركون به وسموه « درفش كايان »^(٤) .

كما احتفظ الامويون براية بن زياد التي اخرجها يوم الطف ففي تاريخ (يزد) للايتي ص ٧٢ ان ابا العلاء الطوفي كان هو وأبوه من عمال الامويين طاف البلاد لأخذ البيعة لهم فلقب

(١) التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٦٥ .

(٣) ابن الاثير ج ١ ص ١٦٨ .

(٤) الطبري ج ١ ص ١٠٠ وابن الاثير ج ١ ص ٢٦ .

(٢) تاج العروس .

(بالطوفي) وكان معلماً لهشام بن عبد الملك فلما ولي هشام الملك أراد أن يكافأه على خدمته فبعثه عاملاً على (يزد) ودفع إليه تلك الراية فسار أبو العلاء الى (يزد) ونصب الراية في البستان المشهور باسمه ودعا أهل يزد الى بيعة الامويين وكانوا على طريقة أهل البيت عليهم السلام واخذهم على ذلك اخذاً شديداً وعاملهم بالقسوة والجور وبقوا يتقلبون على حسك الظلم الى ان ظهر أبو مسلم الخراساني أيام مروان الحمار وتصرف في خراسان وفارس سنة ١٣٢ و سنة ١٣٣ هجرية فراسله اليزديون وطلبوا انقاذهم من مخالط الطوفي فبعث أبو مسلم محمد الزمجي الى اصفهان ويزد وبلغ الطوفي اقباله بجيش جرار وان اليزديين معه فخرج ليلاً من يزد الى قرية « ابرند آباد » فبعث محمد الزمجي جماعة فقبضوا عليه واتوا به الى يزد وتجمهر اليزديون رجالاً ونساء عليه واستقر الرأي على احراقه والراية معه ففعل بهما ذلك وانتهبوا القصر والبستان .

وان المصادر التاريخية لم ترشدنا الى أول من رفع اللواء ويقوى في الظن ان (كابي) المتقدم أول من اتخذه كما ان الخليل ابراهيم عليه السلام اول من اتخذ الرايات وذلك لما غلب الروم على لوط واسروه رفع الخليل راية وسار لمحاربة الروم فغلبهم واسترجع لوطاً^(١) .

ولما جاء الاسلام وانتشر العرب في انحاء الشام وفارس

(١) تهذيب الشيخ الطوسي في باب النوادر من كتاب الجهاد والمستدرك للنوري ج٢ ص٢٦٦ .

ومصر وتعددت دولهم كثرت ضروب الالوية عندهم وتنوعت اشكالها وتعددت ألوانها واطالوها وسموها بأسماء مختلفة حتى تفاخروا بتعدادها فقد بلغت رايات العزيز بالله الفاطمي لما خرج الى فتح الشام خمسمائة راية ومثلها البوقات .

وكانوا ينقشون على راياتهم اسماء الخلفاء والسلاطين والقواد أرهاباً واعزازاً وتفاؤلاً بالظفر فقد كتب ابن بشكم على رايته (الرائقي) نسبة الى ابن رائق وربما كتبوا آيات القرآن عليها فقد وجد في دير الظاهر مدينة برغوس في الاندلس راية من الحرير الخالص مطرزة بالنقوش الجميلة وعليها آيات قرآنية^(١) .

وكتب أبو مسلم الخراساني بالحبر على لوائه :

﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير﴾^(٢) . ثم أنه عقد لواء بعثه إليه إبراهيم الامام اسمه (الظل) على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً وعقد آخر بعث به اليه اسمه (السحاب) على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً^(٣) .

أما ألوان الألوية والرايات فلا يعرف عنها شيء في الجاهلية

(١) التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٦٦ وفي ص ١٦٨ ذكر اهتمام الفاطميين بالولاية والرايات والدرق فمن ذلك انهم صنعوا بيتاً بمصر يقال له « خزانة البنود » اختزنوا فيها الاعلام والرايات والاسلحة والسروج واللجم المذهبة والمفضضة وكانوا يتفقون عليها في كل سنة ثمانين ألف دينار ولما احترقت الدار بما فيها قدرت الخسارة بثمانية ملايين دينار وكان في جملتها لواء يسمونه لواء الحمد .

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٧٣ ج ١ ص ١٦٦ .

(٣) التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٦٦ .

سوى راية العقاب فانها سوداء وكذلك راية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقال ان رايات العرب كانت بيضاء^(١) أما رايات النبي صلى الله عليه وآله وعلى آله في مغازيه فمختلفة ففي بدر كانت راية حمزة حمراء وراية أمير المؤمنين صفراء ويوم أحد وخيبر اللواء والراية أبيضان^(٢) وفي عين الوردة الراية بقاء^(٣) .

وكانت أعلام بني أمية حمر وكل من دعا الى الدولة العلوية فعلمه أبيض ومن دعا الى الدولة العباسية فعلمه أسود ويقرب في الظن ان شعار العلويين الخضرية حتى في راياتهم فان المأمون لما عقد ولاية العهد للامام الرضا عليه السلام ألزم الناس بالخضرة وترك شعار العباسيين .

نعم لما عقد المتوكل لبنيه البيعة عقد لكل واحد منهم لوائين احدهما أسود وهو لواء العهد والآخر أبيض وهو لواء العمل^(٤) .

وكيف كان فالراية عقد نظام العسكر وآية زحفهم فلا يخالون انجفلاً ما دامت تسري أمامهم فهي بتقدمها شارة الظفر وعلامة الفوز فلن تجد جحفلاً مثلاً وفيلقاً ملتائماً الا اذا انكفأت الراية أو أصيب حاملها فخرت ولذلك لا تعطى الا للأكفاء الحماة الغيارى على المبدأ ممن لا يجبنه الخور أو يفشله الضعف أو يخذله الطمع .

(١) آثار الدول للقرماني .

(٣) الطبري ج ٧ ص ٧٩ .

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢٢ .

(٤) التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٦٦ .

وفي قول سيد الوصيين عليه السلام شامد عدل على هذا فانه كان يحرض الناس يوم صفين ويقول « ولا تميلوا برايائكم ولا تزيلوا ولا تجعلوها الا مع شجعانكم فان المانع للذمار والصابر عند نزول الحقايق أهل الحفاظ واعلموا ان أهل الحفاظ هم الذين يحتفون برأيائهم ويكتنفونها ويصيرون حفافها وامامها ووراءها ولا يضيعونها ولا يتأخرون عنها فيسلمونها ولا يتقدمون عنها فيفردونها^(١) » .

ولقد كان حملة الرايات يتهاكون دون حملها الى آخر قطرة تسقط من دمائهم حذراً من وصمة الجبن وشية العار وسمة الخزي ولا يدع لهم ثبات الجأش وحمى الذمار واصرة الشرف ان يلقوها ما دامت أيديهم تقلها .

لا عيب فيهم غير قبضهم اللوا عند اشتباك السمر قبض ضنين من أجل ذلك كانت راية الاسلام مع أمير المؤمنين في جميع مغازي الرسول ولم يفته مشهد الا تبوك حيث لم يقع فيها قتال^(٢) والا لما تركه النبي في المدينة مع ما يعلمه من بلائه واقدامه وفي يوم بدر اعطاه الرسول راية الاسلام فزحف بها والمسلمون خلفه ولما يبلغ الخامسة والعشرين من عمره فأظهر أمير المؤمنين فيها من البسالة والنجدة والبأس ما اطاش الالباب وحير العقول وجبن الشجعان ووضع من قدرها فطار (أبو الحسن)

(١) نهج البلاغة .

(٢) الصواعق المحرقة ص ٧٢ .

بذكرها وحاز مجدها واستأثر بفضلها وان عمله في هذا اليوم الذي كسر الله به شوكة المشركين وفل خدhem لمن خوارق العادة واجل الكرامات اذ لم يباشر قبله حرباً ولا نازل قرناً فعمل في ذلك الجمع من النكاية والقتل الذريع ما لم يشاهد مثله مع ان اكثر الجمع قد مارس الحرب وقاسى الاهوال وخاض الغمرات وبارز الشجعان .

وأما يوم احد فكان اللواء مع مصعب بن عمير من بني عبد الدار وانما أعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم جبراً لقلوب من آمن به من بني عبد الدار خصوصاً لما كان لواء المشركين مع قومهم من بني عبد الدار وبعد أن فعل مصعب ذلك اليوم ما يبهر العقول وادى حق اللواء حتى قطعت يده اليمنى ثم اليسرى واذ قطعت ضم اللواء الى صدره حتى طعن بالرمح في ظهره فسقط الى الأرض قتيلاً دفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى صاحبه (ابي الريحانيتين) فكان لامير المؤمنين من البلاء العظيم والمقامات المحمودة ما لم يكن لأحد قط حتى عجبت من ثباته وحملاته الملائكة بقتله أصحاب الألوية ولما كانت الدبرة على المسلمين كان له الموقف المشهود أبصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم جماعة فقال لعلي فرقمهم ففرقمهم وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي ثم ابصر جماعة اخرى فقال له فرقمهم فحمل عليهم وقتل شيبه بن مالك فقال جبرائيل هذه المواساة .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما يمنعه انه مني وأنا

منه .

فقال جبرائيل وأنا منكما .

وسمعوا صوتاً :

لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي^(١)

وفي يوم خيبر لما شاهد النبي خور المسلمين وضعفهم وانتصار اليهود لانكسار (الرجلين) في اليوم الأول والثاني ساء ذلك فقال لاعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاستطلت لها اعناق الرجال رجاء ان يدعوا لها فيحظون بالفتح والسعادة والخالدة .

فأتاه الوصي أرمده عين فسقاها من ريقه فشفاهها
ومضى يطلب الصفوف فولت عنه علماً بأنه امضاها
وبرى مرحباً بكف اقتدار اقوياء الاقدار من ضعفها
ودحى بابها بقوة بأس لو حمتها الافلاك منه دحاها

وأما يوم حنين فلم يلق المسلمون اشد منه فلقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت وبلغت القلوب الحناجر وعاتبهم الله على فرارهم عن حبيبه وخاتم رسله ولكن ظهرت في هذا اليوم عظمة (صاحب الراية) ومكانته من الرسول وموقفه من الدين ومبلغه من الدفاع وثباته في وجه الخطوب حتى تراجع المسلمون .

ثم لفت هذه الراية خمساً وعشرين سنة ونشرها أمير المؤمنين

(١) الطبري ج ٣ ص ١٧ وابن الاثير ج ٢ ص ٧٥ والاغانى ج ١٤ ص ١٧ .

يوم (الجمل) واعطاها لولده محمد بن الحنفية وقال له هذه راية رسول الله لا ترد قط فزحف بها (ابن حيدرة) والجيش خلفه وقيس بن سعد بن عبادة يقول^(١) :

هذا اللواء الذي كنا نحف به مع النبي وجبريل لنا مددا
ما ضر من كانت الانصار عيبته ان لا يكون له من غيرها احدا
قوم اذا حاربوا طالت أكفهم بالمشرقية حتى يفتحوا البلدا

وأدى شبل علي عليه السلام حقها حتى كان الفتح كما انها
كانت معه يوم النهروان^(٢) .

أما يوم صفين فكانت راية الهمدانيين مع سفيان بن يزيد
فلما قتل اخذها اخوه عبيد ثم اخوه كرب ثم عمير بن بشير ثم
الحرث بن بشير ثم وهب بن كرب وكلهم قتلوا دونها^(٣) وفي هذا
اليوم الباهر كان لحملة الرايات من أهل العراق المقام المشكور
حتى تضعع من أقدامهم عرش معاوية لولا القضاء وابرام
المحتوم .

فكان ذوو ألويات يحرصون على رفعها لكونها معقد الجيش
وبها يتم نظامهم وتتطامن نفوسهم ولم ينكسر الجيش الا بقتل
صاحب الراية وسقوطها .

ومن هنا نعرف مكانة أبي الفضل من البسالة وموقفه من

(١) كتاب الجمل للشيخ المفيد ص ١٦٥ .

(٢) الاختصاص للمفيد مخطوط .

(٣) رجال المامقاني بترجمة سفيان .

الشهامة ومحله من الشرف ومبوءه من الدين ومنزلته من الغيرة
ومرتقاه من السؤدد يوم عبأ الحسين أصحابه فأعطى رايته اخاه
(العباس) مع ان للعباس اخوة من أمه وأبيه وهناك من أولاد أبيه
من لا يسلم اللواء كما ان في الاصحاب من هو أكبر سناً منه مع
صدق المفادات ولكن سيد الشهداء وجد اخاه أبا الفضل اكفى
ممن معه لحملها واحفظهم لدمامه وارأفهم به وادعاهم الى مبدئه
وأوصلهم لرحمه واحماهم لجواره واثبتهم للطعام وأربطهم جأشاً
واشدهم مراساً فكان (صاحب الراية) عند معتقد اخيه الامام
ثابت الجأش في ذلك الموقف الرهيب ثبات الاسد الخادر وهذا
بيان مطرد تلهج به الالسن والا فما موقف الاسد منه ومن أين له
طمأنينة هذا البطل المغوار الثابت فيما يفر عنه الضرغام .

ولولا احتقار الاسد شبهتها به ولكنها معدودة في البهائم
نعم أنسب تشبيه يليق بمقامه انه كان يصول ومعه صولة أبيه
المرتضى .

وللعباس مزية على من حمل اللواء وبارز الابطال وتقدم
للطعان فانه عليه السلام قد ألمت به الكوارث والمحن من نواحي
متعددة من جروح وعطش وفئة صرعى وحرائر ولهى واطفال امض
بها الظما والواحدة منها كافية في ان تهدي الى البطل ضعفاً والى
الباسل فراراً لكن صريخة بني هاشم بالرغم من كل هاتيك الرزايا
كان يزحف بالراية في جحفل من بأسه وصارم من عزمه وكان في
حدّ حسامه الاجل المتاح وملك الموت طوع يمينه اذاً فليس من
الغريب اذا ظهر في غصن الخلافة ما يبهر العقول .

قسماً بصارمه الصقيل وانني
لولا القضا لمحا الوجود بسيفه
في غير صاعقة السما لا اقسام
والله يقضي ما يشاء ويحكم

موقفه قبل الطف

يسترسل بعض الكتاب عن موقفه قبل الطف فيثبت له منازلة الاقران والضرب والظعن وبالغوا في ذلك حتى حكى عن المنتخب انه يقول كان كالجبل العظيم وقلبه كالطود الجسيم لأنه كان فارساً هماماً وجسوراً على الضرب والظعن في ميدان الكفار ويحدث صاحب الكبريت الاحمر ج ٣ ص ٢٤ عن بعض الكتب المعتبرة لتتبع صاحبها انه عليه السلام كان عضداً لأخيه الحسين يوم حمل على الفرات وازاح عنه جيش معاوية وملك الماء .

قال ومما يروى انه في بعض أيام صفين خرج من جيش أمير المؤمنين عليه السلام شاب على وجهه نقاب تعلوه الهيئة وتظهر عليه الشجاعة يقدر عمره بالسبع عشر سنة يطلب المبارزة فهابه الناس وندب معاوية إليه أبا الشعثاء فقال ان أهل الشام يعدونني بألف فارس ولكن أرسل إليه احد اولادي وكانوا سبعة وكلما خرج احد منهم قتله حتى أتى عليهم فساء ذلك أبا الشعثاء وأغضبه ولما برز إليه الحقه بهم فهابه الجمع ولم يجرأ أحد على مبارزته وتعجب أصحاب أمير المؤمنين من هذه البسالة التي لا

تعدو الهاشميين ولم يعرفوه لمكان نقابه ولما رجع الى مقره دعا
أبوه أمير المؤمنين وأزال النقاب عنه فاذا هو « قمر بني هاشم »
ولده العباس عليه السلام .

قال صاحب الكبريت بعد هذه الحكاية وليس ببعيد صحة
الخبر لأن عمره يقدر بالسبع عشر سنة وقد قال الخوارزمي كان
تاماً كاملاً .

وهذا نص الخوارزمي في المناقب ص ١٤٧ خرج من عسكر
معاوية رجل يقال له كريب كان شجاعاً قوياً يأخذ الدرهم فيغمزه
بابهامه فتذهب كتابته فنأدى ليخرج الي علي فبرز إليه مرتفع بن
وضاح الزبيدي فقتله ثم برز إليه شرحبيل بن بكر فقتله ثم برز إليه
الحرث بن الحلاج الشيباني فقتله فساء أمير المؤمنين ذلك فدعا
ولده العباس عليه السلام وكان تاماً كاملاً من الرجال وامره ان
ينزل عن فرسه وينزع ثيابه فلبس علي ثياب ولده العباس وركب
فرسه وألبس ابنه العباس ثيابه واركبه فرسه لثلا يجبن كريب عن
مبارزته اذا عرفه فلما برز إليه أمير المؤمنين ذكره الآخرة وحذره
بأس الله وسخطه فقال كريب لقد قتلت بسيفي هذا كثيراً من
أمثالك ثم حمل علي أمير المؤمنين فاتقاه بالدرقة وضربه علي
رأسه فشقه نصفين ورجع أمير المؤمنين وقال لولده محمد بن
الحنفية قف عند مصرع كريب فان طالب وتره يأتيك فامتثل محمد
أمر أبيه فأتاه أحد بني عمه وسأله عن قاتل كريب قال محمد انا
مكانه فتجاولا ثم قتله محمد وخرج إليه آخر فقتله محمد حتى أتى
علي سبعة منهم .

وفي ص ١٠٥ من المناقب ذكر حديث العباس بن الحارث بن عبد المطلب وقد برز إليه عثمان بن وائل الحميري فقتله العباس فبرز إليه اخوه حمزة وكان شجاعاً قوياً فنهاه أمير المؤمنين عن مبارزته وقال له انزع ثيابك وناولني سلاحك وقف مكانك وأنا اخرج إليه فتنكر أمير المؤمنين وبرز إليه وضربه على رأسه فقطع نصف رأسه ووجهه وابطه وكتفه فتعجب اليمانيون من هذه الضربة وهابوا العباس بن الحارث .

هذا ما حدث به في المناقب ومنه نعرف ان هناك واقعتين جرتا لأمير المؤمنين مع ولده العباس ومع العباس بن الحارث فانكار شيخنا الجليل المحدث النوري في حضور العباس في صفين مدعياً اشتباه الامر على بعض الرواة بالعباس بن الحارث في غير محله فان الحجة على تفنيده الخبر غير تامة لأن آحاد هذا البيت ورجالاتهم قد فاقوا الكل في الفضائل جميعها وجاؤوا بالخوارق في جميع المراتب فليس من البدع اذا صدر من أحدهم ما يمتنع مثله عن الشجعان وان لم يبلغوا مبالغ الرجال .

فهذا القاسم بن الحسن السبط لم يبلغ الحلم يوم الطف وقد ملأ ذلك المشهد الرهيب هيبه واهدى الى قلوب المقارعين فرقاً والى الفرائص ارتعاداً والى النفوس خوراً غير مبال بالجحفل الجرار ولا بمكترث بمزدحم الرجال حتى قتل خمسة وثلاثين فارساً^(١) ويطبع الحال فيهم من هو أقوى منه لكن البسالة وراثة

(١) نفس المهموم ص ١٧٠ وحكى عن أمالي الصدوق انه قتل ثلاثة .

بين اشبال (علي) على حدّ سواء فهم فيها كأسنان المشط
صغيرهم وكبيرهم كما انهم في الانفة عن الدنية سيان فلم يفتالوا
الشبل الباسل حتى وقف يشد شسع نعله وهو لا يزن الحرب الا
بمثله وقد أنف (شبل الوصي) أن يحتفي في الميدان .

أهوى يشد حذاءه والحرب مشرعة لأجله
ليسومها ما ان غلت هيجاؤها بشراك نعله
متقلداً صمصامه متفئياً بظلال نصله
لا تعجبين لفعله فالفرع مرتهن بأصله
السحب يخلفها الحيا والليث منظور بشبله
ردى الطليعة منهم ويريهم آيات فعله^(١)

وهذا عبد الله بن مسلم بن عجيل بن أبي طالب بارز يوم
الطف الالوف مع صغر سنه حتى قتل منهم على رواية محمد بن
أبي طالب ثلاثة وتسعين رجلاً بثلاث حملات .

وهذا محمد بن الحنفية فان له مواقف محمودة في الجمل
وصفين والنهروان وكانت الراية معه فأبلى بلاءً حسناً سجله له
التاريخ وشكره الاسلام وكان صغير السن على ما يظهر من السبط
في تذكرة الخواص وابن كثير في البداية ج ٩ ص ٣٨ فانهما نصا
على وفاته سنة ٨١ عن خمس وستين فتكون ولادته سنة ١٦ وله
يوم البصرة الواقع سنة ٣٦ عشرون سنة .

(١) للعلامة السيد مير علي أبو طيخ رحمه الله .

وحيثُذِ فلا غرابة في التحدث عن موقف أبي الفضل وما
أبداه من كر واقدام خصوصاً بعدما أوقفنا النص النبوي الآتي على
ما حواه ولد أبي طالب من بسالة وبطولة .

وأما يوم شهادة أخيه الامام المجتبي فله أربع وعشرون سنة
وقد ذكر صاحب كتاب (قمر بني هاشم) ص ٨٤ انه لما رأى
جنازة سيد شباب أهل الجنة ترمى بالسهم عظم عليه الأمر ولم
يطلق صبراً دون ان جرّد سيفه وأراد البطش بأصحاب (البغلة)
لولا كراهية السبط الشهيد الحرب عملاً بوصية أخيه (لا تهرق من
أمري محجمة من دم) فصبر أبو الفضل على احتر من جمر الغضا
ينتظر الفرصة ويتربقب الوعد الالهي فاجهد النفس وبذل النفس
في مشهد (النواويس) وحاز كلتا الحسينين .

موقفه في الطف

ربما يستعصي البيان عن الافاضة في القول في هذا الفصل لشدة وضوحه وربما اعقب الظهور خفاء فان من أبرز الصفات الحميدة في الهاشميين الشجاعة وقد جبلوا عليها وبالاخص الطالبين وقد اوقفنا على هذه الظاهرة الحديث النبوي « لو ولد الناس أبو طالب كلهم لكانوا شجعاناً »^(١) إذاً فما ظنك بطالبي أبوه أمير المؤمنين قاتل عمر بن عبد ود ومزهق مرحب وقالع باب خيبر وقد عرق في ولده البسالة كلها والشهامة بأسرها وعلمه قراع الكتائب فنشأ بين حروب طاحنة وغارات شعواء وخؤلته العامريون الذين شهد لهم عقيل بالفروسية وللخؤولة كالعومة عرق ضارب في الولد ومن هنا قالت العرب فلان معم مخول اذا كان كريمهم وحوى المزايا الحميدة عنهما^(٢) ولم يعقد أمير المؤمنين على ام

(١) غرر الخصاص للوطواط ص ١٧ في باب حفظ الجوار.

(٢) تاج العروس ج ٧ ص ٣١٢ وج ٨ ص ٤٠٠ وقد نظم هذه الخاصة أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي المتوفى سنة ٣٧٣ ففي معجم البلدان ج ١ ص ٦٣ بمادة امل انه قال :
بأمل مولدي وبنو جرير فاخوالي ويحكى المرء خاله
فها انا رافضي عن تراث وغيري رافضي عن كلاله =

البنين الا لتلد له هذا الفارس المغوار والبطل المجرب فما
اخطأت ارادته الغرض ولا عدى سهمه المرمى .

فكان أبو الفضل رمز البطولة ومثال الصولات يلوح البأس
على أسارير جبهته فاذا يمم كميأ قصده الموت معه أو التقى
بمقبل ولاء دبره ولم يبرح هكذا تشكوه الحرب والضرب وتشكوه
الهامات والاعناق ما خاض ملحمة الا وكان ليلها المعتكر ولم
يلف في معركة الا وقابل ببشره وجهها المكفهر .

يمثل الكرار في كراته بل في المعاني الغر من صفاته
ليس يد الله سوى أبيه وقدرة الله تجلت فيه
فهو يد الله وهذا ساعده تغنيك عن اثباته مشاهده
صولته عند النزال صولته لولا الغلو قلت جلت قدرته

وهل في وسع الشاعر ان ينضد خياله أو يتسنى للكاتب ان
يسترسل في وصف تلك البسالة الحيدرية وجوهر الحقيقة قائم
بنفسه مائل أمام الباحث بأجلى من كل هاتيك المعارف في مشهد
يوم الطف .

ولعمري ان حديث كربلا لم يبق لسابق في الشجاعة سبقاً
ولا للاحق طريقاً الا الالتحاق به فلقد استملينا اخبار الشجعان في

= عرض بابن جرير صاحب التاريخ فانه اخوامه وكان من أهل السنة وانما نسبة الى
التشيع الحنابلة لتصحيحه حديث الغدير فتشيعه ادعائي وهو المعبر عنه (بالكلالة) فانها في
اللغة ما لم يكن من النسب لحأ فقول الحموي في المعجم كذب الخوارزمي لان ابن جرير من
اعلام السنة مبني على عدم فهمه الغرض من البيت فالخوارزمي لم يعترف بتشيعه .

الحروب والمغازي يوم شأوا الاقران في الفروسية فلم يعدهم في الغالب الاستظهار بالعدد وتوفر العتاد وتهيء ممدات الحياة من المطعم والمشرب وفي المغالب ان الكفاية بين الجيشين المتقابلين موجودة .

يترسل المؤرخون لذكر شجعان الجاهلية والحالة كما وصفناها واهتزوا طرباً لقصة ربيعة بن مكرم وهي ان ربيعة بن مكرم بن عامر بن حرثان من بني مالك بن كنانة كان احد فرسان مضر المعدودين خرج بالضعينة وفيها امه ام سنان من بني أشجع بن عامر بن ليث بن بكر بن كنانة واخته أم عزة واخوه أبو القرعة ورأى الضعينة دريد بن الصمة فقال لرجل معه صح بالرجل ان خل الضعينة وانج بنفسك وهو لا يعرفه فلما رأى ربيعة ان الرجل قد ألح عليه ألقى زمام الناقة وحمل على الرجل فصرعه فبعث دريد آخر فصرعه ربيعة فبعث الثالث ليعلم خبر الأولين فقتله ربيعة وقد انكسر رمحه فلما وافاه دريد ورأى الثلاثة صرعى ورمحه مكسوراً قال له يا فتى مثلك لا يقتل وهؤلاء يثأرون ولا رمح لك ولكن خذ رمحي وانج بنفسك والضعينة ثم دفع إليه رمحه ورجع دريد الى القوم واعلمهم ان الرجل قتل الثلاثة وغلبه على رمحه وقد منع بالضعينة فلا طمع لكم فيه^(١) .

هذا الذي حفظته السيرة ماثرة لربيعة بن مكرم بتهالكه دون الضعائن حتى انكسر رمحه ولكن أين هو من (حامي الضعينة)

(١) امالي القالي ج ٢ ص ٢٧١ والسمط ج ٢ ص ٩١٠ والاغاني ج ١٤ ص ١٢٩ .

يوم قاتل الالوف وزعزع الصفوف عن المشرعة حتى ملك الماء
وملاً القربة والكل يرونه ويحذرونه واني لربيعه من بواسل ذلك
المشهد الرهيب فضلاً عن سيدهم أبي الفضل فلقد كان جامع
رايهم فلم يقدمهم الا الى مجل الشرف منكباً بهم عن خطة
الخسف والضعة على حين ان الابطال تتقاذف بهم سكرات الموت
هذا وللسيط المقدس طرف شاخص الى صنوه البطل المقدم
كيف يرسب ويطفو بين بهم الرجال ووجهه متهلل لكراته ولحرائر
بيت النبوة أمل موطن لحامية الضعائن .

وإليك مثلاً من بسالته الموصوفة في ذلك المشهد الدامي
وهي لا تدعك الا مدعناً بما له من ثبات ممنوع عند الهزاهز
وطمأنينة لدى الاهوال .

الأول - في اليوم السابع من المحرم حوصر سيد الشهداء
ومن معه وسد عنهم باب الورد ونفذ ما عندهم من الماء فعاد كل
منهم يعالج لهب الاوام^(١) ويطبع الحال كانوا بين أنة وحنة وتضور
ونشيج ومتطلب للماء الى متحر ما يبيل غلته وكل ذلك بعين (أبي
علي) والغيارى من آله والاكارم من صحبه وما عسى أن يجدوا
لهم وبينهم وبين الماء رماح مشرعة وبوارق مرهفة في جمع كثيف
يرأسهم عمرو بن الحجاج لكن (ساقى العطاشى) لم يتطامن
على تحمل تلك الحالة .

أوتشتكي العطش الفواطم عنده وبصدر سعدته الفرات المفعم

(١) مقتل محمد بن أبي طالب .

ولو استقى نهر المحمرة لارتقى وطويل ذابله اليها سلم
لو سد ذو القرنين دون وروده نسفته همته بما هو اعظم
في كفه اليسرى السقاء يقله وبكفه اليمنى الحسام المخدم
مثل السحابة للفواطم صوبه فيصيب حاصبه العدو فيرجم

هناك قبض الحسين لهذه المهمة اخاه العباس في حين ان
نفسه الكريمة تنازعه الى ذلك قبل الطلب ويحدوه اليه حفاظه
المر فأمره ان يستقي للحرائر والصبية وان كان دونه شق المرائر
وسفك المهج وضم اليه ثلاثين فارساً وعشرين راجاً وبعث معهم
عشرين قرية وتقدم امامهم نافع بن هلال الجملي فمضوا غير
مبالين وكل بحفظ الشريعة لأنهم محتفون بشتيم من آل محمد
فتقدم نافع باللواء وصاحب به عمرو بن الحجاج من الرجل وما
جاء بك قال جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه فقال له
اشرب هنيئاً قال نافع لا والله لا اشرب منه قطرة والحسين ومن
ترى من آله وصحبه عطاشا .

فقال لا سبيل الى سقي هؤلاء وانما وضعنا هاهنا لنمنعهم
الماء ثم صاح نافع بأصحابه املاؤا قربكم وشد عليهم اصحاب
ابن الحجاج فكان بعض القوم يملأ القرب وبعض يقاتل وحاميهم
(ابن بجدها) مسدد الكماة المترابي في حجر البسالة الحيدرية
والمرتضع من لبانها (أبو الفضل) فجاءوا بالماء وليس في القوم
المناوئين من تحدثه نفسه بالذنو منهم فرقاً من ذلك البطل المغوار
فبليت غلة الحرائر والصبية الطيبة من ذلك الماء وابتهجت به

النفوس (١) .

ولكن لا يفوت القارىء معرفة ان تلك الكمية القليلة من الماء ما عسى أن تجدي أولئك الجمع الذي هو أكثر من مائة وخمسين رجلاً ونساء واطفالاً او انهم ينيفون على المائتين على بعض الروايات ومن المقطوع به انه لم ترو أكبادهم الا مرة واحدة او انها كمصة الوشل فسرعان ان عاد إليهم الظما والى الله سبحانه المشتكى .

الثاني - كان أصحاب الحسين عليه السلام بعد الحملة الاولى التي استشهد فيها خمسون الاثنان والثلاثة والاربعة وكل يحمي الآخر من كيد عدوه فخرج الجابريان وقاتلا حتى قتلوا وخرج الغفاريان فقاتلا معاً حتى قتلوا وقاتل الحر الرياحي ومعه زهير بن القين يحمي ظهره حتى فعلا ذلك ساعة فكان اذا شد احدهما واستلحم شد الآخر واستنقذه حتى قتل الحر (٢) .

وفي تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٥٥ ان عمرو بن خالد الصيداوي وسعد مولاه وجابر بن الحارث السلماني ومجمع بن عبد الله العائذي شدوا جميعاً على أهل الكوفة فلما اوغلوا فيهم عطف عليهم الناس من كل جانب وقطعوهم عن اصحابهم فندب إليهم الحسين اخاه العباس فاستنقذهم بسيفه وقد جرحوا بأجمعهم

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٣٤ والاخبار الطوال ص ٥٣ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٥٢ .

وفي اثناء الطريق اقترب منهم العدو فشدوا بأسيافهم مع ما بهم
من الجراح وقاتلوا حتى قتلوا في مكان واحد وفازوا بالسعادة
الخالدة .

الشهادة

لم يفتأ قمر بني هاشم دؤب على مناصرة الحق في شمم
واباء عن النزول على حكم الدنيا منذ كان يرتضع لبان البسالة
وتربي في حجر الامامة فترعرع ونصب عينه امثلة الشجاعة
والتضحية دون النواميس الالهية لمطاردة الرجال ومجالدة الابطال
فاما فوز بالظفر أو ظفر بالشهادة فمن الصعب عنده النزول على
الضيم وهو يرى الموت تحت مشتبك الاسنة اسعد من حياة تحت
الاضطهاد فكان لا يرى للبقاء قيمة (وامام الحق) مكذور وعقائل
بيت الوحي قد بلغ منهن الكرب كل مبلغ ولكن لما كان سلام الله
عليه انفس الذخائر عند السبط الشهيد واعز حامته لديه وطمانينة
الحرم بوجوده وبسيفه الشاهر ولوائه الخفاق وبطولته المعلومه لم
يأذن له الى النفس الاخير من النهضة المقدسة فلا الحسين يسمح
به ولا العائلة الكريمة تألف بغيره ولا الحالة تدعه لئن يغادر حرائر
أبيه بين الوحوش الكواسر .

هكذا كان أبو الفضل بين نزوع الى الكفاح بمقتضى
غريزته وتأخر عن الحركة لباعث ديني وهو طاعة الامام عليه

السلام حتى بلغ الامر نصابه فلم يكن لجاذب الغيرة او دافعها مكافىء وكان ملؤ سمعه ضوضاء الحرم من العطش تارة ومن البلاء المقبل اخرى (ومركز الامامة) دارت عليه الدوائر وتقطعت عنه خطوط المدد وتفانى صحبه وذووه هنالك هاج (صاحب اللواء) ولا يلحقه الليث عند الهياج فمثل أمام أخيه الشهيد يستأذنه فلم يجد أبو عبد الله بدأ من الاذن حيث وجد نفسه لتسبق جسمه اذ ليس في وسعه البقاء على تلك الكوارث الملمة من دون أن يأخذ ثاره من أولئك المردة فعرفه الحسين انه مهما ينظر اللواء مرفوعاً كأنه يرى العسكر متصلاً والمدد متتابعاً والاعداء تحذر صولته وترهب اقدامه وحرائر النبوة مطمئنة بوجوده فقال له « انت صاحب لوائي » ولكن اطلب لهؤلاء الاطفال قليلاً من الماء فذهب العباس الى القوم ووعظهم وحذرهم غضب الجبار فلم ينفع فرجع الى اخيه واخبره فسمع الاطفال يتصارخون من العطش فنهضت (بساقي العطاشى) غيرته السماء واخذ القربة وركب فرسه وقصد الفرات فلم يرعه الجمع المتكاثرو وكشفهم شبل علي عن الماء وملك الشريعة ومذاحس بيرده تذكر عطش الحسين فرأى من واجبه ترك الشرب لأن الامام ومن معه اضربهم العطش فرمى الماء من يده^(١) واسرع بالقربة محافظاً على مهجة الامام ولو في أن يسير وقال^(٢) :

(١) البحار ج ١ ومقتل العوالم ص ٩٤ عن بعض التأليفات .

(٢) أسرار الشهادة ص ٣٢٢ .

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت ان تكوني
هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين
تالله ما هذا فعال ديني

فتكاثروا عليه وقطعوا طريقه فلم يبال بهم وجعل يضرب
فيهم بسيفه ويقول :

لا أرهب الموت اذا الموت زقا حتى أوارى في المصاليت لقا
اني أنا العباس اغدو بالسقا ولا اهاب الموت يوم الملتقى

فكمن له زيد بن الرقاد الجهني وعاونه حكيم بن الطفيل
السنبسي فضربه على يمينه فقطعها فأخذ السيف بشماله وجعل
يضرب فيهم ويقول :

والله ان قطعتموا يميني اني احامي أبداً عن ديني
وعن امام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الامين

فكمن له حكيم بن الطفيل من وراء نخلة فضربه على
شماله فبراها فضم اللواء الى صدره .

فعند ذلك أمنوا سطوته وتكاثروا عليه وأتته سهام كالمطر
فأصاب القربة سهم واريق ماؤها وسهم اصاب صدره وسهم
أصاب عينه وحمل عليه رجل بعمود من حديد وضربه على رأسه
المقدس .

وهو بجنب العلقمي فليته للشاربين به يداف العلقم

ونادى بصوت عال عليك مني السلام يا أبا عبد الله (١) فأتاه
الحسين عليه السلام ويا ليتني علمت بماذا أتاه أبحياة مستطارة
منه بذلك الفادح الجلل أو بجاذب من الاخوة الى مصرع صنوه
المحبيب نعم حصل الحسين عنده وهو يبصر هيكل البسالة
وقربان القداسة فوق الصعيد وقد غشيته الدماء السائلة وجللته
النبال ورأى ذلك الغصن الباسق قد ألم به الذبول فلا يمين تبطش
ولا منطق يرتجز ولا صولة ترهب ولا عين تبصر ومرتكز الدماغ
على الارض مبدد .

أصحيح ان الحسين ينظر الى تلکم الفجائع ومعه حياة
تقدمه او عافية تنهض به لا و الله لم يبق الحسين بعد أبي الفضل
الا هيكلأ شاخصاً معرى عن لوازم الحياة وقد اعرب سلام الله
عليه عن هذا الحال بقوله « الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي
وشمت بي عدوي » .

وبان الانكسار في جبينه فانكدت الجبال من حنينة
كافل أهله وساقى صبيته وحامل اللوا بعالي همته
وكيف لا وهو جمال بهجته وفي محياه سرور مهجته

ورجع الى المخيم منكسراً حزيناً باكياً يكفكف دموعه بكمه
كي لا تراه النساء (٢) وقد تدافعت الرجال على مخيمه فنادى
بصوت عال أما من مجير يجيرنا أما من مغيث يغيثنا أما من طالب

(١) تظلم الزهراء ص ١٢٠ .

(٢) الكبريت الاحمر ص ١٥٩ عن اكسير العبادة .

حق ينصرنا أما من خائف من النار فيذب عنا .

كل هذا : لا بلاغ الحجة واقامة العذر حتى لا يعتذر احد بالغفلة يوم يقوم الناس لرب العالمين .

ولما رآته سكينه مقبلاً اخذت بعنان جواده وقالت أين عمي العباس أراه أبطأ بالماء فقال لها ان عمك قتل فسمعتة زينب فنادت وأخاه واعباساه واضيعتنا بعدك وبكين النسوة وبكى الحسين معهن ونادى واضيعتنا بعدك أبا الفضل .

ونادى بصوت عال عليك مَنّي السلام يا أبا عبد الله ^(١) فأتاه
الحسين عليه السلام ويا ليتني علمت بماذا أتاه أبحياة مستطارة
منه بذلك الفادح الجلل أو بجاذب من الاخوة الى مصرع صنوه
المحبيب نعم حصل الحسين عنده وهو يبصر هيكل البسالة
وقربان القداسة فوق الصعيد وقد غشيته الدماء السائلة وجللته
النبال ورأى ذلك الغصن الباسق قد ألم به الذبول فلا يمين تبطش
ولا منطق يرتجز ولا صولة ترهب ولا عين تبصر ومرتكز الدماغ
على الارض مبدد .

أصحیح ان الحسين ينظر الى تلکم الفجائع ومعه حياة
تقدمه او عافية تنهض به لا والله لم يبق الحسين بعد أبي الفضل
الا هيكلًا شاخصاً معرى عن لوازم الحياة وقد اعرب سلام الله
عليه عن هذا الحال بقوله « الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي
وشمت بي عدوي » .

وبان الانكسار في جبينه فانكدت الجبال من حنينة
كافل أهله وساقى صبيته وحامل اللوا بعالي همته
وكيف لا وهو جمال بهجته وفي محياه سرور مهجته

ورجع الى المخيم منكسراً حزيناً باكياً يكفكف دموعه بكمه
كي لا تراه النساء ^(٢) وقد تدافعت الرجال على مخيمه فنادى
بصوت عال أما من مجير يجيرنا أما من مغيث يغيثنا أما من طالب

(١) تظلم الزهراء ص ١٢٠ .

(٢) الكبريت الاحمر ص ١٥٩ عن اكسير العبادة .

حق ينصرنا أما من خائف من النار فيذب عنا .

كل هذا : لا بلاغ الحجة واقامة العذر حتى لا يعتذر احد
بالغفلة يوم يقوم الناس لرب العالمين .

ولما رآته سكينه مقبلاً اخذت بعنان جواده وقالت أين عمي
العباس أراه أبطأ بالماء فقال لها ان عمك قتل فسمعتة زينب
فنادت وأخاه واعباساه واضيعتنا بعدك وبكين النسوة وبكى
الحسين معهن ونادى واضيعتنا بعدك أبا الفضل .

المشهد المطهر

مما لا شك فيه ان الامام الشهيد ابا عبد الله عليه السلام لم يترك القتلى في حومة الميدان وانما كان يأمر بحملهم الى الفسطاط الذي يقاتلون دونه وهذا وان لم نجده صريحاً في كل واحد من المستشهدين الا ان التأمل فيما يؤثر في الواقعة يقتضيه وان طبع الحال يستدعيه ويؤيده ما في البحار من حمل الحر حتى وضع بين يدي الحسين وعند سقوط عليّ الأكبر امر الحسين فتيانه ان يحملوه الى الفسطاط الذي يقاتلون دونه وقد حمل القاسم بنفسه المقدسة حتى وضعه مع ابنه الأكبر وقتلى حوله من أهل بيته .

هذا لفظ ابن جرير وابن الاثير ومن البعيد جداً أن يحمل سيد الشهداء أهل بيته خاصة الى الفسطاط ويترك أولئك الصفوة الاكارم الذين قال فيهم « لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي » ففضلهم على كل احد حتى على اصحاب جده وأبيه وان كل احد لا يرضى من نفسه هذه الفعلة فكيف بذلك السيد الكريم الذي علم الناس الشمم والاباء والغيرة .

على ان الفاضل القزويني يحكي في تظلم الزهراء ص ١١٨
عن غيبة النعماني ان ابا جعفر الباقر عليه السلام يقول كان
الحسين يضع قتلاه بعضهم مع بعض ويقول قتلة مثل قتلة النبيين
وآل النبيين . .

نعم مما لا شك فيه انه عليه السلام ترك اخاه العباس في
محل سقوطه قريباً من المسناة لا لما يمضي في بعض الكتب من
كثرة الجروح وتقطع الاوصال فلم يقدر على حمله^(١) لان في وسع
الامام أن يحرك ذلك الشلو الموضع الى حيث أراد ومتى شاء .

ولا لما قيل من ان العباس اقسم عليه بجده الرسول ان
يتركه في مكانه لأنه وعد سكينه بالماء ويستحي منها^(٢) لعدم
الشاهد الواضح على كل منهما .

بل انما تركه لسر دقيق ونكتة لا تخفى على المتأمل ومن له
ذوق سليم ولولاه لم يعجز الامام عن حمله مهما يكن الحال وقد
كشفت الايام عن ذلك السر المصون وهو ان يكون له مشهد
يقصد بالحوائج والزيارات وبقعة يزدلف إليها الناس وتتزلف الى
المولى سبحانه تحت قبته التي تحك السماء رفعة وسناء فتظهر
هنالك الكرامات الباهرة وتعرف الامة مكانته السامية ومنزلته عند
الله فتقدره حق قدره وتؤدي ما وجب عليهم من الحب المتأكد
والزورة المتواصلة ويكون عليه السلام حلقة الوصل بينهم وبين

(١) الدمعة الساكبة ص ٣٣٧ عن بعض التأليفات .

(٢) الكبريت الاحمر ج ١ ص ١٥٨ . عن اكسير العبادات .

الله تعالى وسبب الزلغى لديه .

فشاء المهيمن تعالى شأنه وشاء وليه وحجته أن تكون منزلة
أبي الفضل الظاهرية شبيهة بالمنزلة المعنوية الاخروية فكان كما
شاء وأحبا .

ولو حمله سيد الشهداء الى حيث مجتمع الشهداء في
الحائر الاقدس لغمره فضل الامام الحجة عليه السلام ولم تظهر له
هذه المنزلة التي ضاهت منزلة الحجج الطاهرين خصوصاً بعدما
اكد ذلك الامام الصادق عليه السلام بافراد زيارة مختصة به واذناً
بالدخول الى حرمة الاطهر كما شرع ذلك لأئمة الهدى غير ما يزار
جميع الشهداء بلفظ واحد وليس هو الا لمزايا اختصت به .

وقد ارشدتنا آثار أهل البيت على هذا الموضع من مرقد
الطيب ففي كامل الزيارة لابن قولويه ص ٢٥٦ بسند صحيح عن
أبي حمزة الثمالي عن الصادق عليه السلام قال «إذا أردت زيارة
العباس بن علي وهو على شط الفرات بحذاء الحير فقف على
باب السقيفة وقل سلام الله وسلام ملائكته الخ» .

وحكى المجلسي أعلى الله مقامه في مزار البحار عن الشيخ
المفيد وابن المشهدي زيارة اخرى له في هذا المشهد الذي أشار
إليه الصادق برواية غير مقيدة بوقت من الاوقات .

وهكذا حكي عن المفيد والشهيد والسيد ابن طاووس في
زيارة النصف من رجب وليلة القدر ويومي العيدين ومثله العلامة
النوري في (تحية الزائر) .

وعبارة المفيد في الارشاد صرحية فيما نصت به رواية ابي حمزة الشمالي فانه قال عند ذكر من قتل من آل الحسين « وكلهم مدفونون مما يلي رجلي الحسين في مشهده حفر لهم حفيرة والقوا فيها جميعاً الا العباس بن علي فانه دفن في موضع مقتله على المسناة بطريق الغاضرية وقبره ظاهر وليس لقبور اخوته واهله الذين سميناهم اثر وانما يزورهم الزائر من عند قبر الحسين ويومي الى الارض التي نحو رجليه بالسلام عليهم وعلى ابن الحسين في جملتهم ويقال انه اقربهم دفناً الى الحسين فاما اصحاب الحسين الذين قتلوا معه فانهم دفنوا حوله ولسنا نحصل لهم اجداناً على التحقيق، الا انا لا نشك ان الحائر محيط بهم » .

وعلى هذا مشى العلماء المحققون والمنقبون في الآثار من كون مشهده بحذاء الحائر الشريف قريباً من شط الفرات نص عليه الطبرسي في اعلام الوري ص ١٤٧ والسيد الجزائري في الانوار النعمانية ص ٣٤٤ والشيخ الطريحي في المنتخب والسيد الداودي في عمدة الطالب ص ٣٤٩ وحكاه في رياض الاحزان ص ٣٩ عن كامل السقيفة .

وهو الظاهر من ابن ادريس في السرائر والعلامة في المنتهى والشهيد الاول في مزار الدروس والاردبيلي في شرح الارشاد والسبزواري في الذخيرة والشيخ آغا رضا في مصباح الفقيه فانهم نقلوا كلام المفيد ساكتين عليه .

ملاحظة

تقدم في نقل البحار ان الحر الرياحي حمل من الميدان ووضع امام الحسين وعليه يكون مدفوناً في الحاير الاظهر ولكن نبي الكبريت الاحمر ج ٣ ص ١٢٤ جاءت الرواية عن مدينة العلم للسيد الجزائري ان السجاد دفنه في موضعه منحازاً عن الشهداء وفي ص ٧٥ ذكر ان جماعة من عشيرته نقلوه عن مصرع الشهداء لثلا يوطاً بالخييل الى حيث مشهده ويقال ان امه كانت معه فأبعدته عن مجتمع الشهداء .

وإذا صح حمل العشيرة اياه الى حيث مشهده فلا يتم ما في مدينة العلم من دفن السجاد له فانه من البعيد جداً ان تحمله العشيرة ثم تترك عميدها في البيداء عرضة للوحوش بل لم يعهد ذلك في أي امة وملة .

وعلى كل فهذا المشهد المعروف له مما لا ريب في صحته للسيرة المستمرة بين الشيعة على زيارته في هذا المكان وفيهم العلماء والمتدينون ويظهر من الشهيد الاول المصادقة عليه فانه قال في مزار الدروس « واذا زار الحسين فليزر علي بن الحسين

وهو الأكبر على الأصح وليزر الشهداء وإخاه العباس والحر بن يزيد « ووافقه العلامة النوري في اللؤلؤ والمرجان ص ١١٥ واعتماد السلطنة محمد حسن المراغي من رجال العهد الناصري في حجة السعادة على حجة الشهادة ٥٦ طبع تبريز .

وقال المجلسي في مزار البحار عند قوله عليه السلام في زيارة الشهداء العامة « فان هناك حومة الشهداء » المراد منه معظمهم او أكثرهم لخروج العباس والحر عنهم ويشهد له ما في الانوار النعمانية ص ٣٤٥ ان الشاه اسماعيل لما ملك بغداد وزار قبر الحسين وبلغه طعن بعض العلماء على الحر أمر بنيشه لكشف الحقيقة ولما نبشوه رآه بهيئته لما قتل ورأى على رأسه عصابة قيل له انها للحسين فلما حلها نبع الدم كالميزاب وكلما عالج قطعه غيرها لم يتمكن فاعادها الى محلها وتبينت الحقيقة فبنى عليه قبة وعين له خادماً واجرى لها وقفاً .

الحائر

جاء في حديث الصادق عليه السلام لفظ الحير فانه قال :

« وهو على شط الفرات بحذاء الحير » والحير بالفتح
فالسكون كالحائر هو المكان المنخفض الذي يسيل إليه ماء
الامطار ويجتمع فيه ^(١) وفي تاج العروس بمادة حور . الحائر اسم
موضع فيه مشهد الامام المظلوم الشهيد أبي عبد الله الحسين .

ولم تحدث التسمية بالحائر من استدارة الماء حول القبر
المقدس حين اجري عليه بأمر المتوكل العباسي لان لفظ الحائر
والحير وقع في لسان الصادق والكاظم قبل استخلاف المتوكل .

نعم ان الله سبحانه أكرم حجته ووليه المذبوح دون دينه
القيوم ممنوعاً من ورود الماء الذي جعل شرع سواء لعامة
المخلوقات باستدارة الماء حول قبره يوم اجري عليه لاعفاء أثره
ومحورسمه (ولن يزداد أثره الا علواً) .

ولقد شعت هذه الآية الباهرة فاستضاءت منها الحقب

(١) نصّ عليه في الصحاح والمصباح والقاموس ومعجم البلدان .

والاعوام واهتزت لها الاندية والمحافل ارتياحاً وتناقلها العلماء المنقبون في جوامهم منهم الشهيد الأول في الذكرى والاردبيلي في شرح الارشاد والسبزواري في الذخيرة والشيخ الطريحي في المنتخب والشيخ المحقق في الجواهر .

وكم لآل الرسول من براهين كاثرت النجوم بكثرتها وقد اجتهد أهل العناد في اغفالها او افتعال نظائرها لأئمتهم حقداً وحسداً ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره﴾ .

من يباريهم وفي الشمس معنى	مجهد متعب لمن باراها
ورثوا من محمد سبق أولاً	ها وحازوا ما لم تحز اخرها
قادة علمهم ورأي حجاهم	مسمعاً كل حكمة منظراها
علماء أئمة حكماء	يهتدي النجم باتباع هداها

يتحدث الياضي في مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٧٣ عن كرامة لاحمد بن حنبل فيقول زادت دجلة زيادة مفرطة حتى خربت مقبرة أحمد بن حنبل سوى البيت الذي فيه ضريحه فان الماء دخل في الدهليز علو ذراع ووقف بإذن الله وبقيت البواري عليها الغبار حول القبر صبح الخبر .

هكذا يرتاح لهذه الكرامة ويصحح الخبر ولكنه يتوقف عن اثبات تلك الكرامة لسيد شباب أهل الجنة وفلذة كبد الاسلام وريحانة النبي الأعظم .

وما ادري بماذا يعتذر يوم جرفت دجلة قبر ابن حنبل ومحت

أثره حتى لم يعرف له ضريح الى اليوم^(١) .

وقد اجاد العلامة الشيخ محمد السماوي اذ يقول :

ألا من عذيري يا بني العلم والحجى من اليافعي الحنبلي المجلل
يكذبني ان قلت قبر ابن فاطم عليه استدار الماء للمتوكل
ويزعم حار الماء ولم تجل غبرة على حصر كانت بقبر ابن حنبل
وان لأمثال ذلك في كتبهم انشئء الكثير أرادوا به المقابلة
لما صدر من آل النبي المعصومين والاشارة الى بعض ما أوقفنا
البحث عليه وان يخرجنا عن وضع الرسالة الا ان الغرض تعريف
القارىء بأن العداة كيف يأخذ بالشخص الى انكار البديهي
والتعامي عن النيرات .

ذكر اليافعي في مرآة الجنان ج ٣ ص ١١٣ ان أبا اسحق
الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هجرية لما ورد بلاد العجم خرج
أهلها اليه بنسائهم واطفالهم للتبرك به فكانوا يمسحون أردانهم به
ويأخذون من تراب نعله فيسشفون به .

واذا صح مثل هذا فلماذا كان الاستشفاء بتربة الحسين وهو
سيد شباب أهل الجنة بدعة وضلالة .

ثم في ج ٣ ص ١٣٣ منه يعد من فضائل احمد وكراماته وما
حباه الله عن خدمته في الدين ان ابراهيم الحربي رأى في المنام
بشر الحافي خارجاً من مسجد الرصافة وفي كفه شيء فسأله عنه

(١) بغداد في عهد العباسيين ص ١٤٦ .

فقال لما قدم علينا روح احمد بن حنبل، نشر عليه الدر والياقوت
فهذا مما التقطته .

أصحیح ان تعد هذه الرؤيا من الكرامات ويعد من الباطل
حديث الرسول الاعظم في حق سيد الوصيين ومن هو منه بمنزلة
هارون من موسى ولولاه لما قام للدين عمود ولما اخضر له عود
وذلك لما تزوج أمير المؤمنين من سيدة نساء العالمين بأن الله
تعالى أمر شجرة طوبى أن تحمل صكاً فيها براءة لمحبي علي
وفاطمة من النار وأنشأ تحتها ملائكة التقطوا ما نثرته عليهم
يحفظونه الى يوم القيامة كرامة لعلي وفاطمة .

ثم يرمي راوي هذه الكرامة بالجهالة والرفض ويعد الحديث
من الموضوعات^(١) مع شهرة الحديث بين المحدثين والمنقبين في
الآثار .

وجاء السبكي فعد في طبقات الشافعية ج ١ ص ٢١٥ من
فضائل احمد بن نصر الخزاعي الذي قتله الواثق على مسألة خلق
القرآن تكلم رأسه بالقرآن لما قطع وبقي يقرأه الى ان ألحق
بالجسد ودفن .

واذ سمعوا بأن رأس الحسين الذي قتل في سبيل الدعوة
الالهية واحياء الدين يتكلم بالقرآن لاتمام الحجة وتعريفاً للامة
طغيان أولئك الامراء ولثلا تذهب تلك التضحية المقدسة ادراج

(١) اللثاء المصنوعة للسيوطي ج ١ ص ١٩٨ .

التمويهات طعنوا في الحديث ونسبوا راويه الى الرفض والجهالة مع ان الحسين لم يخرج عن كونه ابن الرسول وقد شهد الصادق الامين له ولأخيه المجتبي بانهما اماما هذه الامة ان قاما وان قعدا وانهما سيدا شباب أهل الجنة ولم يخرج اشراً ولا بطراً ولا ظالماً للعباد ولا غاصباً للحقوق .

ولم يقتنع بذلك حتى ادعى كرامة لاسماعيل الحضرمي وانها من المستفيض قال في ج ٥ ص ٥١ من طبقات الشافعية ان اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الحضرمي كان في سفر ومعه خادمه فأشرفت الشمس على الغروب فقال لخادمه قل للشمس تقف حتى نصل المنزل ونصلي فقال الخادم ان الفقيه اسماعيل يقول لك قف فوقفت حتى بلغ المنزل وصلى ثم قال للخادم اما تطلق ذلك المحبوس فأمرها الخادم بالغروب فغابت واظلم الليل في الحال .

هكذا يقول الخبر من المستفيض في رجل قصارى ما يتخيل فيه انه احد الأولياء وينكر حديث رد الشمس لامير المؤمنين وكان من أعلام النبوة .

ويرتاح الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ٤ ص ٤٢٣ الى حديث الوركاني بوقوع المآثم والنوح في أربعة اصناف من الناس المسلمين واليهود والنصارى والمجوس يوم وفاة احمد بن حنبل .

ولا يكون هذا من البدعة والشناعة والخروج عن اخلاق المؤمنين كما تحاملوا بذلك على الشيعة في اقامتهم المآثم والنياحة على سليل الرسول وريحانته حتى قال الغزالي في

مكاشفة القلوب ص ١٨٧ « إياك أن تشتغل ببدع الرافضة من الندب والنياحة والحزن فان ذلك ليس من اخلاق المؤمنين » .

وضرب على وتره غير واحد من المؤرخين وما ذنب الشيعة والمشرع الأعظم بكى على ولده الحسين وهو حي يرزق لمجرد تذكر ما يجري عليه فيخرج الى المسجد ودموعه جارية فتبكي الصحابة لبكائه وفيهم أبو بكر وعمر وأبو ذر وعمار ويسأل عن سبب بكائه فيقول الآن حدثني جبرائيل بما يجري على الحسين (١) .

ويمر أمير المؤمنين بوادي كربلاء في ذهابه الى صفين فيقف هناك ويرسل عبرته ويقول هذا مناخ ركابهم ومهراق دمائهم طوبى لك من تربة تراق عليك دماء الاحبة (٢) .

اذن فهلا تحسن مواسة صاحب الشريعة ووصيه المقدم بعد وقوع الحادثة على فلذة كبده صاحب النهضة المقدسة والله عز وجل يقول ﴿ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ .

على ان الاحاديث الصحيحة عندهم عن أئمتهم تحثهم على التظاهر بما فيه احياء أمرهم من الدعوة الى سبيل الدين واظهار الجزع والبكاء والنوح على سيد شباب أهل الجنة .

ويقول الامام الصادق عليه السلام في دعائه الطويل وهو

ساجد .

(١) اعلام النبوة للماوردي ص ٥٣ والخصائص الكبرى للسيوطي ج ٢ ص ١٢٥ .

(٢) قرب الاسناد .

« اللهم ارحم تلك الصرخة التي كانت لنا اللهم ان اعدائنا عابوا عليهم خروجهم الينا فلم ينههم ذلك عن الشخصوص الينا رغبة في برنا وصلة لرسولك وخلافاً منهم على ما خالفنا اللهم اعطهم افضل ما يأملون في غربتهم عن اوطانهم وما أثرونا به على أبنائهم » .

ويقول عليه السلام لحمام الكوفي بلغني ان اناساً من الكوفة وغيرهم من نواحيها يأتون قبر الحسين في النصف من شعبان فيبين قارئاً يقرأ وقاص يقص ومادح يمدح ونساء يندبنه فقال حماد قد شهدت بعض ما تصف فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعل في شيعتنا من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا وجعل في عدونا من يقبح ما يصنعون .

ولما قال له ذريح المحاربي اني اذا ذكرت فضل زيارة الحسين لقومي وبنيّ كذبوني فقال « دع الناس يذهبون حيث شاؤوا وكن معنا » .

فإذا كان هذا وامثاله الكثير مما اوجب فعل الشيعة لتلك المظاهر فلماذا يطعن عليهم عند إيمانهم بها وما ذنبهم أفلا يتأول عملهم والحال هذا كما أولوا عمل خالد وغيره (أين المنصفون) .

نعم ليس السر فيما حكموا به على الشيعة من الرياء والتصنع والشنعة والبدعة الا قيامهم بهذه الشعائر الذي فيها اظهار مظلومية أهل البيت العلوي وتفضيع اعمال المناوئين لهم واعلام الملأ بما نشره من الجور واسترداد الجاهلية الاولى كما اعترف

به ابن كثير في البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٢ قال ان الشيعة لم يريدوا بهذه الاعمال الا ان يشنعوا على دولة بني امية لانه قتل في دولتهم .

وعليه فلا يكون العمل المستلزم للتشيع على عمل الجبابة وطواغيت الامة بقتلهم سيد شباب أهل الجنة وتلاعيبهم بالدين الحنيف تلاعب الصبيان بالاكرامقرباً للمولى زلفة ورضى لرب العالمين .

نهر العلقمي

لم يذكر اصحاب المعاجم هذا الوصف واهمله المؤرخون كما لم يصفه حديث الصادق في الزيارة المتقدمة فان فيها « وهو مدفون بشط الفرات بحذاء الحير » لكن شيخنا الطريحي ذكر في المنتخب ص ٩١ ان رجلاً من أهل الكوفة حداد قال خرجت في البعث الذي سار الى كربلاء فخيمننا على شاطئ العلقمي وحموا الماء عن الحسين ومن معه حتى قتلوا واهله وانصاره عطاشاً ثم رجعنا الى الكوفة وبعد ان سير ابن زياد السبايا الى الشام رأيت في المنام كأن القيامة قامت والناس يموجون وقد اخذهم العطش وانا أعتقد بأني أشدهم عطشاً مع شدة حرارة الشمس والارض تغلي كالقار اذ رأيت رجلاً عمّ الموقف نوره وفي أثره فارس وجهه انور من البدر وبيننا أنا واقف إذ أتاني رجل وقادني بسلسلة اليه فقلت له اقسم عليك بمن امرك من تكون قال انا من الملائكة قلت ومن هذا الفارس قال هذا علي أمير المؤمنين قلت ومن ذلك الرجل قال محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم رأيت عمر بن سعد وقوماً لم اعرفهم في اعناقهم سلاسل من حديد والنار تخرج

من اعينهم وآذانهم ورأيت النبيين والصديقين قد احدقوا بمحمد
صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله لعلي ما صنعت قال لم
أترك احداً من قاتلي الحسين الا جئت به فقدموهم امام رسول الله
وهو يسألهم عما صنعوا بولده يوم كربلاء فواحد يقول أنا حميت
الماء عنه والآخر يقول أنا رميته والثالث يقول انا وطئت صدره
ورابع يقول انا قتلت ولده وهو يبكي حتى بكى من حوله لبكائه ثم
أمر بهم الى النار وجيء برجل قال له ما صنعت قال كنت نجاراً
وما حاربت ولا قتلت فقال لقد كثرت السواد على ولدي فأمر به
الى النار ثم قدموني اليه فحكيت له فعلي فأمر بي الى النار فلما
قص الرؤيا على من حضر عنده يبس لسانه ومات نصفه وهلك
بأسوء حال وقد تبرأ منه كل من سمع وشاهد .

وفي مدينة المعاجز ص ٢٦٣ باب ١٢٧ روي عن رجل
أسدي قال كنت زارعاً على نهر العلقمي بعد ارتحال عسكر بني
أمية فرأيت عجائباً لا أقدر أن أحكي الا بعضاً منها اذا هبت الريح
تمر عليّ نفحات كنفحات المسك والعنبر وأرى نجوماً تنزل من
السماء وتصعد مثلها من الارض ورأيت عند غياب الشمس أسداً
هائل المنظر يتخطى القتلى حتى وقف على جسد جللته الانوار
فكان يمرغ وجهه وجسده بدمه وله صوت عالٍ ورأيت شموعاً
معلقة واصواتاً عالية وبكاء وعويلاً ولا أرى أحداً .

وفي مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ١٩٠ روي جماعة من
الثقة انه لما أمر المتوكل بحرث قبر الحسين وان يجري عليه
الماء من العلقمي اتى زيد المجنون وبهلول المجنون الى كربلاء

ونظرا الى القبر لم يتغير بما صنعوا ، وفي هذا دلالة على وصف
النهر بالعلقمي في تلك الايام ويؤكد ذلك ما في مزار البحار
ص ١٦١ عن مزارى المفيد وابن المشهدي من ورود رواية بزيارة
العباس عليه السلام غير مقيدة بوقت وفيها «إذا وردت ارض كربلا
فأنزل منهما بشاطيء العلقمي ثم اخلع ثياب سفرك واغتسل غسل
الزيارة مندوباً وقل الخ» .

وفي تحية الزائر ص ١٣٥ ذكر عنهما وعن الشهيد الأول وابن
طاووس ورود رواية بزيارة للحسين وقالوا اذا وردت قنطرة العلقمي
فقل إليك اللهم قصد القاصد الخ والظاهر منه ورود لفظ العلقمي
في الرواية وليس من كلام العلماء خصوصاً بعد العلم بأنهم لا
يذكرون الا ما يعتمدون عليه في الروايات ومنه نعرف ان نهر
العلقمي كان معروفاً في الازمنة السابقة على زمان ابن العلقمي
الذي هو في القرن السابع وجاء في نص الشيخ الطوسي ففي
مصباح المتهدد ص ٤٩٩ ان الصادق عليه السلام قال لصفوان
الجمال «إذا اتيت الفرات (اعني شرعة الصادق بالعلقمي) فقل
اللهم انت خير من وفد الخ» .

وعلى هذا يكون قول الفاضل السيد جعفر الحلّي على
الحقيقة .

وهوى بجنب العلقمي فليته للشارين به يداف العلقم
نعم لم يعرف السبب في التسمية به وما قيل في وجهها ان
الحافر للنهر رجل من بني علقمة بطن من تميم ثم من دارم

جدهم علقمة بن زرارة بن عدس لا يعتمد عليه لعدم الشاهد الواضح ومثله في ذكر السبب كثرة العلقم حول حافتي النهر وهو كالقول بأن عضد الدولة امر بحفر النهر ووكله الى رجل اسمه علقمة فانها دعاوي لا تعضدها قرينة على انك عرفت ان التسمية كانت قبل عضد الدولة .

وحكي في الكبريت الاحمر ج ٢ ص ١١٢ عن السيد مجد الدين محمد المعروف بمجدي من معاصري الشيخ البهائي في كتابه زينة المجالس المؤلف سنة ١٠٠٤ ان الوزير السعيد ابن العلقمي لما بلغه خطاب الصادق عليه السلام للنهر « الى الآن تجري وقد حرم جدي منك » أمر بسد النهر وتخريبه ومن اجله حصل خراب الكوفة لان ضياعها كانت تسقى منه .

مشهد الرأس

ذكر أرباب المقاتل ان عمر بن سعد أمر بالرؤوس فقطعت فكانت ثمانية وسبعين رأساً اخذت كندة ثلاثة عشر واقبلت هوازن باثني عشر وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً واقبلت بنو اسد بستة عشر رأساً واختصت مذحج بسبعة ولسائر الجيش ثلاثة عشر رأساً .^(١)

وساروا بها الى الكوفة ثم سير ابن زياد رأس الحسين ورؤوس من قتل معه من أهله وصحبه مع السبايا الى يزيد بالشام^(٢) .

ولم يترك سيد الشهداء الدعوة الى الدين وتفنيده عمل الظالمين حتى في هذا الحال وهو مرفوع على القنائة فكان متمماً لنهضته المقدسة التي أراق فيها دمه الطاهر وقد استضاء خلق كثير

(١) اللهوف ص ٨١ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٦٤ وابن الاثير ج ٢ ص ٣٤ والبداية لابن كثير ج ٨

ص ١٩١ ومقتل الخوارزمي مخطوط واعلام الوري ص ١٤٨ والارشاد للمفيد والبحار ج ١٠ ص ٢٤٣ .

من اشراقات رأسه الازهر .

لهفي لرأسك فوق مسلوب القنا يكسوه من انواره جلابيا
يتلوا الكتاب على السنان وانما رفعوا به فوق السنان كتابا

ولا غرابة بعد أن كان سيد الشهداء دعامة من دعائم الدين
ومنار هداه وعنه يأخذ تعاليمه ومنه يتلقى معارفه وهو صراطه
المستقيم ومنهجه القويم دونه كانت مفاداته وفي سبيله سبقت
تضحيته فهو حليف القرآن منذ انشئء كيانه لأنهما ثقلا رسول الله
وخليفته على امته وقد نص المشرع الأعظم صلى الله عليه وآله
وسلم بأنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض فبذلك كان سلام
الله عليه غير مبارح تلاوته طول حياته في تهذيبه وارشاده في دعوته
وتبليغه في حله ومرتحله حتى في موقفه يوم الطف ذلك المأزق
الحرج بين ظهراني أولئك الطغاة المتجمهرين عليه ليتم عليهم
الحجة ويوضح لهم المحجة .

هكذا كان يسير الى غايته المقدسة سيرا حثيثاً حتى طفق
يتلو القرآن رأسه الكريم فوق عامل السنان عسى أن يحصل من
يكهر به نور الحق غير ان داعية الحق والرشاد لم يصادف الا فصراً
في الادراك وطبعاً في القلوب وصمماً في الأذان ﴿ ختم الله على
قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ .

وبلغ من غلواء ابن زياد وتبهه في الضلال ان امر بالراس
الشريف فطيف به في شوارع الكوفة وسككها^(١) يقول زيد بن

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٦٤ .

أرغم كنت في غرفة لي فمروا بالرأس على رمح فسمعتة يقرأ ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فوقف شعري وقلت رأسك اعجب واعجب﴾^(١) .

ولما صلب في سوق الصيارفة وهناك رضوضاء فأراد عليه السلام لفت الانظار نحوه تنحنح تنحنحاً عالياً فاتجه الناس نحوه وابهروهم الحال فشرع في قراءة سورة الكهف الى قوله تعالى ﴿انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾^(٢) .

وعجب الحاضرون اذ لم تعهد هذه الفصاحة والاتيان على مقتضى الحال من رأس مقطوع وبقي الناس واجمون لا يدرون ما يصنعون .

ولما صلب على شجرة بالكوفة سمع يقرأ قوله تعالى : ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ .

قال هلال بن معاوية سمعت رأس الحسين يخاطب حامله ويقول فرقت رأسي وبدني فرق الله بين لحمك وعظمتك وجعلك آية ونكالا للعالمين فرفع اللعين سوطاً واخذ يضرب بين رأسه المطهر^(٣) .

وحدث سلمة بن الكهيل انه سمع رأس الحسين بالكوفة يقرأ وهو مرفوع على الرمح ﴿فسيكفيكم الله وهو السميع العليم﴾^(٤) .

(١) إرشاد المفيد .

(٢) شرح قصيدة أبي فراس .

(٣) مناقب ابن شهر آشوب .

(٤) أسرار الشهادة ص ٤٨٨ .

كما سمعه ابن وكيدة يقرأ القرآن فشك انه صوته حيث لم يعهد مثله يتكلم فاذا الامام عليه السلام يخاطبه يا ابن وكيدة اما علمت ان معاشر الائمة احياء عند ربهم يرزقون فزاد تعجبه وحدث نفسه ان يسرق الرأس ويدفنه فنهاه الامام وقال يا ابن وكيدة ليس الى ذلك سبيل ان سفكهم دمي اعظم عند الله من اشهارهم رأسي فذرهم فسوف يعلمون اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون^(١) .

وفي طريقهم الى الشام نزلوا عند صومعة راهب وفي الليل اشرف عليهم الراهب فرأى نوراً ساطعاً من الرأس الشريف وسمع تسبيحاً وتقديساً وتهليلاً وقائلاً يقول السلام عليك يا أبا عبد الله فتعجب الراهب ولم يعرف الحال حتى اذا اصبح وأراد القوم الرحيل سألهم عن الرأس فأخبروه انه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب وامه فاطمة وجده محمد المصطفى فطلب الرأس من خولي الاصبحي فأبى عليه فاسترضاه بمال كثير دفعه اليه وأخذ الراهب الرأس الشريف وقبّله وبكى وقال تبا لكم أيتها الجماعة لقد صدقت الاخبار في قولها اذا قتل هذا الرجل تمطر السماء دماً ثم اسلم ببركة الرأس الطاهر وبعد ان ارتحلوا نظروا الى الدراهم فاذا هي خزف مكتوب عليها ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾^(٢) .

وحدث المنهال بن عمر قال رأيت رأس الحسين بدمشق

(١) تظلم الزهراء

(٢) تظلم الزهراء والدمعة الساكبة .

أمام الرؤوس ورجل يقرأ سورة الكهف فلما بلغ ﴿أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾ واذا الرأس يخاطبه بلسان فصيح واعجب من اصحاب الكهف قتلى وحملى (١) .

وفي هذا الحال كله لم ينقطع الدم من الرأس الشريف وكان طرياً ويشم منه رائحة طيبة (٢) .

وبالرغم من جد يزيد في محو آثار اهل البيت واحتقار حرم النبوة حتى أنزلهم في الخربة التي لا تكنهم من حر ولا برد (٣) واستعماله القسوة بالرأس المقدس من صلبه على باب الجامع الاموي (٤) وفي البلد ثلاثة أيام (٥) وعلى باب داره (٦) .

ولم يزل أهل الشام ومن حضر فيها من غيرهم يشاهدون كرامات باهرات من الرأس الزاهر لا تصدر الا من نبي أو وصي نبي فأحرجهم الموقف خصوصاً بعد ما وقفت العقيلة زينب الكبرى سلام الله عليها في ذلك المجلس المغمور بالتمويهات والاضاليل فأفادت الناس بصيرة بنوايا ابن ميسون السيئة وموقفه من الشريعة الطاهرة وانه لم يرد إلا استئصال آل الرسول حيث لم يعهد في الاسلام مثل هذا الفعل الشنيع خصوصاً مع عيال النبي الكريم ذلك الذي ما زال يهتف في مواقفه الكريمة باحترام المرأة وعدم التعرض لها بسوء وكان صلى الله عليه وآله يشدد النكير اذا

(١) الخصائص الكبرى للسيوطي ج ٢ ص ١٢٧ . (٢) الخطط المقرزية ج ٤ ص ٢٨٤ .

(٣) الأنوار النعمانية . (٤) أمالي الصدوق ص ١٠٠ .

(٥) الخطط المقرزية ج ٢ ص ١٢٩ والاتحاف بحب الاشراف . (٦) مقتل العوالم ص ١٥١ .

بلغه في مغازيه قتل النساء^(١) .

حتى ان جماعة من المسلمين لما استأذنوه لقتل ابن ابي
الحقيق اذن لهم وامرهم بعدم التعرض للنساء والصبيان وهم
مشركون^(٢) .

وعلى سيرته مشى المسلمون وان سيدهم أمير المؤمنين عليه
السلام لما انزل عائشة في الدار قال له رجل من الازد والله لا
تفلتنا هذه المرأة فغضب أمير المؤمنين وقال صه لا تهتكن سترأ
ولا تدخلن داراً ولا تهيجن امرأة بأذى وان شتمن اعراضكم
وسفهن امراءكم وصلحائكم فانهن ضعاف ولقد كنا نؤمر بالكف
عنهن وانهن لمشركات وان الرجل ليكافيء المرأة بالضرب فيعيز
بها عقبه من بعده فلا يبلغني عن احد تعرض لامرأة فانكل به^(٣) .

من هذا عرف الناس ضلال يزيد وتيهه في الباطل فاكثروا
اللائمة عليه حتى من لم ينتحل دين الاسلام وحديث رسول ملك
الروم مع يزيد في مجلسه احدث هزة في المجلس وعرف يزيد
الانكار منهم وانه لم تجد فيهم تلك التمويهات وكيف تجدي وقد
سمع من حضر المجلس صوتاً عالياً من الرأس المقدس لما امر
يزيد بقتل ذلك الرسول (لا حول ولا قوة الا بالله)^(٤) .

وأى احد رأى أو سمع قبل يوم الحسين رأساً مقطوعاً ينطق
بالكلام الفصيح وهل يقدر ابن ميسون أن يقاوم اسرار الله ؟ أو

(٣) المصدر ج ٥ ص ٢٢٢ .

(٤) مقتل العوالم ص ١٥٠ .

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ٤٨ وموطأ مالك ج ٢ ص ٦ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٧ .

يطفىء نوره تعالى شأنه ؟ - كلاً -

ولقد انكرت عليه زوجته هند بنت عمرو بن سهيل وكانت عند عبد الله بن عامر بن كريز وهو ابن خال عثمان بن عفان فان عامراً وارى ام عثمان امهم ام حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف فاجبره معاوية على طلاقها لرغبة يزيد بها^(١) .

فانها لما ابصرت الرأس الزاهي مصلوباً على باب دارها ورأت الانوار النبوية تتصاعد الى عنان السماء وشاهدت الدم يقطر منه طرياً ادهشها الحال وعظم مصابه في قلبها فلم تتمالك دون ان دخلت على يزيد في مجلسه مهتوكة الحجاب وهي تصيح رأس ابن بنت رسول الله على دارنا فقام إليها وغطاها وقال لها اعولي وابكى على الحسين فانه صريخة بني هاشم عجل عليه ابن زياد^(٢) .

ورأت في منامها كأن رجالاً نزلوا من السماء وطاقوا برأس الحسين يسلمون عليه ولما انتبهت جاءت الى الرأس فأبصرت نوراً حوله فطلبت يزيد لتقص عليه الرؤيا فاذا هو في بعض الغرف

(١) مقتل الخوارزمي مخطوط وذكر قصة طويلة في تحميل معاوية لآخذها من زوجها واجباره على الطلاق وليس هذا بغريب من معاوية لمحض رغبة يزيد فلقد روى بن زيدون في شرح قصيدة ابن عبدون ص ١٧٢ وابن قتيبة في السياسة والامامة ج ١ ص ١٦١ ان زينب كانت تحت عبد الله بن سلام القرشي فرغب يزيد فيها لجماعها المفترط فاجبره معاوية على الطلاق ورواها النوري في نهاية الارب ج ٦ ص ١٨٠ وسمها زينب بالزاء المعجمة .

(٢) مقتل العوالم ص ١٥١ وتاريخ الطبري ج ٦ ص ١٥٠ .

يبكي ويقول مالي ولحسين وقد رأى مثل ما رأيت^(١) فأصبح يزيد وملتأ اذنة حديث الاندية عن القسوة التي استعملها والجور الشديد فلم ير مناصاً من القاء التبعة على عاتق ابن زياد وتبعيداً للسبة عنه ولكن الثابت لا يزال وهذا هو السر في انشاء كتاب صغير وصفه المؤرخون بأنه مثل (اذن الفأرة) ارفقه بكتابه الكبير الى الوالي بأخذ البيعة من المدينة عامة وفي الكتاب الصغير الزام الحسين بالبيعة وان أبي تضرب عنقه^(٢) .

وليس الغرض من انشاء الكتاب الصغير الا ان يزيد لما كان عالماً بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يجعله خليفة ولا كانت بيعته مما اتفق عليها صلحاء الوقت واشراف الامة وما صدر من الموافقة منهم يوم أرادها أبوه معاوية انما هو للوعيد والتهديد فأراد يزيد ان يخلي رسمياته عن الامر بقتل الحسين بحيث لو صدر ذلك من عامله ولامه الناس وخطأوه تدرع بالعدر بخلو كتابه للعامل بهذا الفعل وانما هو شيء جاء به من قبل نفسه وكان له المجال حينئذ في القاء التبعة على العامل .

ولكن هلمّ واقراً العجيب الغريب في احياء العلوم ج ٣ ص ١٠٦ في الافة الثامنة من آفات اللسان فهناك ترى الغزالي تائهاً في الغلواء لما وشجت عليه عروق النصب والتحيز الى الامويين فأبى أن يلعن قاتل الحسين حتى على الاجمال فيقال (لعنة الله على قاتل الحسين) معللاً باحتمال موته بعد التوبة وقد فات ان

(١) البحار ج ١٠ ص ٢٤٦ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ١٨٨ وابن الاثير ج ٤ ص ٥ والبداية ج ٨ ص ١٤٦ .

التائب ان قبلت توبته لا يشمله اللعن فاذن أي بأس إذا قيل لعنة الله على قاتل الحسين لولا ذلك العداء المحتدم بين الحوائج والبغض لأهل هذا البيت الطاهر .

وأغرب من ذلك قياسه يزيد بوحشي قاتل حمزة اسد الله وأسد رسوله فقال فيه ان وحشي تاب عن الكفر والقتل جميعاً ولا يجوز ان يلعن مع ان القتل كبيرة فاذا لم يقيده بالتوبة واطلق كان فيه خطر . الخ .

لا قياس بين يزيد ووحشي فان وحشياً قتل حمزة وهو كافر فلما أسلم سقطت عنه كل تبعة كانت عليه لأن الاسلام يجب ما قبله بخلاف يزيد فانه قتل الحسين وهو يظهر الاسلام وقد ارتد بقتله اما لان الحسين امام معصوم أو لتشفيه بذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما صنعه مع خاله وجده يوم بدر على ان من المقطوع به ان من بآء بذلك الاثم العظيم وهو قتل الحسين لا يتوفى للتوبة نهائياً فانه من الذنوب التي لا تدع صاحبها ان يتحيز الى خير ابداً كما ان من المقطوع به ان وحشياً وان اظهر الاسلام امام الرسول وسكت عنه النبي وقال غيب وجهك عني فلا يختم له بالصلاح والسعادة ابداً ولا يأتي يوم القيامة وعليه شارة الهدى وقد قتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب الشاهد للانباء بالتبليغ واداء الرسالة .

كيف لا يلعن يزيد وقد جوز العلماء المنقبون لعنه وصرحوا بخروجه عن طريقة الاسلام كما افصح عن ذلك شعره فانه لما وردت عليه سبايا آل الرسول واشرفوا على ثنية جيرون ونعب

الغراب قال^(١) :

لما بدت تلك الحمول واشرقت تلك الشمس على ربي جيروني
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فقد اقتضيت من الرسول ديوني

فمن أولئك العلماء القاضي أبو يعلى واحمد بن حنبل وابن
الجوزي^(٢) والكيما الهراسي^(٣) والشيخ محمد البكري وسعد
التفتازاني^(٤) وسبط ابن الجوزي^(٥) .

وقال الجاحظ ان المنكرات التي اقترفها يزيد من قتل
الحسين واخافته اهل المدينة وهدم الكعبة وحمل بنات رسول الله
سبايا وقرعه ثنايا الحسين بالعود هل تدل هذه القسوة والغلظ على
نصب وسوء وأي وحقد وبغضاء ونفاق ويقين مدخول؟ أم تدل
على الاخلاص وحب النبي والحفظ له وصحة السيرة؟ وعلى هذا
فلا يعدو الفسق والضلال وذلك أدنى مناله فالفاسق ملعون ومن
نهى عن شتم الملعون فملعون^(٦) .

وقال العلامة الالوسي لا توقف في لعن يزيد لكثرة اوصافه
الخبیثة وارتكابه الكبائر في جميع أيام تكاليفه ويكفي ما فعله أيام
استيلائه بأهل المدينة ومكة والطامة الكبرى ما فعله بأهل البيت
ورضاه بقتل الحسين على جده وعليه أفضل الصلاة والسلام

(١) روح المعاني ج ٨ ص ١٢٥ في تفسير قوله تعالى فهل عسيتم أن توليتم الخ .

(٢) تذكرة الخواص ص ١٦٢ . (٤) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٧٢ .

(٣) ابن خلكان . (٥) التذكرة .

(٦) رسائل الجاحظ ص ٢٩٨ الحادية عشر في بني امية .

واستبشاره بذلك واهائه بأهل بيته مما تواتر معناه والذي يغلب على ظني ان الخبيث لم يكن مصدقاً بالرسالة وان مجموع ما فعله مع أهل حرم الله واهل نبيه وعترته الطيبين الطاهرين في الحياة وبعد الممات وما ورد منه من المخازي ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من القائه ورقة من المصحف الشريف في قدر ولا اظن امره خافياً على اجلة المسلمين اذ ذاك ولكن كانوا مغلوبين مقهورين لم يسعهم الا الصبر ليقض الله أمراً كان مفعولاً .

ولو سلم ان الخبيث كان مسلماً فهو مسلم جمع من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان وانا اذهب الى جواز لعن مثله على التعيين ولو لم يتصور ان يكون له مثل من الفاسقين والظاهر انه لم يتب واحتمال توبته اضعف من إيمانه .

ويلحق به ابن زياد وابن سعد وجماعة فلعنة الله عليهم اجمعين . وعلى أنصارهم وشيعتهم ومن مال ميلهم الى يوم الدين ما دمعت عين علي أبي عبد الله الحسين ويعجبني قول شاعر العصر عبد الباقي أفندي العمري :

يزيد علي لعن عريض جناية فأغدو به طول المدى العن اللعنا
ومن يخشى القيل والقال بلعن ذلك الضليل فليقل لعن الله
من رضي بقتل الحسين ومن آذى عترة النبي بغير حق ومن غضبهم
حقهم فانه يكون لاعناً له لدخوله تحت العموم دخولاً أولياً في
نفس الامر .

ولا يخالف أحد في جواز اللعن بهذه الالفاظ سوى ابن

العربي المالكي وموافقيه فانهم على ظاهر ما نقل عنهم لا يجوزون لعن من رضي بقتل الحسين وذلك لعمرى هو الضلال البعيد الذي كاد يزيد على ضلال يزيد الخ^(١) .

وبعد هذا فهل يتوقف احد من لعن يزيد والبراءة منه وان كان فليس هؤلاء الا الضلال والعناد اعاذ الله أولياءه من شر الحقد .

لما كثرت اللائمة على يزيد خشي الفتنة وانقلاب الامر فتداركه بارجاع السجاد والعيال الى وطنهم ومكثهم مما يريدون برأس الحسين الى كربلا ودفنه مع الجسد ولم يختلف في ذلك اثنان من علماء الامامية المعروفين بالبحث والتنقيب ومن هنا نسبة المجلسي في البحار الى المشهور بين العلماء وفي روضة الواعظين ص ١٦٥ قال رد الرأس الى الجسد وقال ابن نما في مشير الاحزان ص ٥٨ انه المعول عليه وفي اللهوف لابن طاووس ص ١١٢ عليه عمل الامامية وقال ابن شهر آشوب في المناقب ج ٢ ص ٢٠٠ ذكر المرتضى في بعض رسائله ان رأس الحسين اعيد الى بدنه في كربلا وقال الطوسي ومنه زيارة الاربعين وفي مقتل العوالم ص ١٥٤ انه المشهور بين علماءنا وهو ظاهر الطبرسي في اعلام الورى ص ١٥١ والسيد في رياض المصائب .

وأما باقي الرؤوس فلم يتعرض لها أرباب المقاتل ولكن في نفس المهموم ص ٢٥٣ ورياض الاحزان ص ١٥٥ عن حبيب السير

(١) روح المعاني ج ٨ ص ١٢٥ في تفسير قوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم الآية .

ان يزيد سلم جميع الرؤوس الى علي بن الحسين فألحقها
بالابدان الطاهرة في العشرين من صفر ثم توجه الى المدينة .

ولعل الاعتبار يساعده فان يزيد لما نقم عليه الناس وكثر
الاضطراب لم ير بدأً من موافقة الامام السجاد على كل ما يريد
واخراجهم من الشام عاجلاً .

نعم ذكر العلامة السيد محسن الامين في أعيان الشيعة ج ٤
ص ٢٩٠ قسم أول انه رأى في سنة ١٣٢١ هـ في المقبرة المعروفة
بمقبرة باب الصغير بدمشق مشهداً وضع على بابهِ صخرة مكتوب
عليها (هذا مدفن رأس العباس ابن علي ورأس علي الأكبر بن
الحسين ورأس حبيب بن مظاهر) .

قال : « ثم انه انهدم بعد ذلك بسنين هذا المشهد واعيد
بناؤه وازيلت هذه الصخرة وبني ضريح داخل المشهد ونقش عليه
اسماء كثيرة لشهداء كربلا ولكن الحقيقة انه منسوب الى الرؤوس
الشريفة الثلاثة المقدم ذكرها بحسب ما كان موضوعاً على بابهِ
كما مر وهذا المشهد الظن القوي بصحة نسبه لأن الرؤوس بعد
حملها الى دمشق والطواف بها وانتهاء غرض يزيد من اشهار
الغلبة والتنكيل بأهلها والتشفي لا بد أن تدفن في احدى المقابر
فدفنت هذه الرؤوس الثلاثة في مقبرة باب الصغير وحفظ محل
دفنها والله أعلم » الخ .

هذا ما ذكره السيد أيده الله ولو اطلع على حبيب السير
لاعتقد عدم صحة الدفن هناك على ان التغيير الذي ذكره يدلنا
على ان الحفظة لذلك المشهد لهم غرض آخر وليس بالمستبعد

ان ذلك المشهد محل صلب الرؤوس .

وحقيق ان يقال في كل منها :

هامة في الحياة طاولت الشهب
انفت بعد موتها الترب فاختار
وما نالها هبوب الرياح
ت لها مسكناً رؤوس الرماح

مشهد الكفين

لم يفتأ شيعة أهل البيت عليهم السلام كما انهم يقتصون آثارهم في معارفهم وتعاليمهم يتبركون بتعيين كل ما يتعلق بهم من مشهد أو معبد أو مقام فيتبعونها بالحفاوة والتبجيل ويرون ذلك من متممات الولاء ولوازم الاتباع والمشايعة .

وهو كما يرون لأنه اما مشهد يزار أو معبد يقصد للعبادة أو محل مسرة فيسرهم ذلك أو موقف مأساة فيستاؤون لهم وهذا هو التشيع المحض والاعتداء الصحيح .

ومن ذلك ما نشاهده في كربلا المشرفة من المقام (لكفي أبي الفضل) الذين تناقلتهما اللسن واخذ حديثهما الخلف عن السلف والسيرة المستمرة بين الامامية كافية في القطع بثبوت (المقامين) ولولاها لانتقض الامر في كثير من المشاهد والمعابد والمقامات .

يقع مقام (الكف اليمنى) في جهة الشمال الشرقي على حد محلة باب بغداد ومحلة باب الخان قريباً من باب الصحن المطهر الواقعة في الجهة الشرقية وعلى جدار المقام شباك صغير

وعلى جبهته بيتان بالفارسية لم يكتب اسم ناظمهما ولا تاريخ البناء
ولا وضع الشباك والبيتان :

أفتاد دست راست خدایا ز پیکرم
بر دامنِ حسینِ پِرسانِ دَسْتِ دِیگرم
دست چپم بجاست اگر نیست دست راست
اما هزار حیف که يك دست بیصداست

ويقع مقام (الكف اليسرى) في السوق الصغير القريب من
الباب الصغير للصحن الواقعة في الجنوب الشرقي ويعرف بسوق
باب العباس الصغير وعلى الجدار شباك وكتب بالقاشاني عليه
(هذا نظم الشيخ محمد المعروف بالسراج) .

سل إذا ما شئت واسمع واعلم	ثم خذ مني جواب المفهم
ان في هذا المقام انقطعت	يسرة العباس بحر الكرم
هاهنا يا صاح طاحت بعدما	طاحت اليمنى بجنب العلقم
أجر دمع العين وابكيه اسأ	حق ان يبكي بدمع عن دم

الزيارة

ذكرنا فيما تقدم ان الزيارة من المأثور عن الامام الصادق عليه السلام ولكمال فضله وعلمه الجم وورعه الموصوف وكراماته الخارجة عن حدّ الاحصاء كان في المثل حول مرقده الاقدس اعني الزلفى الى المولى تعالى مزيد لرسوخ العقيدة بأمر الدين وتعريف للامة بما وجب من حق الله تعالى على خلقه وان العبد كيف يجب عليه بذل ذاته في مرضاة الله عز وجل .

ثم ان الزيارة وان كانت مجرد الحضور عند المزور والسلام عليه بأي لفظ جاء به المسلم كما يؤيده حديث مسلم بن ظبيان عن الصادق عليه السلام «إذا اتيت القبر يعني قبر الحسين فقل صلى الله عليك أبا عبد الله فقد تمت زيارتك»^(١) ولكن الالفاظ الواردة عن أهل البيت يلزم الاحتفاظ بها لأنها اشتملت على ما يناسب مقام المزور من الخواص وما له من جهاد نافع في سبيل الدين مضافاً الى ما فيها من التأدب عند أداء السلام عليه .

فالقول المأثور من أهل البيت عليهم السلام في السلام

(١) أسرار الشهادة ص ١٤٦ .

عليهم أو على احد أولادهم أو أصحابهم راجح ومن هنا افتي صاحب الرسائل فيها وخاتمة المحدثين النوري في المستدرک باستحباب زيارة الحسين بالزيارة المأثورة وآدابها ولا خصوصية له على غيره من أئمة الهدى عليهم السلام وبذلك المناط يتسرى الى غيرهم .

ومن يقرأ ما ورد عن الامام الصادق في زيارة أبي الفضل بتدبر وامعان يعرف رجحان الاخذ بقوله عليه السلام وان الزاير مهما يبلغ من المعرفة والكمال لا يحيط خبراً بحقيقة أبي الفضل وما يليق بجليل قدره وعظيم منزلته ومن هنا كان الراجح للزائر عند زيارة العباس ان يقف مواجهاً له مستدبراً القبلة كما هو الشأن في زيارة المعصومين وهو مقتضى التأدب أمام (قمر بني هاشم) فان زيارته ميتاً كزيارته حياً (والشهداء احياء عند ربهم يرزقون) ولا شك انه لو كان حياً ودخل عليه الزائر فلا يسلم عليه الا مواجهاً له .

ويشهد لذلك ما في مزار البحار ص ١٦٥ عن المفيد وابن المشهدي والشهيد الأول انهم قالوا ان الزائر للعباس يقف أولاً على باب السقيفة ويستأذن للدخول فيقول سلام الله وسلام ملائكته . الخ . ثم يدخل وينكب على القبر ويقول السلام عليك أيها العبد الصالح . الخ . ثم ينحرف الى عند الرأس فيصلي ويدعو ويعود الى الضريح ويقف عند الرجلين ويقول السلام عليك يا أبا الفضل العباس الخ .

وقد يدعى ان هذه العبارة وما رواه ابن قولويه عن أبي حمزة

الشمالي يقتضي الوقوف على قبر العباس من دون تخصيص بجهة من الجهات فان العبارة « ثم ادخل وانكب على القبر وقل ، الخ » ولم يبين كيفية الانكباب هل انه من جهة القبلة كما هو شأن زيارة الامام المعصوم أو من جهة عكسها أو من جهة الرجلين أو الرأس .

الا ان المنصرف من الاطلاق ارادة جهة القبلة خصوصاً لو كان الباب التي يدخل منها الى الروضة المطهرة في ذلك الزمان كما عليه اليوم وحينئذ تكون زيارة أبي الفضل على حدّ زيارة المعصوم مواجهاً له مستديراً القبلة .

فالتوقف عن رجحان مواجهته حال الزيارة في غير محله واستظهار المجلسي تخيير الوقوف في زيارته محل المناقشة فانه لم يرد عن الأئمة خبر التفصيل بين المعصوم وغيره باستحباب المواجهة له في الأول واستقبال القبلة في الثاني .

وغاية ما ورد في زيارة الحسين وأبيه عليهما السلام مواجهة القبر وجعل القبلة بين كتفيه وهناك اخبار مطلقة بالوقوف على قبريهما كاطلاقها على قبري الجواديين والعسكريين والرضا عليهم السلام .

فلا تخصيص للمعصوم على غيره وما ورد في صفة زيارة المؤمنين من استقبال القبلة ووضع اليد على القبر والتوقيع المروي في الاقبال عن صاحب الزمان عجل الله فرجه «إذا أردت زيارة الشهداء فقف عند رجلي الحسين فاستقبل القبلة بوجهك فان هناك حومة الشهداء وقم وأشر الى علي بن الحسين وقل

السلام عليك يا أول قتيل من نسل خير سليل . الخ .» .

اخص من المدعى على ان الاعتبار يشهد بأن السلام والثناء على المزور يستدعي مواجهته لا استدباره وكيف يكون الحال فأبو الفضل ممتاز عن ساير المؤمنين بخواص لا يأتي البيان على حصرها كيف وقد بلغ من الدرجات الرفيعة ما يغبطه عليها جميع الشهداء والصديقين وقد اعلنا الامام الصادق بالزيارة التي علمها أبا حمزة الثمالي بأن لابي الفضل مكانة سامية ودرجات عالية لا ينالها الا اولوا العزم من الرسل فرجحان مواجهته عند السلام عليه متعين كما هو الحال في أئمة الهدى عليهم السلام وبذلك أفتى شيخنا الحجة الشيخ عبد الحسين مبارك قدس سره في بشارة الزائرين ثم قال : « ولعمر أبيه الطاهر صلوات الله وسلامه عليهما انه بذلك لحقيق جدير فانه ابن سيد الوصيين والمواسي ريحانة خير الخلق اجمعين صلى الله عليه وآله .» .

ومن هنا كان بعض العارفين من العلماء الأعلام يقدم زيارة العباس على زيارة الحسين لأنه باب في الحوائج وهو في محله وعليه العمل منذ عهد قديم وفي هذا يقول الاديب السيد مهدي الاعرجي رحمه الله :

قصدتك قبل ابن النبي محمد وادمع عيني كالحيا في انسكابها
لأنك في كل الحوائج باب وهل يقصدون الدار من غير بابها

صلاة الزيارة

ان من الراجح المؤكد صلاة ركعتين بعد الفراغ من زيارة أبي الفضل عليه السلام ويشهد له ما في مزار البحار ص ١٦٥ عن مزار المفيد وابن المشهدي من الرواية عن الأئمة عليهم السلام في كيفية زيارته وبعدها قال ثم انحرف الى عند الرأس فصل ركعتين ثم صل بعدهما ما بدا لك .

وذكر السيد ابن طاووس في مصباح الزائر الصلاة ركعتين بعد الفراغ من الزيارة .

كما ان الشيخ المفيد وابن المشهدي وابن طاووس ذكروا في مزاراتهم عند زيارة العباس يوم عيد الفطر والاضحى وليلة عرفة ويومها الامر بركعتي الزيارة بعد الفراغ منها .

وجاء في زيارة الاربعين ان جابر الانصاري زار العباس بن أمير المؤمنين ثم صلى ركعتين ومن البعيد جداً ان يكون الحكم ممنوعاً منه عند الأئمة ولا يعلمه مثل جابر المتخرج من مدرستهم الكبرى او انه كان يغض الطرف عن هذا المنع بل ظاهر الفعل

منه انهما ركعتي الزيارة وانه لما علمه من أئمة فسار على نهجهم .

وان من المستبعد جداً ان يثبت هؤلاء الاعاظم وهم عمد المذهب المنقبون في الآثار مثل هذه الوظائف من دون تخريج عن أئمتهم بحيث يتورطون في التشريع المحرم والبدعة التي لا تقال عثرتها (كلا وحاشا) بل لم يودعوا في كتبهم ومزاراتهم الا ما وقفوا عليه عن أئمتهم وان لم نحط به خبراً ككثير مما وقفوا عليه .

وقد ذكر السيد ابن طاووس في آخر مصباح الزائر ان ما وقع اختياره عليه في هذا الكتاب قد وصل على الوجه الذي استحسنته واعتمد عليه من جهة الرواية .

وذكر ابن المشهدي في أول مزاره ان ما اودعه في الكتاب ما حصل لديه من الروايات الواردة عن أئمة الهدى .

إذن فكيف يسعنا نسبة ما اودعوه في كتبهم الى محض آرائهم من دون تخريج عن أهل البيت .

ولقد أفادنا بصيرة في تأكيد هذا شيخ المحققين الشيخ اسد الله الكاظمي قدس سره في (كشف القناع) ص ٢٣٠ وحاصل ما ذكره ان من الجائز ان يحصل لبعض حملة اسرار الأئمة العلم بقول الامام الغائب عن الابصار اما بنقل احد سفرائه سراً على وجه يفيد اليقين واما بتوقيعه ومكاتبته كذلك واما بالسماع منه عليه السلام مشافهة على وجه لا ينافي الرؤية في زمن الغيبة فلا يسعه التصريح بما حصله من الحكم على هذه الوجوه ولم يجد في

الأدلة ما يدل عليه ولم يكن مخصوصاً بذلك الحكم وممنوعاً عن
إظهاره لسائر الناس فلا مندوحة حينئذ من إظهار هذا الذي أطلع
عليه بصورة الاتفاق عليه والتسالم وهذا هو الأصل في كثير من
الزيارات والآداب والأعمال المعروفة التي تداولت بين الإمامية ولا
مستند ظاهر من أخبارهم ولا من كتب قدمائهم الواقفين على آثار
الأئمة وأسرارهم .

ومن ذلك ما رواه والد العلامة الحلبي والسيد ابن طاووس
عن السيد الكبير العابد رضي الدين محمد بن محمد الأزدي
الحسيني المجاور بالمشهد الأقدس الغروي عن صاحب الزمان
في طريق الاستخارة بالسبحة وكما سمعه منه صلوات الله عليه ابن
طاووس في السرداب وكدعاء العلوي المصري المعروف الذي
علمه محمد بن علي العلوي الحسيني المصري في حائر الحسين
وقد أتاه في خمس ليال حتى تعلمه .

وهذا هو الأصل في كثير من الأقوال المجهولة القائل فيكون
المطلع على قول الإمام لما وجدته مخالفاً لما عليه الإمامية أو
معظمهم ولم يتمكن من إظهاره على وجهه وخشي أن يضيع الحق
جعله قولاً ومن أقوالهم واعتمد عليه وافتي به من دون تصريح
بدليله .

فحصل من ذلك أن العلماء لم يدعوا في كتبهم حكماً من
الأحكام من دون أن يعثروا عليه عن أئمتهم وقد يكون بطريق
المشافهة من إمام العصر أرواحنا له الفداء فما ذكره المشايخ
المتقدمون في مزاراتهم من صلاة ركعتي الزيارة بعد الفراغ من

زيارة أبي الفضل لا ينبغي الوقفة في رجحانه عند أهل البيت إذ لعله وصل إليهم بالخصوص وإن جهلنا طريق الوصول إليهم .

ولو تنازلنا عن ذلك لدلنا حديث أبي حمزة الثمالي المروي في كامل الزيارة ص ٢٤٠ عن الامام الصادق الواردة في زيارة الحسين المشتملة على المقدمات والمقارنات الكثيرة وفيه قال الصادق :

« فإذا فرغت فصل ما أحببت إلا أن ركعتي الزيارة لا بد منهما عند كل قبر » فإنه اثبت بعمومه رجحان ركعتي الزيارة عند كل مزور وليس له مخصص يدفع العموم .

وخلو بعض الروايات الواردة في زيارة غير المعصومين من التعرض لركعتي الزيارة لا ينهض لمصادمة العموم فالعام محكم في موارده حتى يجيء المخصص المخرج .

كما أن خلو رواية أبي حمزة الثمالي الواردة في زيارة العباس عليه السلام عن ذكر صلاة الزيارة لا يدل على عدم المشروعية .

والتنصيص في زيارة المعصومين لا يدل على عدم المشروعية في غيرهم .

فهذا العموم وما ذكر في مزارات من تقدم ذكرهم من النص عليها كاف في المشروعية والرجحان .

فما حكى عن بعض معاصري العلامة المجلسي من منع صلاة الزيارة لغير المعصومين مستدلاً بخلو الاخبار الواردة في

زياراتهم عنها في غير محله لما عرفت من الدليل عليه مضافاً الى ما حكاه المجلسي في مزار البحار ص ١٨٠ عن مؤلف المزار الكبير عن صفوان الجمال عن الصادق عليه السلام من الامر بصلاة ركعتي الزيارة بعد الفراغ من زيارة علي الأكبر ويتم في أبي الفضل بعدم القول بالفصل .

وفيه عن المزار الكبير ومزار الشهيد بعد ذكر زيارة مسلم بن عقيل قال ثم انحرف الى عند الرأس فصل ركعتين ثم صل بعدهما ما بدا لك وظاهره ان الركعتين للزيارة ولكنه نقل عن مزار السيد ابن طاووس التصريح بذلك فانه بعد الفراغ من الزيارة قال «ثم تقبل الضريح وتصلي صلاة الزيارة وتهدي ثوابها له ثم تودعه وتنصرف» .

وفي مزار البحار عند ذكره زيارة هاني بن عروة قال ثم صل صلاة الزيارة واهد لها وادع لنفسك بما شئت وودعه وانصرف .

وعلى ما تقدم من ان هؤلاء الاعلام لم يدعوا في مزاراتهم الا ما رووه عن أئمتهم أو وجدوه مروياً واعتمدوا عليه .

ويتضح لنا رجحان ركعتي الزيارة لمسلم وهاني على ان الاطلاق المذكور يشملهما .

فاذن في أبي الفضل عليه السلام بطريق أولى .

تقبيل القبر

مما يدل على رجحان تقبيل قبر العباس بن أمير المؤمنين ما رواه في مزار البحار ص ١٨٠ عن مؤلف المزار الكبير عن صفوان الجمال عن الصادق وساق الزيارة للحسين الى ان قال ثم تأتي الى قبر العباس بن علي وتقول « السلام عليك أيها الولي » الى ان قال : « ثم تنكب على القبر وتقبله وتقول بأبي وأمي يا ناصر دين الله السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين السلام عليك يا ناصر الحسين الصديق السلام عليك يا شهيد ابن الشهيد السلام عليك مني أبداً ما بقيت وصلى الله على محمد وآله وسلم » .

وفيه كفاية لمن يتطلب النص على المشروعية والرجحان ويضاف إليه ما ذكره المفيد وابن المشهدي وابن طاووس في مزاراتهم فانهم قالوا بعد الاستئذان ثم ادخل وانكب على القبر وقل « السلام عليك أيها العبد الصالح . الخ » .

ولهذا وأمثاله كان شيخ المحققين ونخبة المرتاضين مجدد المذهب في المائة الثانية عشر محمد باقر البهبهاني اذا دخل الى حرم أبي الفضل عليه السلام يقبل عتبة الباب كما يفعل في حرم

سید الشهداء علیه السلام (۱) وفعل هذا المتبحر حجة وعمله اكبر
برهان لمن يتبع الحق ﴿ان من يهدي الى الحق احق أن يتبع﴾ .

(۱) أسرار الشهادة ص ۶۶ .

أولاده واحفاده

كان للعباس من الاولاد خمسة عبيد الله والفضل^(١) والحسن^(٢) والقاسم^(٣) وبنتان^(٤) وعد ابن شهر آشوب من الشهداء في الطف ولد العباس محمد فأما عبيد الله والفضل فامهما لبابة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وامها ام حكيم جويرية بنت خالد بن قرظ الكنانية .

كانت من أجمل النساء وأوفرهن عقلاً ولما قتل بسر بن ارطأة ولديها عبد الرحمن وقثم وكانا صبيين صغيرين وهي تنظر إليهما فقدت الصبر واخذها الوجد فكانت تدور في البيت ناشرة شعرها وتقول في رثائهما^(٥) .

يا من احس بابني اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يا من احس بابني اللذين هما سمعي وقلبي فمخي اليوم مختطف

(١) اما عبيد الله فذكره اهل النسب والمقاتل واما الفضل فذكره صاحب الناسخ والوزير بهامش مقاتل الطالبين .

(٢) ذكره الشيخ الفتوني في حديقة النسب ومعارف ابن قتيبة ص ٩٦ امه ام ولد .

(٣) ذكر عن بعض كتب المقاتل . (٤) حدائق الانس . (٥) مروج الذهب ج ٢ ص ٦٦ .

نبئت بسراً وما صدقت ما زعموا
انحي على ودجي ابني مرهفة
حتى لقيت رجلاً من ارومته
فالآن العن بسراً حق لعنته
من ذل والهة حرى مولهة
من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا
مشحودة وكذاك الافك يقترف
شم الانوف لهم في قولهم شرف
هذا لعمر ابي بسر هو السرف
على صبيين ضلا اذ غدا السلف

فسمع قولها هذا رجل من أهل اليمن فرق لها واتصل ببسر
حتى وثق به ثم احتال لقتل ابني بسر فخرج بهما الى وادي
أوطاس فقتلها وهرب وقال^(١) .

يا بسر بسر بني ارطاة ما طلعت
خير من الهاشميين الذين هم
ماذا أردت الى طفلي مولهة
أما قتلتهما ظلماً فقد شرقت
فاشرب بكأسهما ثكلى كما شربت
شمس النهار ولا غابت على الناس
عين الهدى وسمام الاسوق القاسي
تبكي وتنشد من اثكلت في الناس
من صاحبك قناتي يوم أوطاس
ام الصبيين او ذاق ابن عباس

ولما بلغ قتلها أمير المؤمنين دعا على بسر فقال اللهم
اسلبه دينه وعقله فخرف بسر حتى كان يلب بخرثه ويقول لمن
حضر انظروا كيف يطعمني هذان الغلامان ابا عبيد الله هذا الخراء
فشدوا يديه الى ورائه ليمنع من ذلك فانجا يوماً في مكانه واهوى
بفمه ليتناول منه فمنع منه فقال انتم تمنعوني وعبد الرحمن وقثم
يطعماني وبقي على هذا حتى مات في سنة ٨٦ هجرية أيام الوليد
بن عبد الملك^(٢) .

(١) الاغاني ج ١٥ ص ٤٥ .

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ١٥٥ .

خلف على لبابة بعد أبي الفضل عليه السلام زيد بن الحسن بن أمير المؤمنين فأولدها نفيسة تزوجها الوليد بن عبد الملك بن مروان^(١) .

فولدت له ولداً فكان زيد بن الحسن يقد الى الوليد ويجلس معه على السرير ويكرمه لمكان ابنته عنده ووهب له ثلاثين ألف دينار دفعة واحدة^(٢) .

وخلف عليها بعد زيد بن الحسن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فولدت له القاسم^(٣) .

واتفق أرباب النسب على انحصار عقب العباس ابن أمير المؤمنين في ولده عبيد الله وزاد الشيخ الفتوني العقب للحسن بن العباس وكان عبيد الله من كبار العلماء موصوفاً بالجمال والكمال والمروءة مات سنة ١٥٥ هجرية^(٤) .

تزوج من ثلاث عقائل كرام رقية بنت الحسن بن علي وبنت معبد بن عبد الله بن عبد المطلب وبنت المسور بن مخرمة الزبيري^(٥) ولعبيد الله هذا منزلة كبيرة عند السجادة كرامة لموقف أبيه (قمر بني هاشم) وكان إذا رأى عبيد الله رق واستعبر باكياً فاذا سئل عنه قال اني اذكر موقف ابيه يوم الطف فما املك نفسي .

وانحصر عقب عبيد الله في ولده الحسن وكان لام ولد عاش

(٣) (٤) المجدي .

(٥) ذخيرة الدارين .

(١) تذكرة السبط ص ٢٢٣ .

(٢) سر السلسلة .

سبعاً وستين سنة أولد الحسن بن عبيد الله بن العباس خمسة ١ -
الفصل . ٢ - حمزة . ٣ - إبراهيم . ٤ - العباس . ٥ - عبيد الله
وكلهم اجلاء فضلاء ادباء .

فأما الفضل فكان لسناً متكلماً فصيحاً شديد الدين عظيم
الشجاعة محتشماً عند الخلفاء ويقال له ابن الهاشمية^(١) اعقب من
ثلاثة جعفر والعباس الاكبر ومحمد ولكل منهم أولاد فيهم
الادباء^(٢) .

فمنهم أبو العباس الفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن
بن عبيد الله بن العباس كان خطيباً شاعراً وقع عقبه الى قم
وطبرستان وله أبيات في موقف جده العباس يوم الطف نذكرها في
فصل المديح .

وأما حمزة فيشبه جده أمير المؤمنين خرج توقيع المأمون
بخطه وفيه يعطي لحمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن
أمير المؤمنين ألف درهم لشبهه بجده أمير المؤمنين تزوج زينب
بنت الحسين بن علي بن عبد الله بن جعفر الطيار المعروف
بالزيني نسبة الى امه زينب بنت أمير المؤمنين وكان حفيده محمد
بن علي بن حمزة متوجهاً شاعراً نزل البصرة وروي الحديث عن
الرضا وغيره مات سنة ٢٨٦^(٣) وسيأتي في ترجمة ابن اخيه الحمزة
صاحب المشهد بقرب الحلة ان ام صاحب الزمان التجأت الى

(١) المجدي .

(٢) (٣) عمدة الطالب .

بيته وترجمه الخطيب في تاريخ بغداد ج ٢ ص ٦٣ وقال كان راوية
للاخبار وهو صدوق وله الرواية عن جماعة كثير وفي تهذيب
التهذيب ج ٩ ص ٣٥٢ وصفه بالعلوي البغدادي ونقل عن ابن أبي
حاتم انه صدوق ثقة .

وأما إبراهيم ويعرف بجرذقة كان من الفقهاء الادباء والزهاد
وابنه علي احد الاجواد له جاه وشرف مات سنة ٢٦٤ أولد تسعة
عشر ولداً ومن احفاده ابو الحسن علي بن يحيى بن علي بن
إبراهيم جرذقة كان خليفة أبي عبد الله بن الداعي على النقابة
ببغداد (١) .

وعبد الله بن علي بن إبراهيم جرذقة جاء الى بغداد ثم سكن
مصر وكان يمتنع من التحدث بها ثم حدث وعنده كتب تسمى
الجعفرية فيها فقه على مذهب الشيعة توفي في مصر في رجب
سنة ثلاثمائة واثنى عشر (٢) .

وقال ابو نصر البخاري في سر السلسلة في العباس بن
الحسن بن عبيد الله بن العباس السقما ما رؤي هاشمي اعضب
لساناً منه ولا اجراً .

قدم بغداد في أيام الرشيد واقام في صحبتته ثم صحب
المأمون بعده وكان من رجال بني هاشم فصاحة وشعراً (٣) ولجلالته

(١) عمدة الطالب .

(٢) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٣٤٦ .

(٣) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٢٦ .

وفضله وبلاغته وفصاحته يكنى عند الرشيد^(١) ومن شعره في اخاء
أبي طالب لعبد الله والد الرسول الاقدس صلى الله عليه وآله
وسلم^(٢) .

أنا وان رسول الله يجمعنا أب وام وجد غير موصوم
جاءت بنارية من غير اسرته غراء من نسل عمران بن مخزوم
حزناً يهادون من يسعى ليدركها قرابة من حواها غير مسهوم
رزقاً من الله اعطانا فضيلته والناس من بين مرزوق ومحروم
وفي المجدي مما رثى به اخاه محمداً

واری البقیع محمد لله ما واری البقیع
من نائل وندي ومعروف اذا ظن المنوع
وحباً لايتام وارملة اذا جف الربيع
ولى فولى الجود والمعروف والحسب الرفيع
قال وله أيضاً :

وقالت قريش لنا مفخر رفيع على الناس لا ينكر
بنا تفخرون على غيرنا فأما علينا فلا تفخروا
أولد العباس عشرة ذكور منهم عبد الله وامه افطسية كان
أديباً شاعراً فمن شعره ما في المجدي :

اني لاستحيي اخي ان ابره قريباً وان اجفوه وهو بعيد
على لاخواني رقيب من الهوى تبيد الليالي وهو ليس يبيد

(١) عمدة الطالب .

(٢) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٢٦ والحجة على الذاهب ص ٦٦ .

وفي سرّ السلسلة قدم على المأمون فتقدم عنده ولما سمع بموته قال استوى الناس بعدك يا ابن عباس ومشى في جنازته وكان يسميه الشيخ ابن الشيخ .

وفي العمدة كان من احفاد العباس السقا أبو الطيب محمد بن حمزة بن عبد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس السقا من اكمل الناس مروءة وسماحة وصلة رحم وكثرة معروف مع فضل كثير وجاه واسع اتخذ بمدينة الاردن وهي طبرية ضياعاً واموالاً فحسده طغج بن جف الفرغاني فدس إليه جنداً قتلوه في بستان له بطبرية في صفر سنة ٢٩١ ورثته الشعراء فمن ذلك ما في المجدي :

اي رزء جنى على الاسلام أي خطب من الخطوب الجسام
ويقال لعقبة بنو الشهيد وترجمه المرزباني في معجم
الشعراء ص ٤٣٥ وقال شاعر يكثر الافتخار بأبائه وكان في أيام
المتوكل وبعده وهو القائل :

واني كريم من اكارم سادة اكفهم تندى بجزل المواهب
هم خير من يحفى وافضل ناعل وذروة هضب العرب من آل غالب
هم المن والسلوى لدان بوده وكالسم في حلق العدو المجانب
وترجم له شيخنا الجليل العلامة ميرزا عبد الحسين الاميني
في شعراء الغدير ج ٣ ص ٣ طبع النجف .

وأما عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس السقا عليه السلام ففيه يقول محمد بن يوسف الجعفري ما رأيت احداً اهيب

ولا اهيأ ولا امرأ من عبيد الله بن الحسن تولى امارة الحرمين مكة
والمدينة والقضاء بهما ايام المأمون سنة ٢٠٤ هجرية^(١) .

وفي سنة ٢٠٤ سنة ٢٠٦ وولاه امارة الحاج^(٢) مات ببغداد
في زمن المأمون وكانت امه وام اخيه العباس ام ولد^(٣) وقع عقب
علي بن عبيد الله قاضي الحرمين الى دمياط ويقال لهم بنو هارون
والى فسا ويقال لهم بنو الهدهد والى اليمن .

وأما الحسن بن عبيد الله الامير القاضي فأولد عبد الله كان
له احدى عشر ذكراً لهم اعقاب منهم القاسم بن عبد الله بن
الحسن بن عبيد الله قاضي الحرمين بن الحسن بن عبيد الله بن
العباس الشهيد السقاله خطر بالمدينة واحد اصحاب الرأي لسناً
متكلماً سعى بالصلح بين بني علي وجعفر وهو صاحب ابي محمد
الحسن العسكري عليه السلام^(٤) .

فأحفاد العباس كلهم اجلاء لهم المكانة العالية بين الناس
لأنهم بين فقهاء ومحدثين ونسابين وامراء وادباء ولا بدع بعد ان
عرق فيهم (أبو الفضل) فحووا عنه المزايا الحميدة والصفات
الجميلة فكانت ملامح الشرف والسؤدد تلوح على أسارير جبهاتهم
وملء أهابهم علم وعمل وحشو الردى هيبة ومنعة .

ومنهم السيد الجليل صاحب الحرم المنيع والقبة السامية
(الحمزة) المدفون بالمدحتية قرب الحلة .

(٣) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٣١٤ .

(٤) عمدة الطالب .

(١) تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٣١٣ .

(٢) تاريخ الطبري ج ١٠ ص ٣٥٥ .

الحمزة

من احفاد أبي الفضل السيد الجليل أبو يعلى الحمزة بن القاسم بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام وقد كتب الشيخ الجليل العلامة ميرزا محمد علي الاوردبادي صحائف غر في حياته نذكرها بنصها .

قال : كان أبو يعلى احد علماء العترة الطاهرة وفذاً من أفذاذ بيت الوحي وأوحدني من سروات المجد من هاشم .

روى الحديث فأكثر واختلف إليه العلماء للأخذ منه منهم الشيخ الأجل أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري واحد اعظم الشيعة ومن حملة علومهم توفي سنة ٣٨٥هـ .

والحسين بن هاشم المؤدب وعلي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق وكلاهما من مشايخ الصدوق ابن بابويه القمي .

وعلي بن محمد القلانسي من مشايخ الشيخ المبجل ابي عبد الله الحسين ابن عبد الله الغضائري .

وأبو عبد الله الحسين بن علي الخزاز القمي^(١) .

ويظهر من هذا انه كان في طبقة ثقة الاسلام الكليني قد أدرك القرنين آخر الثالث وأوائل الرابع ولأجله عقد له الشيخ العلامة الشيخ آغا بزرك الرازي في كتابه (نابغة الرواة في رابعة المئات) ترجمة ضافية فهو من علماء الغيبة الصغرى .

وله من الآثار والمآثر كتاب التوحيد وكتاب الزيارات والمناسك وكتاب الرد على محمد بن جعفر الاسدي وكتاب من روى عن جعفر بن محمد عليهما السلام من الرجال استحسنة النجاشي والعلامة ولهذا ترجمه شيخنا الرازي في مصفى المقال في مصنفى علماء الرجال واسند النجاشي الى هذه الكتب عن ابن الغضائري عن القلانسي عن سيدنا المترجم .

وإليك كلمات العلماء في الثناء عليه قال النجاشي والعلامة انه ثقة جليل القدر من اصحابنا كثير الحديث وقال المجلسي في الوجيزة ثقة وفي تنقيح المقال للعلامة المامقاني السيد جليل حمزة ثقة جليل القدر عظيم المنزلة وفي الكنى والالقباب لشيخنا المحدث الشيخ عباس القمي انه احد علماء الاجازة واهل الحديث وقد ذكره اهل الرجال في كتبهم واثنوا عليه بالعلم والورع .

ان دون مقام سيدنا المترجم ان نقول فيه انه من مشايخ الاجازة الذين هم في غنى عن أي تزكية وتوثيق كما نص به

(١) أنظر رجال الشيخ الطوسي وفهرست النجاشي والامالي والاكمال للصدوق .

الشهيد الثاني وتلقاه من بعده بالقبول فان ذلك شأن من لا يعرف وجهلت شخصيته وان مكانة سيدنا أبي يعلى فوق ذلك كله على ما عرفته من نصوص علماء الرجال ومن كراماته المربية على حد الاحصاء المشهودة من مرقد المظهر فهو من رجال اهل البيت المعدودين من أعيان علمائهم بكل فضيلة ظاهرة ومأثرة باهرة (والشمس معروفة بالعين والاثر) فليس هو ممن نتحرى اثبات ثقته حتى نتشبت بأمثال ذلك نعم كثرة روايته للحديث تنم عن فضل كثار من غزارة علمه ومن قولهم عليهم السلام « اعرفوا منازل الرجال منا بقدر روايتهم عنا » فان ذلك يشف عن التصلب في أمرهم والتضلع بعلومهم والبت لمعارفهم وبطبع الحال ان كلاً من هذه يقرب العبد الى الله تعالى وإليهم عليهم السلام زلفى فكيف بمن له الحظوة بها جمعاء كسيدنا المترجم على نسبه المتألق المتصل بدوحهم القدسي اليانع .

أما مشائخه في الرواية فجماعة عرفناهم بعد الفحص في المعاجم وكتب الحديث كرجال الطوسي وفهرست النجاشي واكمال الدين للصدوق .

- ١ - منهم الشيخ الثقة الجليل سعد بن عبد الله الأشعري .
- ٢ - محمد بن سهل بن ذارويه القمي .
- ٣ - الحسن بن ميثل .
- ٤ - علي بن عبد بن يحيى .
- ٥ - جعفر بن مالك الفزاري الكوفي .
- ٦ - أبو الحسن علي بن الجنيد الرازي .

٧ - وأجل مشيخته عمه مستودع ناموس الامامة والمؤتمن
على وديعة المهيمن سبحانه - أبو عبد الله أو عبيد الله محمد بن
علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس عليه السلام .
ومن جلالته انه لما وقعت الفتنة بعد وفاة أبي محمد
العسكري عليه السلام وكثر الفحص والطلب من زبانية الالحاد
وطواغيت الوقت على بيت الامامة ونسائه وجواريه وامائه حذار
وجود البقية منه أو وجود حامل منهن تلده لما بلغ الطاغية ان
الخلف بعد أبي محمد العسكري يدمر دولة الباطل فحسبه في
العاجل وهو آجل فعند ذلك انتقلت الكريمة الطاهرة ام الامام
المنتظر عجل الله فرجه (نرجس) سلام الله عليه وعليها الى بيت
أبي عبد الله هذا كما نص به النجاشي للحفظ من عادية
المرجفين^(١) .

وان الاعتبار لا يدعنا الا ان نقول بأن بيتاً يحوي ام الامام
لا بد أن يكون مختلف ولي الدهر وصاحب العصر الناهض بعبء
خلافة الله الكبرى ومحط أسراره ومرتكز امره ومجرى علومه
ومصب معارفه ليتعاهد الحرة الطيبة امه نرجس ويكون عليه السلام
هو المجتبي في صدر ذلك الدست والمتربع على منصة عزه .

ولا شك ان أبا عبد الله هذا يقتبس من علومه ويستضيء
بأنواره وحينئذ فدون مقامه اطراء العلماء له كقول النجاشي

(١) انظر ص ١٤٥ من فهرست النجاشي ولكن في اكمال الدين للصدوق ان ام الحجة
ماتت في أيام أبي محمد الحسن العسكري .

والعلامة ثقة جليل وكقول ابن داود عين في الحديث صحيح
الاعتماد كتوثيقات الوجيزة والبلغة والمشاركات وحاوي الاقوال
وقال ابن عنبه في العمدة نزل البصرة وروى الحديث عن علي بن
موسى الكاظم عليه السلام وغيره بها وبغيرها وكان متوجهاً عالمياً
شاعراً وقال النجاشي له رواية عن أبي الحسن وأبي محمد عليهما
السلام وان له مكاتبة وله مقاتل الطالبين .

فحسب سيدنا المترجم أبو يعلى من الشرف أن يكون معماً
بمثله وناهيه من الفضيلة أن يكون خريجاً لمدرسته .

ووالد أبي عبد الله هذا فهو علي بن حمزة بن الحسن نص
النجاشي والعلامة الحلبي وفي الوجيزة والبلغة على ثقته .

وأبو حمزة الشبيه بجده أمير المؤمنين جليل القدر عظيم
المنزلة خرج توقيع المأمون بخطه « يعطى لحمزة ابن الحسن
لشبهه بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب مائة ألف درهم » قاله ابن
عنبه في العمدة .

وأبو حمزة هذا الحسن بن عبيد الله فذكر النسابة العمري
في المجدي انه كان لام ولد روى الحديث وعاش سبعاً وستين
سنة ووافقه على عمره أبو نصر البخاري في سر السلسلة وذكر ان
العدد والثروة في ولده وان امه وام شقيقه عبد الله بنت عبد الله بن
معبد بن العباس بن عبد المطلب .

قلت والظاهر ان في النسخة غلط نسياني فان أبا نصر نفسه
ذكر ان التي كانت تحت عبيد الله بن العباس عليه السلام هي ام

أبيها بنت معبد ابن العباس لا ابنة ابنه .

وعبيد الله بن العباس أبو الحسن ذكر الشيخ العلامة علي بن يوسف ابن المطهر اخو آية الله العلامة الحلي في العدد القوية عن الزبير بن بكار انه من العلماء وقال أبو نصر البخاري تزوج أربع عقائل كرام رقية بنت الامام الحسن السبط وام علي بنت السجاد لم تلد منه وام أبيها بنت معبد بن العباس بن عبد المطلب وابنة المسور بن مخزوم الزبيري .

وأما سيدنا أبو الفضل العباس قمر بني هاشم الذي هو بمنقطع الفضل ومنتهى الشرف وغاية الجلالة وقصارى السؤدد فالبيان يتقاعس انه جاء ممدوحاً بلسان ائمة الدين كابن اخيه الامام السجاد ثم الامام الصادق .

ولسيدنا المترجم ابي يعلى في أرض الجزيرة بين الفرات ودجلة من جنوب الحلة السيفية مشهد معروف في قرية تعرف باسمه (قرية الحمزة) بالقرب من قرية (المزيدية) يقصد بالزيارة وتبسط إليه الندور ويتبرك به ويعزى إليه الكرامات تتناقلها الالسن ويتسالم عليها المشاهدون وتختب بها النفوس وكان في ذي قبل يعرف بمشهد حمزة بن الامام موسى الكاظم .

وبما أن الثابت في التاريخ والرجال ان قبر حمزة المذكور في الري الى جنب مشهد السيد الاجل عبد العظيم الحسيني سلام الله عليهما .

كان سيد العلماء والفقهاء المجاهدين سيدنا المهدي

القزويني بعد ان هبط الحلة الفيحاء و اقام فيها دعامة الدين وشيد
أركان المذهب يمر بهذا المشهد حين وفوده الى بني زبيد للارشاد
والهداية ولا يزوره ولذلك قلت رغبة الناس في زمانه فصادف ان
مر به مرة فطلب منه اهل القرية زيارة المرقد المطهر فاعتذر بما
قدمناه وقال لا ازور من لا اعرفه فبات ليلة وغادر القرية من غدا
الى المزيدية وبات بها حتى اذا قام للتهجد في آخر الليل وفرغ
من عمله طفق يراقب طلوع الفجر اذ دخل عليه رجل في زي
علوي شريف من سادة تلك القرية يعرفه المهدي بالصلاح
والتقوى فسلم وجلس وقال له استضعفت اهل الحمزة وما زرت
مشهده ؟ قال نعم قال ولم ذلك ؟ فأجابه بما قدمناه من جوابه
لأهل القرية فقال العلوي المذكور « رب مشهور لا أصل له »
وليس هذا قبر حمزة بن موسى الكاظم كما اشتهر وانما هو قبر
أبي يعلى حمزة بن القاسم العلوي العباسي احد علماء الاجازة
واهل الحديث وقد ذكره أهل الرجال في كتبهم واثنوا عليه بالعلم
والورع .

فحسب سيدنا الحجة المهدي انه اخذ هذا من احد العلماء
لأنه كان من عوام السادة واين هو من الاطلاع على الرجال
والحديث فاغفل عنه ونهض لفحص الفجر وخرج العلوي من
عنده ثم أدى السيد الفريضة وجلس للتعقيب حتى مطلع
الشمس .

وراجع كتب الرجال التي كانت معه فوجد الامر كما وصفه
الشريف العلوي الداخلة عليه قبيل الفجر ثم ازدلف أهل القرية

اليه مسلمين عليه وفهم العلوي المشار إليه. فسأله عن دخوله عليه قبيل الفجر واخباره إياه عن المشهد وصاحبه عمن اخذه ومن أين له ذلك فحلف العلوي بالله انه لم يأت قبل الفجر وانه كان بائناً خارج القرية في مكان سماه وانه سمع بقدم السيد فأتاه زائراً في وقته هذا وانه لم يره قبل ساعته تلك .

فنهض السيد المهدي من فوره وركب لزيارة المشهد وقال الآن وجب علي زيارته واني لا اشك ان الداخل عليه الامام هو الحجة وركب الطريق معه أهل المزيدية .

ومن يومئذٍ اشتهر المرقد الشريف بالاعتبار والثبوت وازدلفت الشيعة الى زيارته والتبرك والاستشفاع الى الله تعالى به .

وبعد ذلك نص سيدنا المهدي عليه في فلك النجاة وتبعه على ذلك من بعده العلامة النوري في تحية الزائر والعلامة المامقاني في تنقيح المقال وشيخنا المحدث القمي في الكنى والالقب .

أخذنا هذا النبأ العظيم من جنة المأوى للعلامة النوري .

هذا ما كتبه شيخنا العلامة ميرزا محمد علي الاوردبادي

أيده الله .

عمارة المشهد

تمهيد :

لا شك في رجحان عمارة قبور الأولياء المقربين لا سيما من حظي منهم بشرف المنبت النبوي الطاهر الذي هو معدود من اكبر الفضائل لأنه لا يزال بمجرد متواصل العرى يحدو بصاحبه الى اوج العظمة وكل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا نسبه وسببه صلى الله عليه وآله فهو مشرف من تحلى به في الدنيا والآخرة فكيف به اذا كان مشفوعاً بعلم وتقى ومآثر ومفاخر .

١ - لأنه من تعظيم شعائر الله ﴿ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب﴾^(١) ومن موارد حرماته المعينة بقوله تعالى ﴿ومن يعظم حرمات الله فهو خير له﴾^(٢) .

وإذا كانت البدن من الشعائر له سبحانه ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾^(٣) . وليست البدن الا بهيمة تنحرف في مرضات الله سبحانه وفي سبيل طاعته والشعار فيها نحرها .

(٣) الحج ٣٦ .

(٢) الحج ٣٠ .

(١) سورة الحج آية ٣٢ .

فلماذا لا يكون عمل الولي المقرب الشهيد الصديق المنحور على الدعوة الالهية والمراق دمه الطاهر على مجزرة الشهادة من مستوى القدس من جملة الشعائر والحرمات التي يجب تعظيمها بتعاهد مرقدہ الاطهر وقصدہ بالزيارة والعبادة فيه وعمارته عند الانهدام ليأوي إليه الزائر ويتفيء بظله المتعبد كما ان الامر بطواف البيت يستدعي عمارته كلما اوشك ان يتضعع بنيانه .

٢ - علي ان رجالات بيت النبوة هم ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيه اسمه﴾^(١) والمراد من البيت ما كان مسقوفاً ولذلك اطلقه في الكتاب المجيد على الكعبة المعظمة حيث يقول : ﴿والكعبة البيت الحرام﴾ لكونها مسقوفة ولم يرد من البيوت مطلق المساجد أو المساجد الاربعة وهي المسجد الحرام ومسجد النبي ومسجد الكوفة والبصرة فالمساجد كلما ذكر في القرآن اطلق عليها المسجد دون البيت مثل قوله تعالى :

- ﴿لمسجد اسس على التقوى﴾ (التوبة ١٩٠) .
- ﴿عند كل مسجد﴾ (الأعراف ٢٨) .
- ﴿والذين اتخذوا مسجداً﴾ (التوبة ١٠٨) .
- ﴿لنتخذن عليهم مسجداً﴾ (الكهف ٢١) .
- ﴿شطر المسجد الحرام﴾ (البقرة ١٤٤) .
- ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام﴾ (البقرة ١٩١) .

(١) سورة النور : آية ٣٦ .

والمساجد بمقتضى تشريعها مكشوفة والسقف الموجودة فيها
حادثه لقصد ان يأوي إليها الوفود من المرامي السحيقة الذين لا
مأوى لهم لتكنهم من قائض الحر وقارص البرد فلا يناسب اطلاق
البيت عليها لأنه عبارة عن المحل المسقوف ولا يطلق على غير
المسقوف ولذلك تجد اطلاق بيوت الاعراب على اخبيتهم دون
الصحاري التي يسكنونها ومن ذلك اطلق البيت على الكعبة
لكونها مسقوفة .

وكما لا يراد من تلك البيوت التي يجب أن ترفع ويذكر فيها
اسمه المساجد لا يراد منها خصوص الكعبة المشرفة لان لفظ
البيوت في الآية جمع وحينئذ فمن المتعين ان يراد منها بيوتات
تكون مستوى لذكر الله والدعوة اليه اما بالسنة ساكنيها أو بأعمالهم
وجهادهم فتكون تلك البيوت منبثق انوار الله .

واذا فتشنا بيوت العالم فلا نجد ما هو أولى بصدق هذه
البيوت عليهم الا بيوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين
أنفذوا طاقاتهم في رفع كلمة الله العليا وتوحيده والتذكير بوعد
ووعيده فكانت مقصورة على ذلك دعوتهم منحصرأً به هتافهم حتى
اثبتوه على جبهة الدهر وكتبوا بدمائهم الزاكية على صحيفة الزمان
مع ما لهم من الدؤوب على العبادة والتلاوة في اناء الليل واطراف
النهار واناس بهم اسوة حسنة .

وليس من الرأي السديد قصرها على بيوتهم التي يسكنونها
أيام حياتهم بل تعمها ومشاهدتهم المقدسة فانهم ﴿أحياء عند ربهم
يرزقون﴾ واذا ثبت في الشهداء وهم دونهم بمراتب انهم احياء فان

أهل البيت أولى بذلك لأنهم الدعوة الى سبيل ربهم بالحكمة
والموعظة الحسنة أحياءً وأمواتاً وشهداءً في سبيل تلك الدعوة
المقدسة وشهداء على اعمال الامة المرحومة .

وعليه فلا يخلو اما ان يراد من الرفع في الآية خصوص
العمارة وتشيدها كما هو الظاهر على حد قوله تعالى ﴿وإذ يرفع
إبراهيم القواعد من البيت﴾ أو يراد مطلق التعظيم ومما لا شك
فيه ان من اظهر مصاديقه عمارتها وتجديدها عند أولها الى
الخراب لتتم بقية اقسام التعظيم من تفيء المتعبدين وانتجاع
المزدلفين اليها واختلاف الزوار اليها وذكر الله سبحانه والصلاة
والترحم على أولياء الله المتبوثين هاتيك المشاهد المطهرة وتكون
تلك القباب والابنية الشاهقة كمنار تدل الوافدين على ما هناك من
ضالتهم المنشودة .

٣ - ثم ان في الكتاب العزيز شيء آخر دلنا على مشروعية
البناء على مراقد الصالحين واتخاذ خصوص المساجد عليها وهو
قوله جل شأنه ﴿وقال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم
مسجداً﴾ وذلك ان المؤمنين مع ملكهم بيدروس وكان موحداً لما
وصلوا الى اصحاب الكهف واطلعوا على موتهم في مكانهم امر
الملك أن يتركوا في مكانهم ويبني على باب الكهف مسجداً يتعبد
فيه الناس ويتبركون بمكانهم^(١) .

(١) نص عليه الزنجشيري في الكشاف والنيسابوري في غرائب القرآن وأبو السعود في
تنوير المقياس والبغوي في معالم التنزيل بهامش الخازن والطبرسي في مجمع البيان والفيض في
الصافي وزاد الخازن في تفسيره ان الملك بيدروس جعل لهم عيداً عظيماً وامر أن يؤتى هذا
المحل كل سنة .

وهذا منه سبحانه وان كان اخباراً عن عمل امة سابقة على الاسلام لكنه مقرون بالتقرير من الله عز ذكره وعدم الانكار عليهم وكلما كان الحكم غير منكر من الاسلام فهو مستصحب البقاء والنسخ وان وقع في الشريعة لكنه لمجموع هاتيك الشرايع لا لجمعها فهو كالعشرة الابراهيمية^(١) التي لم تنسخ ولا تنسخ أبداً كغيرها من الاحكام المستصحبة .

وإذا أجازت الشريعة الالهية بناء المسجد على أولئك الصالحين من فتية الكهف للعبادة والتبرك بهم فالحكم شرع سواء فيهم وفيمن هو أفضل منهم الا وهم الحجج المعصومون والأولياء المقربون من هذه الامة المرحومة .

وعلى هذا النهج اللاجب جاءت سنة الرسول الاعظم فانه صلى الله عليه وآله لما دفن عثمان بن مظعون امر بحجر فوضع عند رأسه معللاً بانه يتعلم منه قبر اخيه ليدفن إليه من مات من اهل بيته وهذا الحجر اخذه مروان بن الحكم ووضعه على قبر عثمان بن عفان فكلّمته بنو امية وقالوا كيف تأخذ حجراً وضعه رسول الله فلم يعبأ بهم^(٢) .

وإذا كان وضع الحجر للتعريف بالقبر فلا ريب ان البناء

(١) خمسة من هذه العشرة في الرأس وهي اخذ الشارب واعفاء اللحي وطم الشعر والسواك والخلال وخمسة في البدن الختان وتقليم الاظفار والغسل من الجنابة والطهور بالماء وحلق الشعر من البدن (مجمع البيان ج ١ ص ٢٠٠) في تفسير قوله تعالى ﴿واذ ابتلى ابراهيم ربه﴾ .

(٢) وفاء الوفاء للسمهودي ج ٢ ص ٨٥ .

على القبر أوفى بهذه العلة من وضع الحجر فيكون راجحاً بالاولوية . على ان اهتمام النبي صلى الله عليه وآله بتعريف قبر عثمان دون غيره من المسلمين يدلنا على امتياز بعضهم عن بعض بالفضل والعلم والورع والمعرفة وحينئذ يكون البناء على قبور الانبياء والأوصياء والأولياء والامثل فالامثل امتيازاً عن غيرهم واعلاماً لهم بما من شأن ورفعة أولى وأرجح .

وكانت فاطمة الزهراء تزور قبر حمزة وترمه وتصلحه وقد تعلمته بحجر^(١) فدل على ان اصلاح القبر وتعاهده كي لا تندرس آثاره معروف في زمن الشارع المقدس والا لما فعلت ذلك سيدة نساء العالمين والوحي ينزل في بيتها واصلاح القبر يختلف باختلاف الاوقات والازمنة فقد تقتضي الحالة والوقت اصلاح القبر بجمع ترابه ووضع الحجر عليه وقد تقتضي بناء قبة عليه أو وضع جدار حوله .

ومن أجل ذلك دفنوا النبي صلى الله عليه وآله في حجرة عائشة وكانت مسقفة بجريد النخل وأول من بناها باللبن عمر بن الخطاب^(٢) .

ثم ان عبد الله بن الزبير شيد جدران قبر النبي وجعلها مرتفعة وفي سنة ١٩٣ أمر الرشيد واليه على المدينة أبا البخترى ان يبني سقف الحجرة ثم المتوكل امر واليه على الحرمين اسحق

(١) وفاء الوفاء ج ٢ ص ١١٢ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٣٨٣ .

بن سلمة ان يشيد حجرة النبي بحجارة الرخام ففعل ذلك سنة ٢٤٢ هـ .

وفي الاوراق البغدادية للسيد ابراهيم الراوي ان المسلمين لما فتحوا بلاد الشام وبيت المقدس ورأوا على قبور الانبياء المباني لم يهدموها ومن اشهرها البناء الذي على قبر ابراهيم الخليل عليه السلام وقد رأى ذلك عمر بن الخطاب فلم يهدمه ولم يأمر بهدمه .

وغير خفي ان تقرير الصحابة وفيهم الخلفاء ذلك العمل دليل قوي على تعارف البناء على القبور وجوازه لديهم .

وحدث محمد بن الحنفية المتوفى سنة ٨١ ان رسول الله دفن فاطمة بنت اسد في موضع المسجد الذي يقال له اليوم قبر فاطمة وفيه دلالة كما عند السهودي على ان قبرها كان عليه مسجد يعرف به ذلك الزمان^(١) وهو في المائة الأولى من الهجرة كما كان على قبر حمزة بن عبد المطلب مسجداً يومئذ^(٢) .

وكما بني على قبر العباس بن عبد المطلب قبة دفن فيها الحسن والسجاد عليهما السلام^(٣) والباقر^(٤) والصادق^(٥) ففي المائة الأولى والثانية كانت القبة على قبر العباس موجودة .

وان الخطيب البغدادي المولود سنة ٣٩٢ حكى في ترجمة

(٤) الصواعق ص ١٢٠ .

(٥) ابن خلكان بترجمته .

(١) تاريخ المدينة ج ٢ ص ٨٨ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١٠٥ .

(٣) تاريخ ابن خلكان في ترجمة السجاد .

الامام الكاظم انه دفن في مقام الشونيزيه (مقابر قريش) خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار الخ فدل على انه كان يوم وفاة الامام موسى بن جعفر عليه السلام قبة في مقابر قريش .

وعليه يكون وضع القباب على القبور متعارف بين المسلمين لم تنكره علماء تلك العصور مع تبصرهم بأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن هنا لم يمتنع الخلفاء من وضع القباب على قبور أسلافهم فهذا الرشيد بنى قبة على قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(١) وبنى المأمون على قبر الرشيد قبة^(٢) مع ان عصره كان حافلاً بالعلماء كالشافعي وابن حنبل وسفيان بن عيينة وغيرهم فلم ينكر عليه احد .

ولما توفي المعز البويهى سنة ٣٥٦ هـ دفن في داره ثم نقل الى مشهد بنى له في مقابر قريش وابن وكيع الشاعر المتوفى ٣٩٣ هـ دفن في المقبرة الكبرى في القبة التي بنيت له بها وأبو تمام المتوفى سنة ٢٧١ بنى على قبره نهشل بن حميد الطوسي قبة .

فما قيل من ان هذه القباب حدثت منذ القرن الخامس فهي من البدع الغير المعروفة في زمن الشارع المقدس وما بعده من الاكاذيب الفاضحة .

فتحصل من جميع ما ذكرناه ان البناء على القبور وعمارتها

(١) عمدة الطالب وحبیب السیر .

(٢) روضة الصفا .

وتجديدها وتعاهدها امر راجح وعليه الامة الاسلامية من دون نكير
بينها و يتأكد في قبور الاولياء المقربين والشهداء الصديقين
والعلماء الصالحين وذوي المآثر والفضائل لان فيه تعريفاً بالميت
وتنويهاً بمقامه ليزوره الزائر ويستريح اليه المتعبد لكونه من
الامكنة المحبوبة لله تعالى فيها الذكر والطاعة وتحصيل المصالح
الدينية .

وبذلك اتفقت كلمة العلماء الذين هم اعرف الامة بموارد
الامر والنهي بل زادوا على البناء والعمارة تزيينها بالمعلقات
والفرش والستائر وكل ما فيه احترامهم وتعظيمهم .

مدعين على ذلك بعد الاجماع والاتفاق انه من الشعائر
وعدم انكار الائمة في عهد كانوا ظاهرين فيها والأخبار الكثيرة
الدالة على ميلهم ورضاهم به وقد امرت بالوقوف على باب
الروضة أو القبة أو الناحية المقدسة والاستيذان وتقبيل القبة
والدعاء عند ترائي القبة الشريفة وغيرها مما يتوقف على وجود
الباب والقبة والعتبة المتوقف كله على البناء فلولا البناء اين تكون
القبة واين الباب واين العتبة واين الاستيذان عندها .

مع صراحة خبر أبي عامر واعظ أهل الحجاز عن الامام
الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه
ان الله سبحانه جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن
إليكم وتحتمل الأذى والمذلة فيزورون قبوركم ويكثرون زيارتها
تقرباً منهم الى الله تعال ومودة منهم لرسوله اولئك المخصوصون
بشفاعتي الواردون حوضي وهم زواري غداً في الجنة .

يا علي من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما اعان سليمان على
بناء بيت المقدس الى ان قال : ولكن حثالة من الناس يعيرون
زواركم كما تعير الزانية بزناها أولئك شرار أمتي لا نالتهم
شفاعتي (١) .

وحيثذا فلا ريب في تخصيص العمومات المانعة من
تجسيص القبر وتجديده بل دعى صاحب الجواهر اعلى الله مقامه
« ان البناء على قبور الائمة والصلحاء من ضروري المذهب بل
الدين » .

على ان النهي عن التجسيص معارض بما هو أقوى منه
سنداً ودلالة واكثر عدداً ومنه حديث صفوان . زار الصادق عليه
السلام قبر جدّه أمير المؤمنين وذكر فضل زيارته واستثذانه منه
اعلام الشيعة بهذا الفضل الى ان قال : واعطاني دراهم فاصلحت
القبر (٢) .

ويحدث يونس بن يعقوب ان الامام الكاظم عند رجوعه من
بغداد ماتت ابنة له (بفيد) فدفنها وامر بعض مواليه ان يجصص
قبرها ويكتب على لوح اسمها ويجعله في القبر (٣) .

وماتت ام الامام الحجة صاحب الزمان عجل الله فرجه في
أيام أبي محمد الحسن العسكري فدفنت في الدار وكتب على

(١) فرحة الغري ص ٣١ .

(٢) المصدر السابق ص ٤١ .

(٣) الكافي والتهذيب والاستبصار .

لوح هذا قبر أم محمد عليه السلام ووضع في القبر^(١) .

وليس هو من خصائص أولادهم وإنما جرى الأمر على العادة المألوفة من التعريف بالميت والتنويه بذكره فيكون الفعل في غيرها من الأنبياء والأئمة عليهم السلام والعلماء الصالحين أولى وأرجح وأأكد .

والمراد من البناء المكروه كما نص عليه الاردبيلي وكاشف الغطاء هو ما كان فوق القبر بحيث يصير القبر تحت الحائط فإنه غير مناسب لحرمة الميت وأما البناء المتعارف المتداول بحيث يكون القبر تحت القبّة فلا شمله النهي كما لا يشمل عمارة القبّة وتجسيصها وتزيينها ولا وضع الصناديق المزينة والاقمشة النفيسة على القبور والوقف لها .

وإليك أسماء من تعرض لهذا الحكم من علمائنا عند مسألة تجسيص القبور من احكام الاموات وغيرها مرتبين على سنة الوفاة .

المتوفى سنة ٦٩٣هـ	السيد عبد الكريم بن طاووس في الفرحة
المتوفى سنة ٧٨٦هـ	الشهيد الأول في الذكري والدروس
المتوفى سنة ٩٣٣هـ	المحقق الكركي في جامع المقاصد
المتوفى سنة ٩٦٦هـ	الشهيد الثاني في روض الجنان
المتوفى سنة ٩٩٣هـ	الاردبيلي في شرح الارشاد
المتوفى سنة ١٠٩٠هـ	السبزوراي في الذخيرة

(١) اكمال الدين للصدوق ص ١٤٠ وقد تقدم عن النجاشي انها ببيت بعد الحسن العسكري .

المتوفى سنة ١١٠٤هـ	الحر العاملي في الوسائل
المتوفى سنة ١١١٠هـ	المجلسي في مزار البحار ومرآة العقول
المتوفى سنة ١٢٢٦هـ	السيد جواد العاملي في مفتاح الكرامة
المتوفى سنة ١٢٢٨هـ	كاشف الغطاء في نهج الرشاد ص ٧١
المتوفى سنة ١٢٣١هـ	السيد علي في الرياض
المتوفى سنة ١٢٣١هـ	الميرزا القمي في الغنائم
المتوفى سنة ١٢٤٤هـ	الراقي في المستند
المتوفى سنة ١٢٦٢هـ	الكرباسي في منهاج الهداية
المتوفى سنة ١٢٦٦هـ	صاحب الجواهر فيها
المتوفى سنة ١٣٣٠هـ	النوري في المستدرك

عمارة مرقد العباس

إذا تمهد ما ذكرناه فمشهد سيدنا ابي الفضل عليه السلام من اظهر مصاديق تلك البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه كما انه في الرعيل الأول من أولئك الصديقين والشهداء الصالحين وفي تشييد قبته السامية ابقاء لما أوعزنا اليه من السر في انحياز قبره عن مجتمع الشهداء .

وإذا أعلمنا الامام الصادق عليه السلام في زيارته بما له من المقام الرفيع في ملاء القدس وعند مجتمع الأنبياء والرسل وقد حاز بذلك اكباراً منهم وتبجيلاً حتى غبطه على ما حباه الله جميع الشهداء والصديقين لتفرده بتلك المنعة والخطر كان الاحتفاء بمشاهدة القدسي من العمارة والتعاهد من أوليات فرائض عالم الشهود .

ثم إنه سبحانه قيض لعمارة هذا المشهد الكريم اناساً قدر لهم الخير والسعادة واجرى على أيديهم المبررات ففازوا بالباقيات الصالحات وكانت لهم الذكرى الخالدة في الدارين والسعادة في النشأتين من ملوك وامراء وعلماء ووجهاء فتعاقب عليه العمران

وفي كل يوم يزداد بهجة وبهاء حتى تجلى كما هو اليوم في أبهج المناظر بقبته التي تحك السماء رفعة وشئت النجوم بهجة وذلك الحرم المنيع المضاهي للعرش عظمة وأروقتة المغطاة بالقوارير التي تفوق الافلاك بذخاً وذلك الصحن الذي هو ساحة القدس وباحة الجلال والبهو الكبير الذهبي الذي دونه عرش الملك ومناط الابهة فحاكى غرف الجنان وصروحها .

ويتحدث المؤرخون ان الشاه طهماسب في سنة ١٠٣٢ هجرية زين القبة السامية بالكاشاني وبني شباكاً على الصندوق ونظم الرواق والصحن وبني البهو امام الباب الأولى للحرم وارسل الفرش الثمينة من صنع (إيران) .

وفي سنة ١١٥٥ هـ أهدى نادر شاه الى الحرم المطهر تحفاً كثيرة وزين بعض تلك المباني بالقوارير وفي سنة ١١١٧ هـ زار الحسين وزيره الشهم فجدد صندوق القبر وعمر الرواق واهدى ثريا يوضع فيها الشمع لانهارة الحرم الشريف .

وبعد حادثة الوهابي بكر بلا سنة ١٢١٦ هـ ونهب ما في الحرم من الاعلاق النفيسة والذخائر المثلثة نهض الشاه (فتح علي) وجدد ما نهب من الحسين واخيه أبي الفضل وعمر قبة العباس بالكاشاني كما انه ذهب قبة سيد الشهداء وصدر الايوان الذي امام الباب الأولى للحرم من جهة القبلة وانشأ صندوق ساج على قبر أبي الضيم أبي عبد الله عليه السلام وفضض الشباك المطهر .

وفي كتاب طاقة ريحان ص ٩١ للعلامة الحاج ميرزا عبد

الكريم المقدس الارومي ان خال جدته لامة انحاج شكر الله بن
بدل بك الافشاري ذهب الايوان الذي هو امام حرم ابي الفضل
وانفق على ذلك كل ماله وذلك بايعاز زين الفقهاء والمجتهدين
الشيخ زين العابدين المازندراني المتوفى ١٢ ذي القعدة سنة
١٣٠٩ هـ وكتب اسمه في الجانب الغربي من جدار الايوان على
صفائح الذهب بخط ذهبي موجود الى الآن وتاريخ الكتابة سنة
١٣٠٩ هـ .

وفي الكتاب المذكور ان نصير الدولة ذهب منارة ابي
الفضل وكان الصائغ يغش في تطلية الطاقات الصفرية بالذهب
فعرف منه ذلك وجيء به من بغداد الى كربلا فلما دخل الصحن
اضطرب واسود وجهه سواداً شديداً ومات من الغد .

وحدثني العلامة الحجة السيد حسن مؤلف كتاب (فدك)
وغيره من المؤلفات القيمة ان الايوان الصغير الذهبي الذي هو
امام الباب الأولى انشأه ملك لکنهو محمد شاه الهندي واما
الطارمة المسقفة بالخشب فبأمر السلطان عبد الحميد خان وجدد
بناء القبة بالكاشاني محمد صادق الاصفهاني الشيرازي الاصل
وهو الذي اشترى الدور الملاصقة للصحن الشريف وزادها في
الصحن وبناه بما هو المشاهد وكانت الزيادة من جهة القبلة اكثر
من سائر الجهات قدر ايوانين او ثلاث ودفن في حجرة عند باب
القبلة تعرف باسمه وبنى الصحن بالكاشاني رحمة الله عليه وجزاه
لخدمته لابي الفضل أفضل جزاء المحسنين .

وجدد السيد المبجل سادن الروضة المقدسة السيد مرتضى

الباب الفضي التي هي في الايوان الذهبي امام حضرة العباس عليه السلام سنة ١٣٥٥هـ وكتب على المصراعين قصيدة الخطيب الاستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي وتفضل حفظه الله بها ولطروس الانشاء الذي ذكرناه فيما تقدم وهذه القصيدة :

لذ باعتاب مرقد قد تمت وانتشق من ثرى أبي الفضل نشرأ غاب فيه من هاشم أي بدر هو يوم الطفوف ساقى العطاشى واطل عنده البكاء ففيه لا يضاهيه ذو الجناحين لما هو باب الحسين ما خاب يوماً قام دون الهدى يناضل عنه فادياً سبط احمد كأبيه جدد المرتضى له باب قدس انه باب حطة ليس يخشى قف به داعياً وفيه توسل	ان تكون النجوم من حصباه ليس يحكي العبير نفع شذاه فيه ليل الضلال يمحي دجاه فاسق من فيض مقلتيك ثراه قد اطال الحسين شجواً بكاه قطعت في شبا الحسام يده وافد جاء لائذاً في حماه وكفاه ذاك المقام كفاه حيدر مذ فدى النبي اخاه من لجين يغشى العيون سناه كل هول مستمسك في عراه فيه المرء يستجاب دعاه
-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

السدانة

السدانة هي خدمة المعبد والقيام بشؤونه ولوازمه وتحري كلاءته عن أي عادية وقد اتخذت العرب بيوتاً تعظمها كتعظيم الكعبة وجعلوا لها حجاً وسدنة وكانوا يهدون اليها كما يهدون الى الكعبة ويطوفون كما يطوفون بالكعبة وينحرون بها مثلها . كل ذلك مع معرفتهم فضل البيت الحرام والكعبة المشرفة لأنها بناء الخليل (١) .

فالبيت المعظم الذي يتخذ معبداً ومأوى للوفود والزائرين ومحلاً للدعاء والابتهال لا بد وان يجعل له حجة وسدنة يرعون حرمة فنصب السادن من لوازم جلاله المحل ووجود المثلثات فيه فلن تجد محلاً له شأن الا ورأيت له خدمة .

وبمناسبة منعة المحل لا يقيض له من سوقة الناس ومن لا كفاءة له بالقيام بالخدمة لان فيه خطأ من كرامته وتحطيماً لمكانته فمن حق المقام ان يكون السادن شريف قومه وكريم بيته لا يسبق بمجد ولا يلحق بشرف .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ١٩٢ .

ومن هنا نشاهد السدانة في حرم أبي الفضل عليه السلام يتولاها شريف بعد شريف حتى انتهى الامر الى الهاشمي المبجل السيد مصطفى ومنه الى خلفه الشهم الهمام السيد مرتضى الذي لا تعد مآثره ولا آثاره وأياديه الجميلة ومساعدته المشكورة حول خدمة الحرم وعمارته وتنويره وتزيينه وكان كما يهواه السؤدد والخطر وتختاره طهارة العنصر ونزاهة الاعراق ويرثيه المجد الهاشمي والمولد العلوي .

وقام نجله الزكي (السيد محمد حسن) بكل ما يستطيعه من خدمة الحرم .

حامى الجوار

لقد عرف العلماء مكانة أبي الفضل عند الله سبحانه وتعالى وما حباه به واعد له من جزيل الفضل تقديراً لأعماله وما قاساه من فواح وآلام فكان ملجأ الخائف ولهف اللاجئ وغيث الصريخ وحمى المستجير فلاذوا بجنابه عند الممات وجاوروا مرقد الاطهر والتجأوا الى كهفه المنيع ليمنحهم الشفاعة فيفوزوا بالخلد ويتقلبوا على اسرة النعيم الدائم وحاشا أبو الفضل أن يخفر الجوار ويتباعد عن عقل ناقتة بفنائه .

ومن هؤلاء الاعلام ما في الذريعة الى مصنفات الشيعة ج ٣ ص ١٩٩ ان الحاج السيد محمد بن محسن الزنجاني توفي بزنجان سنة ١٣٥٥ وحمل الى جوار أبي الفضل العباس بوصية منه .

وفيه ص ٣٢٣ ان الشيخ علي بن زين العابدين البارجيتي اليزدي الحائري صاحب كتاب الزام الناصب في احوال الحجّة الغائب دفن في صحن العباس عليه السلام .

والعلامة الشيخ علي اليزدي البفروئي من اجلاء تلامذة الاردكاني دفن في البهو امام حضرة العباس .

والسيد كاظم البهبهاني من تلامذة المرحوم آية الله السيد
هاشم القزويني دفن في الرواق .

والعلامة السيد عبد الله الكشميري من تلامذة الاردكاني دفن
في الحجرة الرابعة من الشرق الجنوبي .

الشيخ ملاّ عباس المعروف باليزدي المشهور بسبويه واخوه
ملا علي المعروف بالاخفش لهما مكانة عالية في التدريس دفنا
في الحجرة المختصة بهم الملاصقة للباب المعروفة بباب صاحب
الزمان .

والشيخ كاظم الهر له فضل في العلم والادب تتلمذ على
الشيخ صادق بن العلامة الشيخ خلف عسكر دفن في الحجرة
الاخيرة من الشرق الشمالي .

المديح والثناء

من الواضح الذي لا يرتاب فيه ان نظم الشعر في أي رجل تعريف به واحياء لذكره واقامة لامره فان آثار الرجال مهما كبرت في النفوس وعظم أمرها قد يهمل ذكرها بمرور الزمن وتباعد العهد فيغفل عن تلك المآثر ويتناسى ما لها من أهمية كبرى ولما كان القول المنظوم اسرع تأثيراً في الاصاغة لرغبة الطباع اليه فتسير به الركبان وتلوكه الاشداق وتتحفظ به القلوب وتتلقاه جيلاً بعد جيل وتأخذه امة بعد امة حتى يرث الله الأرض ومن عليها فتلفت الى ذلك الفضل المتقادم وقد حفظ لنا الادب العربي كثيراً من قضايا الامم وسيرها وحروبها في الجاهلية والاسلام .

وبما ان ذكرى أهل البيت قوام الدين وروح الاصلاح وبها تدرس تعاليمهم ويقتفي آثارهم طفق أدباء هذه الامة يذكرون ما لهم من فضل كثار وما جرى عليهم من المصائب ولاقوا في سبيل احياء الدين من كوارث ومحن لان في ذلك احياء أمرهم (ورحم الله من أحى أمرهم ودعا الى ذكرهم) وقد تواتر الحث من الائمة المعصومين على نظم الشعر فيهم مدحاً وثناء بحيث عدّ من

أفضل الطاعات .

ولم يعهد من الأئمة الطاهرين مع تحفظهم على التقية والزام شيعتهم بها تثبيط الشعراء عن المكاشفة في حقهم واطهار باطل المناوئين مع ان في الشعراء من لا يقر له قرار ولا يأويه مكان فرقاً من اعداء أهل البيت لمحض مجاهرتهم بالولاء والدعوة الى طريقة أبناء الرسول صلوات الله عليه كالكميت ودعبل الخزاعي ونظرائهما بل كان الأئمة يؤكدون ذلك بالتحبيذ وادرار المال عليهم واجزال الهبات لهم وذكر المثوبات وليس ذلك الا لأن المكاشفة ادخل في توطيد اسس الولاية وعامل قوي لنشر الخلافة الحققة حتى لا يبقى سمع الا وقد طرقه الحق الصراح ثم تتلقاه الاجيال لآتية كل ذلك حفظاً للدين عن الاندراس ولئلا تذهب تضحية آل الله في سبيله ادراج التمويهات .

ولولا نهضة أولئك الافذاذ من رجالات الشيعة للذب عن قدس الشريعة بتعريض أنفسهم للقتل كحجر بن عدي وعمرو بن الحمق ورشيد وميثم التمار وأمثالهم ومجاهرة الشعراء بما قدم به الاطهار من أهل البيت النبوي لما عرفت الاجيال المتعاقبة صراح الحق .

ومما ورد من الحث على نظم الشعر مدحاً ورتاءً قولهم عليهم السلام «من قال فينا بيتاً من الشعر بنى الله له بيتاً في الجنة» . وفي آخر حتى « يؤيد بروح القدس» .

وفي ثالث «ما قال فينا مؤمن شعراً يمدحنا الا بنى الله له في الجنة مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات يزوره فيها كل ملك مقرب ونبي مرسل» .

وقال أبو جعفر الباقر للكميت لما انشده (من لقلب متيم
مستهام) القصيدة : « لا تزال مؤيداً بروح القدس ما دمت تقول
فينا » .

واذن الامام الجواد عليه السلام لعبد الله بن الصلت ان
يندبه ويندب أباه الرضا عليه السلام .

وكتب إليه أبو طالب أبياتاً يستأذنه فيها في رثاء أبيه الرضا
فقطع أبو جعفر الابيات وكتب إليه « أحسنت وجزاك الله خيراً » .

وتقدم في ص ١٧٢ مدح الصادق لمن يرثي لهم ويمدحهم .

وحسب الشاعر ان يترتب على عمله البار هاتيك المشوبات
الجزيلة التي تشف عن ان ما يصفه بعين الله سبحانه حتى ييواه
الجليل عز شأنه من الخلد حيث يشاء وتزدان به غرف الجنان ولا
بدع فانه بهتافه ذلك معدود من أهل الدعوة الالهية المعلنين لكلمة
الحق وتأييد الدين فهو بقوله الحق يرفع دعامة الاصلاح وتشيد
مبانيه ويطأ نزعة الباطل باخمص الهدى ويقم اشواكه المتكدسة
امام سير المذهب ويلحج طريقه الواضح فحياهم الله من دعاه الى
مراضيه .

وبما أن أبا الفضل العباس من أولئك الاطهار الذين بهم
تمت الدعوة الالهية وعلت كلمة الله العليا بازهاق نفوسهم
المقدسة حتى قضوا كراماً طيبين مضافاً الى ما حواه من صفات
الجلال والجمال مما أوجب أن يغبطه الصديقون على ما منحه
الباري سبحانه عوض شهادته .

بادر من كهربه الولاء الخالص طلباً لذلك الاجر الجزيل
بنظم مديحه وراثته وأول من رثاه امه أم البنين كما في مقاتل
الطالبين فانها كانت تخرج الى البقيع تندب أولادها اشجى ندبة
واحرقها فيجتمع الناس لسماع ندبتها وكان مروان يجيء لذلك فلا
يزال يبكي فمن رثائها فيهم .

لا تدعوني ويك أم البنين تذكروني بليوث العرين
كانت بنون لي ادعي بهم واليوم اصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الربى قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرصان اشلاءهم فكلهم امسى صريعاً طعين
ياليت شعري اكما اخبروا بأن عباساً قطع الوتين

وقولها الآخر :

يا من رأى العباس كر على جماهير النقدر
ووراه من أبناء حيدر كل ليث ذي لبد
نبئت ان ابني اصيب برأسه مقطوع يد
ويلي على شبلي اما ل برأسه ضرب العمدة
لو كان سيفك في يد يك لما دنا منه احد

ورثاه حفيده الفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن
عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين علي ما في (المجدي) .

اني لا ذكر للعباس موقفه بكربلاء وهام القوم يختطف
يحمي الحسين ويحميه على ظمأ ولا يولي ولا يثني فمختلف

ولا أرى مشهداً يوماً كمشهده مع الحسين عليه الفضل والشرف
أكرم به مشهداً بانت فضيلته وما انشاع له افعاله خلف

وحكى الشيخ الجليل العلامة ميرزا عبد الحسين الاميني في
كتاب (الغدير) ج ٣ ص ٥ عن روض الجنان في نيل مشتهى
الجنان المطبوع للمؤرخ الهندي اشرف علي ان الفضل بن
الحسن المذكور قال في جده العباس عليه السلام .

احق الناس ان يبكى عليه فتى أبكى الحسين بكربلاء
اخوه وابن والده علي أبو الفضل المضرغ بالدماء
ومن واساه لا يثنيه شيء وجاد له على عطش بماء

وهذه الأبيات نسبها أبو الفرج في المقاتل الى الشاعر
ونسبها السيد الحجة المتتبع السيد عبد الله شبر قدس سره في
جلاء العيون الى الحسين عليه السلام .

وقد رثى أبا الفضل العباس جماعة كثيرة من الفضلاء الادباء
والعلماء البارعين لو جمعت لكنت مجلداً ضخماً ولعل فيض أبي
الفضل يشملنا فنخرجها الى القراء بالقرب العاجل وفي هذا
الكتاب نذكر ما يتحمله منها .

ومن جيد ما رثى به قصيدة الشاعر الشهير الحاج هاشم بن
حردان الكعبي الدروقي المتوفى سنة ١٢٣١ هـ وهي مثبتة في
ديوانه المطبوع في النجف وفي كشكول الشيخ يوسف البحراني
صاحب الحدائق في الفقه ج ٢ ص ٣٩٢ وفي الدر النضيد للعلامة
السيد محسن الامين ومطلعها :

هل ام طوق كذات الطوق في السلم نحن شوقاً الى أيا منا القدم
الى أن يقول :

يوم أبو الفضل تدعوا الظاميات به والخيل تصطك والزعف الدلاص على
واقبل الليث لا يلويه خوف ردى يبدو فيغدو صميم الجمع منصدا
والماء تحت شبا الهندية الخدم فرسانها قد غدت ناراً على علم
بادي البشاشة كالمدعو للنعم نصفين ما بين مطروح ومنهزم

ورثاه العلامة الشيخ محسن آل الشيخ خضر المتوفى حوالي

سنة ١٣٠٣ .

فله زينب اذ تستغيث ويا ليث قومي اذا الخطب ناب
اتركني نصب عين العدو ولله مقولها اذ تقول
عذرتك يا ابن أبي فالحميم فشلت اكف علوج برت
وذاب عمود حديد رماك

ورثاه شاعر أهل البيت في عصره السيد حيدر الحلبي المتوفى سنة

١٣٠٤ هـ وهي مثبتة في ديوانه مطلعها

حلولك في محل الضيم داماً وحدّ السيف يأبى أن نضاماً
ورثاه العلامة السيد جعفر الحلبي المتوفى سنة ١٣١٥ هـ وقد
ابدع فيها وهي مثبتة في ديوانه المطبوع في صيدا وفي منير
الاحزان والدر النضيد مطلعها .

وجه الصباح علي ليل مظلم وربيع أيامي علي محرم

وفي ص ٩٩ وص ١٥٣ وص ١٥٠ ذكرنا أبياتاً منها .

ورثاء الحاج محمد رضا الازري ومطلعها :

اوما اتاك حديث وقعة كربلا اني وقد بلغ السماء قتامها

طبعت في منير الاحزان للعلامة الشيخ شريف الجواهري

وفي الدر النضيد .

ورثاء الامام الحجة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ادام

الله ظله (١) .

ومنكم بنو الزهرا استحل به الدم
بذكر رزاياكم تشب وتضرم
رزاياكم الجلى فأبكى وأوجم
تهد لها السبع الطباق وتهدم
غداة استهلته ادمعي والمحرم
وقلب علي والبتولة اسهم
سرت ونهار العدل بالحوور مظلم
ركاب العلى في ظعنهم حيث يمموا
اذا اسفروا في موكب وتلثموا
اسوداً فأفياء الضيا تتأجم
بأمضى شبا منهم فلا يتكتم
المنايا لها دون الدنية مغنم

أبا صالح ان العزا لمحرم
لكم بين اضلاعي مواقد لوعة
تزاحم في فكري اذا رمت عدها
وما انس من شيء فلا انس وقعة
وقد جددت حزني ولم يك مخلقاً
اصاب بها من كربلا قلب احمد
غداة بنوه الغر في نصر دينه
بفتيان صدق في الحفيظة يممتم
تطالع اقماراً بهم واهلة
وان صرت الهيجاء ناباً تراهم
وان فل حد السيف امضاه عزمهم
وتهوي المنايا للهوان كأنما

(١) نقلتها من كتاب سوانح الافكار في منتخب الاشعار تأليف الفاضل المهذب الخطيب

السيد محمد جواد شبر .

ميامين يوم السلم لكن يومهم
 قد ادرعوا درعاً جديداً واخروا
 وما راع جيش الكفر الا عصابة
 حجازية نحو العراق ومنجد
 بأجسامها في عرصة الطف عرست
 تضاحك بشراً بالمنون كانما
 وترقص شوقاً للقاء قلوبها
 وان بزغ النور الالهي بينها
 لقد ثبتوا للذب عنه بموقف
 وتذهل املاك السماء لوقعه
 ولما قضاوا في حلبة المجد حقها
 تهاووا فقل زهر النجوم وتهافتت
 بحرب على اعوان حرب قد انكفى
 تعثر فيه بالجماجم خيلهم
 وتعبس من خوف وجوه امية
 أبو الفضل تأبى غيره الفضل والابا
 عليم بتأويل المنية سيفه
 ويمضي الى الهيجاء مستقبل العدى
 وان عاد ليل الحرب بالنقع أليلاً
 وان سمع الاطفال تصرخ للظما
 وصال عليهم صولة الليث مغضباً
 وراح لورد المستقى حامل السقا
 ومذ خاض نهر العلقمي تذكر الحسين فولى عنه والريق علقم

واضحى ابن ساقى الحوض سقا ابن أحمد يروي عطاشا المصطفى الطهر إن ظموا
ولما أبى منك الالباء تأخراً وان أبا الفضل الذي يتقدم
بهم حسمت يمناك ظلما ولم اخل يمين القضا في صارم الشرك تحسم
وان عمود الفضل يخسف هامه وعمود حديد للضلالة يدعم
وحين هوى اهوى اليه شقيقه يشق صفوف المخلدي ويحطم
فألفاه مقطوع اليدين معفراً يفور من مخسوف هامته الدم
فقال اخي قد كنت كبش كتيبتي وجنة بأس حين ادهى وادهم
فمن ناقع حر القلوب من الظما ومن يكشف البلوى ومن يحمل اللوا
رحلت وقد خلفتني يا ابن والدي احاطت بي الاعداء من كل جانب
فما زال ينعاه ويندب عنده واقبل محني الضلوع الى النسا
ولاحت عليه للرزايا دلائل واقدم فرداً للكريهة ليثها
فتحسب عزرائيل صاح بسيفه وقل غضب الجبار دمدم صاعقاً
ولما اعاد البر بحراً جواده نمت عزمه البقيا عليه فما انثوا
وقام لسان الله يخطب واعظاً وقال انبوني من انا اليوم وانظروا
فما وجدوا الا السهام بنحره ومذ أيقن السبط انمحي دين جده

فدى نفسه في نصرة الدين خائضاً
وقال خذيني يا حتوف وهاك يا
وهيهات ان اغدوا على الضيم حائماً
وكر وقد ضاق الفضا وجرى القضا
ومذخر بالتعظيم لله ساجداً
وجاء اليه الشمر يرفع رأسه
وزعزع عرش الله وانحط نوره
ومذمال قطب الكون مال واوشك
وحين ثوى في الارض قر قرارها
فلهفي له فرداً عليه تزاحمت
لهفي له ضام يجود وحوله
ولهفي له ملقى وللخيل حافر
ولهفي على اعضاءك يا ابن محمد
فجسمك ما بين السيوف موزع
فلهفي على ريحانة الطهر جسمه

عن المسلمين الغامرات ليسلموا
سيوف فأوصالي لك اليوم مغنم
ولولي على جمر الاسنة مجثم
وسال بوادي الكفر سيل عرمرم
له كبروا بين السيوف وعظموا
فقام به عنه السنان المقوم
فأشرق وجه الارض والكون مظلم
انقلابا يميل الكائنات ويعدم
وعادت ومن اوج السما وهي اعظم
جموع العدى تزداد جهلاً فيحلم
الفرات جرى طام وعنه يحرم
يجول على تلك الضلوع وينسم
توزع في اسيا فهم وتسهم
ورحلك ما بين الاعادي مقسم
لكل رجيم بالحجارة يرحم

وللعلامة الشيخ محمد حسين الاصفهاني قدس الله سره
المتوفى سنة ١٣٦١ هـ ٥ ذي الحجة .

أبو الالباء وابن بجدة اللقا
ذاك أبو الفضل أخو المعالي
شبل علي ليث غابة القدم
رقى من العلياء خير مرتقى
سلالة الجلال والجمال
ومن يشابهه ابه فما ظلم

علماء وحلماء شرفاً وسؤدا
هو الشهيد في معارج الهمم
أبو العقول والنفوس والمثل
مجموعة الفضائل النفسية
فانه قطب محيط الدائرة
ما جل ان يخطر في الخواطر
كالروح من نقطة باء البسمة
تمت به دائرة السعادة
فانه عنقاء قاف الهممة
والفرد في الخلقة والخليقة
حتى بدا سر الوجود الزاهر
تكاد ان تغلب نور الطور
بالحق يدعى قمر الاقمار
كالقمر البازغ في السماء
جل جلال الله في ابداعه
ملك عرش عالم الاسرار
به الهداية استناء طورها
مرآتها لكل اسم وصفة
وقدرة الله تجلت فيه
تغنيك عن اثباته مشاهدته
ولا سواه لأبيه عضد
وكيف وهو مالك الارواح
بل في المعاني الغر من صفاته

صنو الكريمين سليلي الهدى
وهو الزكي في مدارج الكرم
وارث من حاز مواريث الرسل
وكيف لا وذاته القدسية
عليه أفلاك المعالي دائرة
له من العلياء والمآثر
وكيف وهو في علو المنزلة
وهو قوام مصحف الشهادة
وهو لكل شدة ملمة
وهو حليف الحق والحقيقة
وقد تجلى بالجمال الباهر
غرفته الغراء في الظهور
رقى سماء المجد والفخار
بل في سماء عالم الاسماء
بل عالم التكوين من شعاعه
سر أبيه وهو سر الباري
أبوه عين الله وهو نورها
فانه انسان عين المعرفة
ليس يد الله سوى أبيه
فهو يد الله وهذا ساعده
فلا سوى أبيه لله يد
له اليد البيضاء في الكفاح
يمثل الكرار في كراته

صولته عند النزال صولته
هو المحيط في تجولاته
سطوته لولا القضاء الجاري
وواسم المنون حد مفرده
بارقة صاعقة العذاب
بارقة تحصد في الرؤوس
واسى اخاه حين لا مواسي
بعزيمة تكاد تسبق القضا
دافع عن سبط نبي الرحمة
بهمة من فوق هامة الفلك
راستعرض الصفوف واستطالا
لف جيوش البغي والفساد
كر عليهم كرة الكرار
آثر بالماء اخاه الضامي
ولا يهمله السهام حاشا
فجاد باليمين والشمال
قام بحمل راية التوحيد
والدين لما قطعت يداه
وانطمست من بعده اعلامه
وانصدعت مهجة سيد البشر
وبان الانكسار في جبينه
وكيف لا وهو جمال بهجته
كافل اهله وساقى صبيته

لولا الغلو قلت جلت قدرته
ونقطة المركز في ثباته
تقضي على العالم بالبور
والفرق بين الجمع من ضرب يده
بارقة تذهب بالباب
تزهق بالارواح والنفوس
في موقف يزلزل الرواسي
وسطوة تملأ بالرعب الفضا
بهمة ما فوقها من همة
ولا ينالها نبي أو ملك
على العدا ونكس الابطالا
بنشر روح العدل والرشاد
أوردهم بالسيف ورد النار
حتى غدا معترض السهام
من همه سقاية العطاشي
لنصرة الدين وحفظ الآل
حتى هوى من عمد الحديد
تقطعت من بعده عراه
مذ فقدت عميدها قوامه
لقتله وظهر سبطه انكسر
فانكدت الجبال من حنينه
وفي محياه سرور مهجته
وحامل اللوا بعالي همته

وليث غابه بطف نينوى
بل النبي في الرفيق الاعلى
فما اجل رزؤه واعظما
وكيف لا وبان منه ساعده
وكيف لا ونور عينه خبا
عليه مذ امت بلا كفيل
لنوح آل البيت في خدورها
مذ ناحت العقائل الزواكي
مذ سبيت حسرى القناع سافرة
عن اخواته وهن في السبا
ممثل الغيرة والفتوة
اذ هجم الخيل عنهن الخبا
مسودة المتون والعواتق
فأين حامي الظعن عن ضعائنه
عن فتياته بأيدي الظلمة
عزائز الله على الاكوار
وهن في أعظم كرب وكمد

واحدة لكنه كل القوى
ناح على اخيه نوح الثكلي
وانشقت السما وامطرت دما
بكاه كالهطال حزناً والده
بكاه صنوه الزكي المجتبي
ناحت بنات الوحي والتنزيل
ناحت عليه الحور في قصورها
ناحت عليه زمر الاملاك
فمن لتلك الخفرات الطاهرة
أين ربيب المجد امأً وابا
وأين عن ودائع النبوة
وأين عنها رب أرباب الابا
فأصبحت نهياً لكل مارق
فيها اشتفى العدو من ضعائنه
أين فتى الفتيان يوم الملحمة
فليتته يرى بعين الباري
يهدي بها من بلد الى بلد

وللعلامة الشيخ حسن ابن الشيخ محسن مصبح الحلبي^(١)

(١) آل مصبح اسرة في الحلة اشتهرت بالعلم والادب منهم شيخ حسين جد المترجم وابنه الشيخ محسن والد المترجم كان من العلماء الافاضل رثاه السيد حيدر في قصيدة مشيتة في ديوانه ومنهم المترجم ولد في الحلة وهاجر الى النجف لطلب العلم ولما يبلغ العشرين من عمره =

من قصيدة في الحسين عليه السلام .

بهمة ليث لم يرعه قتامها
فرائده ان سل منها نظامها
ليوم التنادي يستكن حمامها
عليه الفضا منه وضاق مقامها
ضباً ويد الاقدار جالت سهامها
وولت عواديهما يصل لجامها
الى الماء لم يكبر عليه ازدحامها
قرى النهر واحتل السقاء همامها
لري عطاشا قد طواها اوامها
البصائر من رعب ويعلو قتامها
يدب به للدار عين حمامها
حسيس ولم يكبر عليه اعتصامها
وثنت بيمنى منه طاب التامها
ترجل وانثالت عليه لئامها
وكم فيه يوم الروع حل نظامها
دعائم دين الله شد قوامها
سراعاً فان النفس حان حمامها

فهنالك هب ابن الوصي الى الوغى
أبو الفضل حامي ثغرة الدين جامع
نضى لقراع الشوس غضباً بحده
عليه انطوت في حلبة الطعن فانطوى
وخاض بها جراً يرف عبابه
فحلاها عن جانب النهر عنوة
ودمدم ليث الغاب يعطو بسالة
ثنى رجله عن صهوة المهر وامتطى
وهب الى نحو الخيام مشمراً
المت به سوداء يخطف برقها
جلاها بمشحوذ الغرارين ابلج
فلولا قضاء الله لم يبق منهم
بماضية الاقدار جذت يساره
وفي عمد حتم القضا شج رأسه
به انتظمت سمر القنا وتشاكلت
دعا يا حمى الاسلام يا ابن الذي به
جرى نافذ الاقدار فيمن تحمه

= ورجع بعد استكمال الفضيلة وحج مكة المكرمة خمساً وعشرين مرة تطوعاً تارة ونائباً ومعلماً
اخرى جمع ديوانه في حياته وهو حسن جداً يناهز العشرة آلاف بيتاً وجل شعره في أهل البيت
مدحاً ورثاءً توفي عن عمر تجاوز السبعين في سنة ١٣١٧ وحمل الى النجف (البابليات
للخطيب الاستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي) .

تراب به الاعداء طال اجترامها
وحلق فيها للبور اجترامها
حجاب المعالي واستحل حرامها
وعضبي اذا ما ضاق يوماً مقامها
ومن فيه اعزازاً تطاول هامها
بملساء يذكي الحائثات رغامها
يشق عباب الحرب ان جاش سامها
اذا ما كبا بالضاريات اعتزامها
بفقدك والارزاء جد احتدامها
عليك وعفواً ناضلتني سهامها
على شامخات الارض ساخ شمامها
بائك والدنيا قليل دوامها
يئن كما في الدوح أن حمامها
تجر عليّ الداهيات طغامها

فشد مجيباً دعوة الليث طالباً
طواها ضرباً سل فيه نفوسها
واحنى عليه قائلاً هتك العدى
أخي بمن اسطو وانك ساعدي
أخي فمن يعطي المكارم حقها
أخي فمن للمحصنات اذا غدت
أخي لمن اعطي اللواء ومن به
أخي فمن يحمي الذمار حفيظة
كفى اسفاً اني فقدت حشاشتي
فوالهفتا والدهر غدر صروفه
الى الله اشكو لوعة لو ابثها
على انني والحكم لله لاحق
فقام وقد احنى الضلوع على جوى
حسبتك للايتام تبقى ولم اخل

للعامة الحجة الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (١)

بكر الردى فاجتاح في نكبائه
ودهى الرشاد بناسف لأشمه
ورمى فاصمى الدين في نفاذه
ونور الهدى ومحا سنا سيمائه
وبخاسف اواه بدر سمائه
وارحمتاه لمنتهى احشائه

(١) ولد في النجف الاشرف في شهر صفر سنة ١٢٧٩ هـ وتوفي ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٦١ ودفن في مقبرة بجنب الحسينية التي اسسها في (النبطية).

يوماً به قمر الغطارف هاشم صكت يد الجلى جبين بهائه
سيم الهوان بكربلاء فطار للعز الرفيع به جناح ابائه
انى يلين الى الدنية ملمساً أو تنحت الاقدار من ملسائه
هو ذلك البسام في الهيجاء (والعباس) نازلة على اعدائه
من حيدر هو بضعة وصفيحة من عزمه مشحوذة بمضائه
واسى اخاه بموقف العز الذي وقفت سواري الشهب دون علائه
ملك الفرات على ظمائه واسوة بأخيه مات ولم يذق من مائه
لم انسه مذكر منعطفاً وقد عطف الوكاء على معين سقائه
ولوى عنان جواده سرعان نحو مخيم يظفي أوار ظمائه
فاعتاقه السدان من بيض ومن سمر وكل سد رحب فضائه
فانصاع يخترق الصوارم والقنا لا يرعوي كالسهم في غلوائه
يفري الطلا ويخيظ افلاذ الكلا بشبابة أبيضه وفي سمرائه
ويجول جولة حيدر بكتائب ملاً الفضا كالليل في ظلمائه
حتى إذا ما حان حين شهادة رقمت له في لوح فضل قضائه
حسنت مذبذبة الحسام مقلة لسقائه ومجيلة للوائه
أمن العدى فتكاته فدنا له من كان هيباً مهيب لقائه
وعلاه في عمد فخر لوجهه ويمينه ويساره بأزائه
نادى اخاه فكان عند ندائه كالكوكب المنقض في جوزائه
وافى عليه مفرقاً عنه العدى ومجمعاً ما انبت من اشلائه
وهوى يقبله وما من موضع لثم الا غارق بدمائه
ويميط عن حر المحيا حمرة علقية صبغت لجين صفائه
يا مبكياً عين الامام عليك فلتبك الانام تأسياً بيكائه
ومقوساً منه القوام وحنياً منه الضلوع على جوى برحائه

فلننحني حزناً عليك تأسياً بالسبطِ في تقويسه وحنائه
أنت الحري بأن تقيم بنو الورى طرى ليوم الحشر سوق عزائه
هذا آخر ما وقفنا عليه من حياة قمر الهاشميين والله ولي
التوفيق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الهداة
الميامين ونسأله سبحانه الهداية لما يرضيه والزلفى لديه تعالت
آلاؤه .

الفهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	٥
المقدمة	٩
سلسلة الآباء	١٧
الاعمام	٤٦
طالب	٥٢
عقيل	٥٥
السفر الى الشام	٦٠
الجديدة	٦٧
إفتراء	٦٩
الخلف عن عقيل	٧١
الطيار	٧٤
اخوته	٧٩
ابن الحنفية	٨٢
الاطراف	٨٩
اخواته	٩٣

الموضوع	الصفحة
العقيلة	٩٥
أم البنين	١٠٣
الزواج	١٠٨
الولادة	١١٠
صفاته	١١٤
كنيته	١٢٠
اللقب	١٢٢
السقا	١٢٧
نشأته	١٣٦
اليقين	١٤٥
الاصحاب	١٤٨
الأمان	١٥٧
المواساة	١٦٠
عشرة التاريخ	١٦٥
حديث الصادق	١٧٠
العباس في نظر الأئمة	١٨٢
العصمة	١٩٠
الكرامات	١٩٥
اللواء	٢١٢
موقفه قبل الطف	٢٢٣
موقفه في الطف	٢٢٨
الشهادة	٢٣٥

الصفحة	الموضوع
٢٤٠	المشهد المطهر
٢٤٤	ملاحظة
٢٤٦	الحائتر
٢٥٤	نهر العلقمي
٢٥٨	مشهد الرأس
٢٧٢	مشهد الكفين
٢٧٤	الزيارة
٢٧٨	صلاة الزيارة
٢٨٣	تقبيل القبر
٢٨٥	أولاده وأحفاده
٢٩٣	الحمزة
٣٠١	عمارة المشهد
٣١٣	عمارة مرقد العباس
٣١٧	السدانة
٣١٩	حامي الجوار
٣٣٩	الفهرس



مكتبة الروضة الليبية
الرقم ٤٢٩٧
التاريخ ٢٤ / ٢٠٥



